



مجلة فصلية محكمة تصدر عن وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية - الرياض

مجلة التوعية الإسلامية

وكالة شؤون المطبوعات والنشر

وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

العدد ٢٢٣

السنة الخامسة والعشرون (شوال - ذو القعدة - ذو الحجة) ١٤٢٠هـ

من أهداف وكالة الوزارة لشؤون المطبوعات والنشر

١- السعي إلى تأصيل العقيدة الصحيحة ونبذ ما يضادها.

٢- العمل على تصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام، والسهر على سلامة ما ينشر من الكتب والمواد العلمية الإسلامية الأخرى.

٣- الإسهام في نشر العلوم الشرعية وآثار السلف الصالح.

٤- إبراز جهود المملكة في خدمة الإسلام والمسلمين من خلال نشر المادة العلمية السليمة.

٥- الإسهام في خدمة الدعوة وإبلاغ رسالة الإسلام، ورفع المستوى الثقافي للأمة.

٦- العناية بطباعة وترجمة المواد العلمية التي تخدم الدعوة الإسلامية.

٧- الإسهام في دعم المشاريع العلمية والدعوية النافعة.

٨- العناية بما تتطلبه أعمال الطباعة ووسائل النشر الأخرى في الوزارة، وإبراز نشاطها في هذه المجالات.

❊❊❊



مجلة التوعية الإسلامية

مجلة فصلية محكمة تصدر عن وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية - الرياض
السنة الخامسة والعشرون العدد (٢٢٣) شوال - ذو القعدة - ذو الحجة ١٤٢٠هـ.

عنوان المراسلات

إدارة مجلة التوعية الإسلامية

وكالة شؤون المطبوعات والنشر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

الرياض ١١٢٣٢ المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٣٥٧٦٢٢ تحويلة (١٠٥٧) (١٠٥٨) فاكس: ٤٣٥٧٦٢٩

ردمد: ٢٤١٨ / ١٣١٩

رقم الإيداع: ١١٩٧ / ١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

الافتتاحية

الشيخ / صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ ٥

كلمة العدد

الدكتور / عبدالله بن أحمد الزيد ٨

ندوة العدد

عن أثر الحج في تحقيق التوحيد، إعداد الشيخ / سعود بن سعد الرشود ١٢

باب الحج

١ - أحكام الحج، للشيخ محمد بن صالح العثيمين ٥٧

٢- أشراط الساعة، الجزء الثاني، للدكتور / عبدالله بن سليمان الغفيلي ٧٤

٣- مسؤولية الآباء تجاه الأولاد، الجزء الثاني، للدكتور / عبد الرب نواب الدين ١٧٤

٤- بيان صفة الحج، للشيخ / صالح بن فوزان الفوزان ٣١٥

٥- الهدي، للشيخ / صالح بن عبد الرحمن الأطرم ٣١٩

٦- الحرم الآمن، للدكتور / عبد العزيز بن حمد المشعل ٣٣١

منبر العدد

خطبة عن الحج، بناء البيت ومنافع الحج، لمعالي الدكتور / صالح بن عبدالله بن حميد .. ٣٣٥

الفتاوى

اختيار هيئة التحرير ٣٣٤

الجديد من الإصدارات

تقرير عن إصدارات الوزارة، إعداد الإدارة العامة للطباعة والنشر ٣٦٠

مسك الختام:

شرف الزمان وشرف المكان للشيخ/ محمد بن علي العرفج ٣٦٣

الافتتاحية

لمعالي الشيخ/ صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ

وزير الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

الحمد لله أهل الحمد ومستحقه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبدالله ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن موافقة سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم شرط أساس لصحة كل عبادة، ولهذا فإنه يتأكد على أهل العلم وطلابه أن يبينوا للناس أحكام الإسلام وشرائعه وشعائره وفق ما أمر به النبي عليه الصلاة والسلام وأرشد إليه، ويتأكد على المسلمين عامة الحرص على تعلم ما يهمهم ويتناولهم بحسب أحوالهم من ذلك، وأن يأخذوه عن العارفين به من أهل العلم بدين الله وشرعته.

ومن أهم ما ينبغي العناية به وتعلمه صفة المناسك وأحكامها؛ لتعلقها بكل من توافرت فيه شروط وجوب الحج، ولكونها مما يكثر الخطأ فيه، لكثرة من يتهاون بها، لأنها مما قد لا يؤديه المسلم في عمره إلا مرة واحدة.

ومن منطلق ما اختص الله به المملكة العربية السعودية من سلامة المنهاج الشرعي، وما شرفها به من خدمة الحرمين الشريفين والعناية بهما والقيام بشؤون الحج، وما دأب عليه ولاة الأمر فيها من الحرص على توفير سبل الراحة لحجاج بيت الله العتيق والمعتمرين وزائري مسجد الرسول الكريم

صلى الله عليه وآله وسلم، والتوكيد على أجهزة الدولة بالقيام بما يجب على كل منها وفق اختصاصه من أجل تحقيق ذلك.

من ذلك المنطلق، ونظراً لكون هذه الوزارة من أخص أجهزة الدولة المعنية بالتوعية الإسلامية، فقد حرصت على القيام بمهماتها في هذا المجال، ووضعت لذلك الخطط والبرامج من أجل بلوغ تلك الغاية، ودأبت كل عام على استنفار الأكفياء والمؤهلين من أهل العلم والدعاة لتوعية الحجاج والمعتمرين بأحكام المناسك وتعليمهم ما قد يخفى عليهم منها ومن سائر ما يهمهم من الأحكام الشرعية.

ومن وسائل الوزارة في هذا السبيل اشتمال هذا العدد من **(مجلة التوعية الإسلامية)** على كثير من أحكام المناسك ومتعلقاتها، وبيان صفتها وأحكامها وآثارها، والتذكير بخصائص حرم الله الآمن، وما يجتمع للحاج من شرف الزمان والمكان والعمل، وإيراد عدد من الفتاوى المتعلقة بالمناسك.

ويأتي هذا إسهاماً من الوزارة في إعانة الحجاج على أداء مناسكهم على الوجه الصحيح لينقلبوا إلى بلادهم -بإذن الله- بحج مبرور وسعي مشكور.

وإني آمل من كل عازم على الحج أن يتعلم ما يحتاج إليه من أحكام المناسك حتى يتحقق له امتثال أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال: **(خذوا عني مناسككم)**. ويؤدي مناسكه على الوجه الصحيح؛ فيفوز – بإذن الله – بثواب الحج المبرور الذي بينه النبي عليه الصلاة والسلام بقوله: **(والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة)**.

كما آمل من أهل العلم وطلابه أن يحرصوا على بيان ما يهم المسلمين من أحكام دينهم ومناسكهم.

وأسأل الله تعالى أن يوفق المسلمين لحج مبرور، وأن يجزي ولاة أمرنا خيراً عما قدموه ويقدمونه من أعمال جليلة وعناية بالمسلمين في أقطار الأرض، وأن يضاعف لهم المثوبة عما يبذلونه من أجل عمارة الحرمين الشريفين وتيسير أداء المناسك على حجاج بيت الله الحرام، وتهيئة أسباب الراحة ووسائلها لهم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

كلمة العدد

للدكتور/ عبدالله بن أحمد بن علي الزيد
وكيل الوزارة المساعد لشؤون المطبوعات والنشر
ورئيس التحرير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الحج ركن من أركان الإسلام وشعيرة من شعائره العظام التي أمر الله بها في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾[1].

وتشتمل هذه الشعيرة على مواقف إيمانية تنمي في المسلم قوة الإيمان واليقين، وتدعو إلى الالتزام بالإسلام وتطبيق تعاليمه في نفسه خاصة، وتحثه على السير وفق شرع الله المطهر، فالمسلم حينما يبدأ الاستعداد لأداء هذه الشعيرة ويودع وطنه وبلده وأهله وذويه يتجلى له أن ذلك إجابة لدعوة ربه جل وعلا، ويذكره بما أمر الله به خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[2].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٩٧.

(٢) سورة الحج : الآية ٢٧.

وحينما يتخفف الحاج من مشاغل الدنيا وأمورها مقبلاً على الله عز وجل ويتجرد من ملابسه ويلبس الإحرام امتثالاً لأمر الله وطلباً لما عنده من الثواب واقتداء بسنة نبيه ﷺ ويشاهد تماثل الحجاج جميعهم، الغني منهم والفقير، والعربي منهم والأعجمي، الأبيض والأسود كلهم في لباس واحد، ينادون بنداء واحد: (**لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك**) ويقصدون بيتاً واحداً ومشاعر واحدة، فإن ذلك مما يجدد لهم الإيمان ويقويه في نفوسهم ويذكرهم بأنهم أمة واحدة: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [١].

وفي طريقه إلى البيت الحرام يذكر ذلك الموقف الإيماني الذي أشار إليه النبي ﷺ بأنه: ما من نبي بعد إبراهيم عليه السلام إلا حج هذا البيت.

فهو بهذا يسلك طريق الأنبياء ورسل الله وخيرته من خلقه وأصفيائه، فهم جميعاً لبوا نداء الله وحجوا هذا البيت العتيق، فهو بهذا يسلك طريقهم ويترسم خطاهم ويبتغي من عند الله ما كانوا يبتغون.

وفي طوافه بالبيت العتيق يتذكر الكثير من الآيات البينات التي قال الله عنها: ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [٢].

---

(١) سورة المؤمنون : الآية ٥٢.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٩٧.

ذلك البيت العتيق الذي هو: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ .

وفي منى يتذكر الحاج موقف رسول الله ﷺ ذلك الموقف الذي قال فيه ابن مسعود رضي الله عنهما: (**هذا موقف الذي أنزلت عليه سورة البقرة**)[١] يقصد موقف رسول الله ﷺ.

كما أنه وهو يرمي الجمرة في منى يتذكر قصة خليل الله إبراهيم عليه السلام الذي كان يطرد الشيطان ويرميه بالحجارة، وهناك حصلت قصة ذبحه لولده إسماعيل عليه السلام امتثالاً لأمره جل وعلا: ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [٢].

وفي عرفات يستشعر العبد عظمة هذا الموقف العظيم الذي فضله الله على سائر الأيام، ويرى التوجه الصادق لرب العالمين بقلوب خاشعة تتطلع إلى مغفرة الله ورضوانه.

وهكذا في مزدلفة وفي المشاعر كلها يشعر الحاج بمواقف إيمانية تربطه بخالقه جل وعلا وتجدد إيمانه وتقويه، وتجعله يستعد للقاء الله في

الآخرة حيث يقوم الناس لرب العالمين، فيعود من حجه وقد تنور بصره وبصيرته، وازداد إقبالاً على الله ومحبة لدينه وشرعه، ويكون بذلك عضواً صالحاً في المجتمع يدعو إلى الخير والفضيلة، ويمقت الشر والرذيلة، وهذا من أهم غايات الحج وحكمه ومقاصده التي شرع من أجلها.

ويأتي هذا العدد من **(مجلة التوعية الإسلامية)** ليساهم في تبصير الحجاج بأمور الحج وأحكامه، ويزرع في نفوسهم استشعار تلك المواقف؛ ليعودوا إلى بلادهم وهم أكثر إقبالاً على الله وتطبيقاً لأحكامه وشعائره.

أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يصلح أحوال المسلمين، وأن يجعله حجاً مبروراً وذنباً مغفوراً، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

ندوة العدد

أثر الحج في تحقيق التوحيد

إدارة

الشيخ سعود بن سعد بن محمد آل رشود

خبير الشؤون الإسلامية بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيأتي دور المملكة العربية السعودية على الخريطة الإسلامية بارزاً وواضحاً وملموساً، وحينما تتطابق الأقوال مع الأفعال، وتصبح هذه المملكة بحق هي راعية للإسلام والمسلمين الذين يأتون إلى بيت الله الحرام أفواجاً يحدوهم الأمل في مغفرة الله ورضوانه، وتطرب آذانهم بالتلبية، وتخشع قلوبهم من بلوغ المقصد وتحقق الآمال.

وليس غريباً أن تضع حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود -يحفظه الله- كل هذه الإمكانات الرائعة في خدمة وفود المسلمين القادمين من شتى بقاع الأرض، ولذا يجب الاستفادة من هذا التجمع العالمي في هذا الوقت المحدد، وإيجاد الطريقة المثلى لتأصيل، وتحقيق التوحيد لدى حجاج بيت الله العتيق خلال إقامتهم في هذه البلاد الطاهرة.

ومن هذا المنطلق، فقد استضافت مجلة "التوعية الإسلامية" عدداً من

أصحاب الفضيلة والسعادة ذوي الاختصاص، وأدلوا بآرائهم ومقترحاتهم وأفكارهم في هذا الشأن المهم بهدف الحصول على الغاية المراد تحقيقها والوصول إلى التأثير الذي سيصيب هذا التجمع والتضامن الإسلامي الكبير في موسم الحج من شأن تحقيق التوحيد.

وقد تناولت الندوة في مناقشاتها عدداً من المحاور هي:

١- تحقيق الوحدة من خلال أداء مناسك الحج.

٢- استفادة الحجاج من الموسم للتزود بالعلم النافع الذي يسهم في إشاعة العقيدة الصحيحة والقضاء على البدع.

٣- تحقيق الوحدة الإسلامية من خلال الاتفاق على العقيدة الصحيحة التي هي أساس ائتلاف القلوب.

٤- نصائح وتوجيهات لحجاج بيت الله الحرام.

٥- كيفية الاستفادة من موسم الحج في تصحيح عقائد الحجاج.

٦- الحج أحد الشعائر الإسلامية التي فرضها الله على المسلم، ما دور الدعاة إلى الله تعالى خلال هذا الموسم العظيم في تفقيه حجاج بيت الله الحرام، وتصحيح مفاهيم الدين الإسلامي لديهم؟

٧- الجهود التي تضطلع بها وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المجال الدعوي، وخاصة ما يتعلق بالمحاضرات والدروس العلمية في المساجد والجوامع، وكيفية الاستفادة منها في موسم الحج لتعليم حجاج بيت الله الحرام تعاليم الدين الإسلامي بصورة صحيحة

وتصحيح عقائدهم المغلوطة.

٨- تعد المملكة العربية السعودية من أبرز الدول التي تحرص على دعم التواصل بمختلف دول العالم الإسلامي لكي يتسنى لها الاضطلاع بمسؤولياتها الريادية في خدمة الإسلام والمسلمين، ما الخطوات الصحيحة التي تقوم بها المملكة بهدف تفعيل وتأصيل العقيدة الإسلامية في نفوس ضيوف بيت الله الحرام خلال فترة الحج؟

٩- مع تزايد أعداد الحجاج والمعتمرين عاماً بعد عام، كيف نجعل هذا التجمع العظيم طريقاً لوحدة المسلمين وترابطهم؟

١٠- هناك دعوة بالتركيز على عالمية رسالة الإعلام، خاصة مع الإقبال المتزايد من أبناء غير المسلمين في كثير من دول العالم على الدين الإسلامي، هرباً من الضياع الذي يتعرضون له، والتيارات المنحرفة والمذاهب الهدامة، ما الطرق الخاصة لتعليم الحجاج خلال موسم الحج ليسلكوها لمواجهة الأساليب الماكرة لإعاقة المد الإسلامي؟ وكيف يمكن دعم هذه الدعوة، وحماية شبابنا من التورط في مثل هذه التيارات والمذاهب؟

١١- تتعرض وسائل الإعلام والتعليم للدس على الإسلام ومحاربته وتقويض حركة الدعوة الإسلامية، ماذا يمكن فعله لمواجهة هذه الدسائس ومنعها من تحقيق أهدافها.

١٢- تبذل المملكة قصارى جهدها في سبيل توفير كل وسائل الراحة لضيوف

الرحمن حتى يؤدوا مناسكهم بكل يسر وأمان واطمئنان، فكانت التوسعة العملاقة للحرمين الشريفين، والاهتمام بأماكن المشاعر المقدسة في منى وعرفات ومزدلفة، بالإضافة إلى تسهيل كافة الإجراءات، وتوفير خدمات الإعاشة والعلاج، هل ذلك يؤثر إيجاباً على المسلم الحاج في توحيد عقيدته وتأصيلها؟

١٣- التنسيق والتعاون بين الدول الإسلامية لهما أهمية كبيرة في دعم التضامن الإسلامي.. بيان هذه الأهمية من وجهة نظركم.

١٤- تستثمر المملكة وزنها السياسي الكبير، ودورها الحيادي المتميز، والثابت في نصرة القضايا الإسلامية، من خلال العلاقات الثنائية الحسنة، التي تربطها بمختلف الدول المؤثرة، وكذلك عبر المؤسسات والمحافل الدولية، كيف يمكن استثمار ذلك في موسم الحج لتحقيق التوحيد؟.

١٥- "الصحوة الإسلامية المعاصرة" تعد أحد مظاهر العودة إلى نهج السلف الصالح، والالتزام بالشريعة الإسلامية وفقاً لما جاء في الكتاب والسنة، كيف يمكننا حماية هذه الصحوة من الانحراف ومحاولات التشويه التي تتعرض لها، خاصة من الإعلام الغربي الذي يركز على بث الخوف من الإسلام، وذلك من خلال موسم الحج؟

وقد شارك في هذه الندوة كل من:

١- الدكتور/ مساعد بن إبراهيم الحديثي - المدير العام لمركز البحوث والدراسات الإسلامية.

٢- الدكتور/ أحمد بن محمد المغربي -الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة الملك عبدالعزيز بجدة.

٣- الدكتور/ محمد بن عبدالله بن إبراهيم الخرعان -عضو هيئة التدريس في قسم الإعلام بكلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٤- الأستاذ الدكتور/ محمد سالم بن شديد العوفي -الأمين العام لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

٥- الدكتور/ عبدالعزيز بن إبراهيم العمري -عضو هيئة التدريس بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٦- الدكتور/ أحمد بن يوسف بن أحمد الدريويش -الأستاذ المشارك في كلية الشريعة بالرياض قسم الفقه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وفيما يلي نص ما أدلى به هؤلاء العلماء الأفاضل حول هذا الموضوع:

وفي مستهل هذه الندوة تحدث **سعادة الدكتور/ مساعد بن إبراهيم الحديثي المدير العام لمركز البحوث والدراسات الإسلامية**، حيث تناول موضوع النصائح والتوجيهات الواجب توجيهها لضيوف الرحمن التي يجب أن يلتزموها، فقال: إن للعبادات التي شرعها الله لعباده أهدافها ومقاصدها، وكل عبادة منها تنطوي على أسرار وعبر كثيرة إذا تدبرها المسلم ووقف على حكمها ومعانيها البعيدة، والحج من أكثر العبادات أسراراً وحكماً وعبراً

ومعاني، ومن أبلغها في مغفرة الذنوب، ومن معاني مناسك الحج التي ينبغي أن تظهر على سلوك الحاج وتصرفاته أثناء فترة حجه وبعدها، بحيث تصبح سلوكاً له ما يلي:

أولاً: الإخلاص في النية والقصد فيه:

شدد الدكتور الحديثي على أهمية أن ينوي الحاج بعبادته وجه الله تعالى والدار الآخرة فلا ينوي بها رياءً ولا سمعة ولا جاهاً ولا الوصول إلى غرض من أغراض الدنيا، فالإخلاص هو جوهر العقيدة وبه يتحقق معنى العبودية لله وحده، والتجرد من ضروب الشرك، وسلطان الأهواء والشهوات، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ (١).

وأضاف سعادته أن ذلك يبرز في الحج بالإحرام، الذي يقتضي مع إخلاص النية التجرد من الثياب، وكأن المحرم لا يعلن عن تجرده بقلبه فحسب، بل يتجرد مما اعتاده في حياته من اللباس، ويستر جلده بإزار ورداء، ويتذكر بذلك بداية حياته حين ولد، ونهاية حياته بالموت حين يلف بمثل ذلك، ويقترن

---

(١) سورة الكهف: الآية ١١٠.

الإحرام بالتوحيد في التلبية التي تؤكد كلماتها الإخلاص في عبادات متتالية في التلبية لله، ونفي الشرك عنه، وإعلان انفراده بالحمد والنعمة والملك: (**لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك**)، ويرفع الحاج صوته بهذه التلبية يرددها من وقت لآخر في صعوده وهبوطه، وعند لقائه بإخوانه الحجاج، فتتجاوب الأصداء كلها بهذا.

وأكد المدير العام لمركز البحوث والدراسات الإسلامية أن الله لا يقبل الهدي -وهو من شعائر الحج- إلا بقدر ما يكون فيه لدى المهدي من تقوى وإخلاص، قال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾[1].

مبيناً أن على المسلم أن يجعل الإخلاص في القصد نصب عينه، في حجه وزيارته لمسجد الرسول ﷺ وفي حياته كلها، وأن يتبرأ من الأنداد والشركاء، ويكون ذلك جزءاً لا يتجزأ في جميع أعماله وسلوكه دائماً له.

ثانياً: تعظيم حرمات الله -عز وجل-:

وقال الدكتور الحديثي: تعظيم حرمات الله وإجلالها، وتكريمها، من الأمور المحبوبة لله، المقربة إليه، التي من عظمها وأجلها، أثابه الله ثواباً عظيما، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ

(١) سورة الحج: الآية ٣٧.

رَبِّهِۦ﴾ ، وحرمات الله: كل ماله حرمة، وأمر باحترامه، من عبادة أو غيرها، والحرمة مالا يحل هتكه من أمور الدين، سواء أكان هذا حقاً لله أم حقاً للأفراد، في حرمات المجتمع العامة أو في حرمة كل فرد فيه.

وأكد سعادته أن صيانة الحرمات هي التي تحقق الأمان، وتنتزع من النفوس بواعث السوء، وتعظيم هذه الحرمات يكون بالوقوف عليها، وامتثال شرع الله فيها، والقصد لطاعته سبحانه.

وأفاد سعادته قائلاً: ويجتمع في أشهر الحج حرمتان عظيمتان هما: الحرمة الزمانية، والحرمة المكانية.

الحرمة الزمانية:

إذ جعل الله -سبحانه وتعالى- السنة إثنا عشر شهراً، وجعل من هذه الأشهر أربعة أشهر حرماً منذ بدء الخليقة، يحرم فيها التقاتل والتظالم، ويأمن الناس فيها على دمائهم وأموالهم، ويغدون ويروحون آمنين مطمئنين، فيتنسمون فيها عبير الألفة، ويتذوقون فيها متعة راحة البال، وعسى أن تحملهم هذه الأشهر على التراحم فيما بينهم سائر أشهر عامهم، قال تعالى:﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ (١).

(١) سورة التوبة : الآية ٣٦.

وأبان سعادته: أن الأشهر الحرم هي: ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم، ورجب، ثلاثة منها متتابعة، وواحد فرد، تأتي المتتابعة فتؤصل في النفوس الحرمات، فإذا ما عادوا إلى ممارسة حياتهم بعدها وضعف تعظيم الحرمات، جاء شهر رجب تذكرة لهم، وجاءت أعمال الحج في ذي القعدة وذي الحجة، وذلك؛ لتأمين الناس على حرماتهم، وتأمين طريق الحج، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ [1].

الحرمة المكانية:

ذكر الدكتور الحديثي أن الحرمة المكانية هي : حرمة البيت الحرام وما حوله من الحرم كله، إذ جعل الله لهذا الحرم حرمته على المحرم وغير المحرم، وحرمة الإنسان وحرمة الحيوان، والطير والشجر الذي ينبت بنفسه، حتى الشوك، لا يقطع ولا يقلع ولا يتلف، إلا الإذخر لحاجتهم إليه، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: يوم فتح مكة المكرمة: **(إن هذا البلد حرمه الله تعالى يوم خلق السماوات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يختلي خلاها، ولا يعضد شوكها، ولا ينفر صيدها، ولا تلتقط لقطتها إلى من عرفها)** فقال ابن العباس رضي الله عنهما : **(إلا الاذخر فهو لقينهم**

---

(١) سورة المائدة: الآية ٢.

ولبيوتهم، فقال: إلا الإذخر).

وشدد سعادته أنه يجب على الحجاج الذين يفدون إلى بيت الله الحرام أن يستحضروا تعظيم حرمات الله الزمانية والمكانية في وقت الحج، فيلتزموا بذلك التعظيم، ولا يخالفوه بقول أو فعل أو تصرف أو سلوك، ويجعلوه نبراسا في حياتهم وبعد عودتهم إلى بلدانهم، ويصحح واقعهم الحياتي وفق ذلك المبدأ، الذي كان نبراسا لهم في ماضيهم التليد، ويبرز للبشرية أسبقيتهم في قضايا حقوق الإنسان والحيوان والنبات وأنها قضايا أساسية في دينهم، وأن ما يحصل من جهلة بعض المسلمين بعيدا عن تعاليم الإسلام ومبادئه.

ثالثا: الأخوة الإسلامية:

أشار مدير عام مركز البحوث والدراسات الإسلامية إلى أن الإسلام أقام أمته ودولته ــ من أول يوم ــ على رابطة الأخوة في الدين، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (١). ولم يقم دولته على الجنسية أو العصبية أو القومية أو اللسان، أو التواطن في بلد واحد؛ لأنه دين عالمي للبشرية كلها، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (٢)

(١) سورة الحجرات : الآية ١٠.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٥٨

والحج من أبرز المعالم الوضيئة في هذه الأخوة التي تمثل وحدة المسلمين، إذ يلتقون في المشاعر المقدسة بقلوبهم المؤمنة، تجمعهم أخوة الإسلام، يطوفون بالكعبة دوائر غير معروفة الأطراف، يصفون في الصلاة حول الكعبة في حلقات متراصة، ويتجه المصلون في شتى بقاع الأرض إلى نفس هذه القبلة، قال تعالى: ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ (١)، ويجد الحاج هذه الأخوة في سائر المناسك: في السعي بين الصفا والمروة، وفي الوقوف بعرفة، وفي رمي الجمار.. إلخ.

وطالب سعادته الحاج بأن يستشعر هذه المعاني، ويراعيها في سلوكه وتصرفاته وأقواله أثناء فترة حجه ووجوده في المشاعر المقدسة، وإذا ما رسخ هذا المعنى في نفسه فإنه لن يتوانى في العمل على تحقيقه في حياته كلها قدر استطاعته، ويعمل من خلال هذا الفهم على القضاء على أسباب الفرقة والحزبية والطائفية، ويسعى على عودة تلك الصورة المشرقة التي كانت عليها الأمة الإسلامية، وقد امتد سلطانها فشمل ثلاثة أرباع المعمورة في ظل خلافة مهتدية، وما ذلك على الله بعزيز، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ (٣).

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٤٤.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٥٩.

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٠٣.

أما الدكتور أحمد بن محمد المغربي الأستاذ بقسم الدراسات الإسلامية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة فقال: لقد امتن الله تعالى على سلف هذه الأمة أنه تعالى ألف بين قلوبهم، فأصبحوا بنعمته إخواناً بعد أن كانوا متفرقين وبموجبه، فكلما وجد المسلمون أنفسهم متفرقين فهو من علامات ابتعادهم عن النهج الذي جاء من عند الله وسار عليه النبي ﷺ وأصحابه ومن تبعهم بإحسان، ثم إن التفرق علامة على فساد الرأي وقلة العقل وعدم التدبر في العواقب، فقد ذم الله قوماً، فقال تعالى﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ .

وأكد الدكتور المغربي أننا في هذه الأيام المباركة في أمس الحاجة إلى استلهام معاني الوحدة وعدم التفرق لاتخاذ الأسباب المعينة على ذلك، فموسم الحج من أجل الفرص؛ لتحقيق هذه الوحدة، وجميع مناسك الحج بدءاً بالإحرام من الميقات وانتهاء بطواف الوداع، إنما هي المجال المثالي لتحقيق الوحدة؛ كيف وأن هذه الشعائر لا تتم إلا في زمان الحج ومواطنه، فقد تحققت فيها وحدة الزمان ووحدة المكان ووحدة المظهر، وبقيت وحدة القلوب والنفوس.

وأشار فضيلته إلى أنه لو استطاع المسلمون ترجمة هذه المعاني السامية إلى تطبيق واقعي ملموس أثناء أداء المناسك لكان زاداً وذخيرة لهم حينما يعودون لأوطانهم، فتشيع بذلك مشاعر الأخوة الإيمانية بين المسلمين جميعاً.

وأكد الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة أن الدين الإسلامي الحنيف

حث على العلم، وحذر من الجهل والجاهلية والجاهلين، والإسلام هو دين العلم ودين المعرفة التي تتحقق بها السعادة في الدنيا والآخرة، كما أن عقيدة التوحيد مبنية على أمرين العلم والعبادة، كما قال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾ (١).

وقال: وحجاج بيت الله الحرام يفدون من جميع المواطن، ومن مختلف البيئات والمجتمعات، وغالبيتهم في حاجة إلى ما ينير بصائرهم،ويصلح مفاهيمهم وقلوبهم، ويثبت الإيمان ويزيده في نفوسهم لهذا فنحن في حاجة إلى تنويع مجالات وأساليب توعية حجاج بيت الله الحرام، وتبصيرهم حتى يعم ذلك أكبر عدد ممكن منهم.

وأبان الدكتور أحمد بن محمد المغربي أن تحقيق الوحدة بين المسلمين أمل ينشده كل مسلم، واستغلال الدعاة لهذا الأمل وتلك المشاعر النبيلة، وبلورتها في نفوس الحجيج قد يكون من أفضل القربات وأوجب الواجبات، فما ائتلفت قلوب المهاجرين والأنصار إلا بالعقيدة التي جاء بها نبينا محمد ﷺ، فهي المحجة البيضاء، وهي الصراط المستقيم، وهي سبيل الله تعالى، وهي سبيل المؤمنين، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

وأبان أن من الضروري على من قدم من وطنه وتكبد مشاق السفر، وترك الأهل والأوطان، وقدم إلى هذه البقعة المباركة، أن يتذكر أنه ما تجشم

---

(١) سورة محمد : الآية ١٩.

العناء إلا طاعة لله ورسوله، فليجتهد كل حاج أن يري الله تعالى من نفسه كل خير، وأساس ذلك أمران:

أولا: إخلاص النية حتى يكون حجه خالصا لله تعالى وحده.

ثانيا: الاتباع والاقتداء بهادي الأمة إلى صراط الله، وهو نبينا محمد ﷺ، حتى يكون حجه خاليا من الذوق الشخصي، والرأي الشخصي؛ لأننا عبيدلله وحده ليس لآرائنا ولا لأذواقنا ولا لأمزجتنا في هذه العبادة العظيمة وكل عبادة.

وأوضح الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة أن موسم الحج من أعظم الفرص لإصلاح ما فسد من عقائدنا ولجم ما تكون من شهوات أنفسنا، ومن العقل والرشد والعلم أن يتفقد العبد إيمانه كي يتبين ما نقص منه فيزيده فالإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي.

أما كيفية ذلك بالنسبة لكل واع يريد الخير لنفسه ولإخوانه المسلمين خاصة حجاج بيت الله الحرام، فيكون بالنصح والبيان والرفق، وبالحكمة والموعظة الحسنة والسلوك السوي، والخلق الفاضل، واختيار الوسائل والأساليب اللائقة، وتحين المكان والوقت المناسبين في غير تجريح أو إيذاء مشاعر أو انتقاص من قدر شخص في أصله وفصله "جنسه" قال تعالى: **(كلكم لآدم وآدم من تراب)** لأن الأساليب الاستفزازية تأتي غالبا بنتائج عكسية، فتوغر الصدور، وتوقظ الحمية، حمية الجاهلية، وتزرع الفتن، وما جاء الإسلام إلا لنبذ هذه المظاهر السلبية من المجتمعات البشرية.

وأضاف الدكتور المغربي - في السياق نفسه- أن لنا في السلف الصالح خير قدوة؛ فإن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة رضي الله عنهما وعن أبيهما- تحاكما إلى رجل أيهما يحسن الوضوء، ولما رأى ذلك الرجل وضوءهما اكتشف أنه هو الذي لم يكن يحسن الوضوء؛ فكان ذلك سبباً في تصحيح وضوئه، والمثال يتعلق بمسألة فقهية، فما بالك بقضايا العقيدة، ومعرفتنا للوسائل الناجعة للدعوة إلى الله إنما هو من صميم حاجتنا للإصلاح.

وأكد فضيلته على أهمية دور الدعاة إلى الله تعالى في موسم الحج، واصفاً إياه بأنه من أهم وأعظم أدوار جميع القائمين على أمور الحج والحجيج، وكل نجاح يصيبونه في هذا المجال فهو النجاح الحقيقي الذي ينبغي أن ينشد هذا الموسم العظيم، فلئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم.

وقال: فإذا نجح الإنسان في توعية حاج، وتبصيره بأسس دينيه، فإنما يكون قد قام بأمرين:

الأول: أنه أسهم في هداية أخ مسلم له إلى الحق والصواب.

الثاني: أنه كون منه داعية لذلك الحق والصواب.

وشدد الدكتور المغربي - في هذا الصدد- على أنه من الأهمية أن تضع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد والمسؤولين فيها، وفي مقدمتهم معالي وزيرها الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ نصب أعينهم هذا التصور، وهناك من لديه تصورات أولية يمكن الاستفادة منها في وضع خطط مستقبلية للدعوة إلى الله لمواجهة تزايد أعداد الحجاج والمعتمرين.

ويرى الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة: أهمية إقامة دورات تدريبية تأهيلية متقدمة لحجاج بيت الله الحرام من حيث المبدأ؛ لأن ذلك سيكون مطلباً آنياً على الأقل في المرحلة الراهنة، **مشيراً** إلى أنه قد يستدعي الأمر دراسة **تكوين** معهد خاص للدعاة يختارون بعناية من بين ذوي المهارات الخاصة والقدرات العلمية كي يصحبوا الحجيج منذ تشريفهم بدخول الديار المقدسة، وحتى مغادرتهم لها، وذلك لمساعدتهم في حل مشكلاتهم، وتبصيرهم بما غمض عنهم من أمور دينهم، وتوجيههم لأفضل سبل أداء مناسكهم، وأن يراعى في ذلك من لديه رغبة التقرب إلى الله من شباب الوطن ومن أهل الخير الذي يفترض إسهامهم في ذلك من القطاع الخاص.

ولمح فضيلته إلى أن الاستفادة من الجهود الدعوية لوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد حاصل بحمد الله سواء ذلك في موسم الحج أو على مدار السنة، وربما كانت زيادة الاستفادة هي المطلوبة، **مبدياً رأيه** في أن القضية ذات شقين أحدهما: ما يتعلق بالحجاج والمعتمرين؛ فيمكن تسجيل المحاضرات والدروس الدينية للعلماء، ثم انتخاب وتصنيف بعضها وفق منهج معين، وتوزع على الحجاج والمعتمرين بثمن رمزي، ويمكن طباعة بعض من ذلك على شكل مختصرات جيبية لطيفة؛ ليوزع على الحجاج والمعتمرين في مداخل البلاد، وعند محطات المسافرين، على أن يجري تحديثه وتنقيحه بين فترة وأخرى.

والثاني فيما يتعلق بالدعاة أنفسهم؛ فتكون تلك المحاضرات والدروس في ملفات تكون مصدراً لهم ينهلون منه جيد العلم، ويقتبسون منه فصاحة اللفظ وأدب الدعوة والخطابة، وسماحة الأسلوب ولطف المنطق، إضافة إلى تمكين المهتمين من دراستها من الناحية العلمية.

وذكر الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة -في سياق حديثه- أنه من المفترض أن نجعل الحاج والمعتمر يلمس بنفسه -دون دعاية أو إعلام- تميز هذه البلاد وأهلها عن بقية البلاد، وذلك من آثار تطبيق حكامها وعامة أفرادها لكتاب الله العزيز وسنة رسوله ﷺ، من خلق وآداب أهلها، ومن سمتهم ومحافظتهم على أهداب الدين ومعاملتهم للآخرين، وأمنهم على أرواحهم وأموالهم وأعرافهم.

وقال الدكتور المغربي: إنه بالنسبة للجانب المتعلق بعامة الأفراد فهو الجانب الذي سيمد الحاج والمعتمر -عند عودته سالماً إلى أهله- بقوة معنوية يواجه بها أساليب إعاقة المد الإسلامي، ومن هنا يتضح أن مهمة الدعاة تتعلق بتوعية المواطنين والمقيمين في هذه البلاد، حتى يصبحوا ممثلين فعليين ونماذج ملموسة؛ لتطبيق الدين الإسلامي عقيدة، وأخلاقاً ونظام حياة، هذه إضافة إلى مهمة أولئك الدعاة لتوعية الحجاج.

وأكد في السياق نفسه أننا في حاجة ماسة إلى المزيد من الجهد وابتكار الوسائل التي لا نعدمها، وتعيننا على القيام بتوضيح حجة الله البالغة، **مشيراً**

فضيلته إلى أن للجهود المسبوقة التي تقوم بها حكومتنا الرشيدة نحـــو حجـــاج بيت الله العتيق تأثيراً إيجابياً شاملاً على نفوس السواد الأعظم مـــن الحجيـــج، وعلى الذين تبلغهم الأنباء بتلك الجهود ممن لم يتشرف بالقدوم إلى هذه الديـــار المقدسة، فهذا واقع تحدثت عنه الرواة، وتناقلته الركبان، حتى بات في حكـــم المتواتر من الأخبار، ولكن الإشكال قد انحصر في البعض الذين افتقدوا جانباً من المسؤولية في تصرفاتهم وسلوكهم، فلعل تصرفاً سلبياً واحداً مـــن أمثـــال هؤلاء يأتي بنتائج قد تفسد جانباً من تلك الجهود العظيمة، وليس من يبني كمن شأنه الهدم.

وشدد الدكتور المغربي على أهمية التنسيق والتعـــاون بيـــن الـــدول الإسلامية وممثلي الأقليات الإسلامية في العالم، وهذه الأهمية أرشـــدنا إليـــها الشارع العظيم الحكيم، ولعل على رأس ذلك قول الله تعـــالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ ، فكل ما يجلب الخير لدين الله واتباعه إنما هي من ذلك الـــبر وسبب من أسباب تلك التقوى إذا سار على النهج الرباني، فليتنا اتخذنـــا هـــذا الجانب سبيلاً يعيد إلى الأمة مجدها وسؤددها.

وقال الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإســـلامية فـــي كليـــة الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة إن الوزن السياســـي المـــهم للمملكة لم يتحقق بين عشية وضحاها، ودورها المتمـــيز الشـــابت لنصـــرة المسلمين لم يكن وليد الأمس أو البارحة، بل نتيجة جهود متتابعـــة مـــن ولاة

الأمر منذ تأسيس هذا الكيان، وهو -في حقيقته- تعبير عن المبدأ الأساسي لدولة قامت لإعلاء (**لا إله إلا الله محمد رسول الله**).

وأضاف في السياق نفسه قائلاً: وما هذه الجهود التي تبذل لخدمة الحرمين الشريفين والقاصدين إليها إلا لتحقق ما قامت عليه هذه الدولة، وبالتالي فإن استثمار موسم الحج لا ينبغي أن يغادر هذا المبدأ وهذا الهدف، إن كانت الدعوة؛ لتوحيد الله أمراً واجباً على كل مسلم فإن وجوبها على أهل هذه البلاد بعامة، والقائمين منهم على أمور الحج والحجيج بخاصة، إنما هو وجوب يحتمه كونهم مسلمين أولاً وكونهم مسؤولين ثانياً، وكونهم مواطنين في دولة ترفع راية التوحيد ثالثاً.

وأعرب الدكتور المغربي عن اعتقاده -والله أعلم- أن موسم الحج كان من أجل أسباب صحوة المسلمين المعاصرة يعترف بذلك غير المسلمين الذين بلغ بهم الأمر إلى اعتبار دين الله خصمهم الأول، واعتبار حجاج بيت الله الحرام نَقَلَةَ هذا الدين ومبادئه العظيمة، وقد تعالت صيحات عديدة خوفاً وفزعاً من الإسلام، وليتهم عرفوا الإسلام وسماحته والخير الذي ستنعم به البشرية تحت ظله، الأمر الذي أثبته تاريخ المسلمين في غابر الأزمان.

ومضى فضيلته قائلاً: وأحسب أن مهمتنا لا ينبغي أن تتحصر في تطمين الخائفين من نور الإسلام، بل إن مهمتنا أن نثبت لكل عاقل محب الخير للبشرية أن مصلحة الناس قاطبة في هذا الدين، فما جاء الدين لإشقاء البشر، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ ، ولو وعينا ذلك

وعينا مهمتنا الأساس ولاستطعنا حماية صحوة المسلمين ولقدَّمنا خدمة عظيمة للبشرية جمعاء.

أما الدكتور محمد بن عبدالله بن إبراهيم الخرعان عضو هيئة التدريس في قسم الإعلام بكلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فقد اعتبر وسائل الإعلام بأجهزتها ومؤسساتها من أهم وسائل التنشئة الاجتماعية، وذلك لما تمتلكه من إمكانات عالية التأثير، ولما ينفقه الفرد العادي من أوقات طويلة أثناء تعرضه لها، ولما تقدمه من معلومات واسعة ومتنوعة وكثيرة، بصورة جعلت الفرد يعتمد عليها اعتماداً كبيراً في كثير من معارفه ومعلوماته المختلفة سواء منها المتعلق بشؤون حياته الخاصة، أو ما يتعلق بمعارفه العامة وسلوكياته، بل وما يتعلق بدينه ومعتقداته.

وقال في الصدد نفسه: إنه مع انتشار تقنية الاتصال وإتاحة استخدامها لجميع الناس نتيجة لسعة انتشارها وانخفاض تكاليفها، أصبح من الممكن الاعتماد عليها في تحقيق كثير من الأهداف التربوية والتعليمية، وأصبح الاعتماد عليها في مجال الدعوة إلى الله تعالى، ونشر دينه بين الناس، وتعليمهم أحكام ربهم في عباداتهم ومعاملاتهم، والاستفادة منها في توسيع دائرة التعريف بالإسلام بين غير المسلمين، ونشره بينهم، وإقامة الحجة عليهم أصبح ذلك الأمر من الواجبات التي يتحتم على المسلمين الاعتناء بها والاستفادة من فرصها بالشكل الأمثل.

وأشار الدكتور محمد الخرعان إلى أن أهل الباطل استغلوا وسائل الاتصال لنشر باطلهم، وصرف الناس عن فطرهم التي فطرهم الله عليها، وغزوا المسلمين في عقر دارهم، ولوثوا بيئاتهم بكل عفن فكري وأخلاقي من خلال القنوات الفضائية وشبكات المعلومات والوسائل الإذاعية والصحفية المتنوعة، وهذا الأمر مشاهد لا يحتاج إلى برهان أو دليل، لكن هذه الوسائل في حد ذاتها وسائل محايدة كالإناء يمكن توظيفها في الخير، كما يمكن توظيفها في غيره، ولسنا مسؤولين عن غيرنا ماذا عملوا؟ وماذا أفسدوا؟ ولكننا مسؤولون عن أنفسنا ماذا عملنا؟ وماذا أصلحنا؟ وماذا غيرنا من واقع الباطل وكسبنا في جانب الخير والحق؟

وأكد الشيخ الدكتور محمد الخرعان أن وسائل الاتصال الحديثة بشتى صورها وأشكالها أصبحت من أهم الوسائل المساعدة في نشر عقيدة التوحيد بين المسلمين على أوسع نطاق وبصورة أكبر وأسرع مما كان من قبل دون حواجز أو موانع تذكر، فالإذاعة والتلفاز وشبكات المعلومات تستطيع أن تصل المسلمين في جميع أنحاء العالم، وتستطيع الرسالة الدعوية الموجهة من خلالها الوصول إليهم دون عناء كبير، كما يمكن الاستفادة منها في موسم الحج بصورة كبيرة أيضاً، وذلك من خلال وضع البرامج والخطط المدروسة بعناية، والمعدة بشكل تراعى فيه جميع الظروف المتعلقة باللغة وتوقيت الرسالة الإعلامية وأسلوب عرضها وتقديمها، وطبيعة المعلومات المقدمة فيها، ويمكن تقديم ذلك من خلال خطة زمنية تسير في مراحل ثلاث:-

المرحلة الأولى :

ويراعى فيها حالة الحاج قبل الحج وما ينبغي أن يتعلمه لأداء نسكه على الوجه الصحيح من توحيد لله عز وجل، وإخلاص للنية، وتحر للنفقة الحلال، وصحبة صالحة، بجانب الاستعداد الحسي من توفر النفقة والزاد ووسيلة الرحلة المناسبة، والاستعداد البدني إلى غير ذلك من أمور.

المرحلة الثانية:

ويراعى فيها حالة الحاج أثناء الحج وما يتطلبه أداء الحج من معرفة للأركان والواجبات والسنن وعمل بها، وتجنب لما يناقض حجه من اعتقادات وأعمال وأقوال.

المرحلة الثالثة:

وتراعى فيها حالة الحاج بعد الحج وما ينبغي أن يستصحبه من توبة وملازمة للطاعة، واستقامة على منهج الله عز وجل.

وأضاف الدكتور الخرعان -في السياق نفسه- أنه يستعان في ذلك بكافة الوسائل المتاحة مثل الإذاعة والتلفاز ، وشبكات المعلومات، على أنه ينبغي أن يعرف أن الأمية تمثل نسبة عالية في الأمة الإسلامية، ويسيطر الفقر على طائفة كبيرة أيضاً منهم، مما يعني أنه ليس كل وسائل الإعلام تناسبهم خاصة الوسائل المكتوبة والإنترنت، وكذلك الوسائل مرتفعة التكاليف، فينبغي مراعاة ذلك في اختيار الوسيلة الإعلامية وفي طريقة العرض المناسبة، وفي الأسلوب كذلك، فوسيلة الإذاعة والكاسيت والفيديو والتفاز والرسوم التوضيحية

والمصورات أقرب إلى طبيعة الجمهور المستهدف من غيرها من الوسائل، وإن كان هذا لا يعني الاستغناء عن الوسائل الأخرى، أو عدم الاعتماد عليها فلكل وسيلة جمهورها.

وأوضح عضو هيئة التدريس في قسم الإعلام بكلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية أن الصحوة الإسلامية المعاصرة تعد أحد مظاهر العودة إلى نهج السلف الصالح والالتزام بالشريعة الإسلامية وفقا لما جاء في الكتاب والسنة، يقول الله تعالى: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ (١)،

فهم يودون أن يكفر المؤمنون، ومن لازم ذلك أنه يغيظهم إيمان المؤمنين، وبالتالي فعودة المسلمين إلى إسلامهم، وهو ما يعرف عنه بالصحوة الإسلامية تمثل بالنسبة للكفار مصيبة كبيرة يتحاشون وقوعها، وقد عملوا قرونا كثيرة من المكر والتخطيط والحرب السافرة على إبعاد المسلمين عن مصدر عزتهم وإيمانهم، وهو الكتاب الكريم والسنة المطهرة التي ارتبطت بالعودة إليهما والتمسك بهما كل مظاهر العزة والنصر في التاريخ الإسلامي، مصداقا لقول الرسول الكريم ﷺ : **(لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي)** وقال

---

(١) سورة الممتحنة: الآية ٢.

الرسول ﷺ : **(تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي)**، فلا معنى للصحوة والعودة إلى الإسلام إلا بالعودة للكتاب والسنة، وأما ما عدا ذلك فلا يسمى صحوة ولا عودة بالمعنى الحقيقي.

وحذر الدكتور محمد بن عبدالله بن إبراهيم الخرعان من أعداء الإسلام وما يقومون به من أعمال مشوهة لصورة الإسلام بسبب تلك الصحوة الإسلامية، حيث يقومون بتشويه صورة أهل الإسلام، واستغلوا في سبيل تحقيق ذلك بعض الصور السلبية التي يمارسها بعض المنتسبين إليه، وربما ضخموها أو صوروها على غير حقيقتها، كما هو الحال بالنسبة للمسلمين في فلسطين وفي الشيشان، وفي كشمير، في غيرها من مناطق العالم الإسلامي التي لازال الإعلام الغربي يصر على تشويه صورة المسلمين المستضعفين فيها، ويصور مقاومتهم للطغيان والظلم الواقع عليهم إرهاباً ووحشية وتطرفاً، متجاهلاً أساليب الإبادة الوحشية والعنف المتناهي في مواجهة هؤلاء الذين يدافعون عن دينهم وأعراضهم وأوطانهم بالأكف والصدور والنحور.

وخلص الدكتور الخرعان إلى القول: إن موسم الحج فرصة عظيمة لمعالجة هذا الاختلال في الفهم والتشويه المتعمد، وذلك يمكن من خلال عدد من الأساليب والخطوات التالية:

أولاً : استثمار هذه التجمع المبارك لإيصال الرسالة الصحيحة لمفهوم الإسلام الذي كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه إلى الحجاج، والعمل على ترشيد هذه الصحوة بتوثيق صلتها بالكتاب والسنة، ونحن نشاهد -بحمد الله تعالى- إقبالاً

كبيراً من مختلف جنسيات الحجاج على ما تقدم لهم من دروس ومحاضرات وفتاوى من قبل علماء المملكة، وهذه علامة رشد وظهور للحق، والمرجو تقديم المزيد من ذلك باستثمار جميع الفرص والإمكانات البشرية والمادية لتحقيق هذه الغاية العظيمة.

ثانياً: العناية بمؤسسات الطوافة من حيث علاقتهم بالحجاج والتزامهم بما بينهم من الشروط، فتأثير المعاملة الحسنة لا يقل عن تأثير الإعلام في نقل الصورة الجيدة عن المملكة العربية السعودية، وتوثيق العلاقة بها منهجاً ودولة.

ثالثاً: المساهمة في التحصين الذاتي للمسلمين، حيث أن كثيراً من المسلمين يقع ضحية لهذا التشويه الذي يمارسه الإعلام الغربي من خلال وسائله المختلفة، فتصحيح الصورة عند الحجاج عن أوضاع إخوانهم وما يعانونه من ظلم وتعسف نوع من العلاج، وهو تحقيق لمبدأ الوحدة الإسلامية الذي هو مبدأ إسلامي عظيم، ويتم هذا التحصين بتقديم المادة الإعلامية الحقيقية والصادقة عن أوضاع المسلمين في العالم، وإتاحة الفرصة لهم للتعرف على واقعهم من خلال المعارض والمواد الإعلامية المختلفة.

رابعاً: الحج موسم من أروع المواسم لنقل الصورة المثالية للمسلمين إلى العالم، حيث تجتمع هذه الملايين من شتى بقاع الأرض لهدف واحد وغاية واحدة، ويمارسون عبادات وشعائر واحدة، ويمر هذا التجمع الكبير في جو من الأمن والمظاهر السليمة الرائعة، ونقل هذه الصورة بروعتها وتلقائيتها وروحانيتها مما يسهم في تحقيق هذه الغاية، وإن كان الإعلام الغربي في أحيان كثيرة يعمل

على قلب الصورة، وتصوير هذا التجمع على أنه تهديد حقيقي لوحدته وتفـرده وهيمنته على العالم، لكن هذا ينبغي أن يدفعنا لمزيد من العمل على مواجهـة هذا التحريف فلابد للحق من أنصار يفهمون رسالته، ويدركونه علـى وجهـه الصحيح.

أما الأستاذ الدكتور محمد بن سالم بن شديد العوفي الأمين العام لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة فقال مـن جهتـه: إن الحج مظهر من مظاهر الوحدة بين المسلمين يتوافدون من كل فج عميق لهدف واحد وفي مكان واحد، وبلباس واحد، رغم اختـلاف أجناسـهم، وألوانـهم، ولغاتهم، وتباعد بلادهم، لا فرق بين غني وفقير، ولا أبيض وأسود، ولا عربي وأعجمي، ولا كبير وصغير، ولا رئيس ومرؤوس فهو مـن أعظـم مظـاهر الوحدة الإسلامية.

وأضاف فضيلته أنه على الرغم من الأيام المعدودات التي يقضيها الحاج في أداء شعيرة الحج، إلا أنها فرصة مناسبة لتوعيته وتبصيره بـأمور دينـه، وتصحيح ما لديه من اعتقادات خاطئة، وممارسة بدعية ظاهرة، وهـو أمـر يحتاج إلى تضافر الجهود، وحفز الهمم والطاقات، من قبل العلماء المؤهليـن للتوعية والتوجيه، وإن كانت هذه الاعتقادات والممارسات متأصلة لدى بعـض الحجاج، وتحتاج إلى وقت وجهد حتى يمكن تصحيحها في نفسه، ولكن بالحكمة والموعظة الحسنة، يمكن إزالة بعـض هـذه الرواسـب، وإحـلال العقيـدة الصحيحـة الخالية من شوائب البدع والخرافات محلها.

وأبان الدكتور العوفي أن الحج فرصة مناسبة لكثير من الحجاج للالتقاء بعلماء هذه البلاد والاستماع إلى خطبهم ومحاضراتهم، وفتاواهم وطرح أسئلتهم فيما يشكل عليهم من أمور يحتاجون فيها إلى علماء على عقيدة صحيحة وعلم واسع لتبصيرهم بأمور الدين، وإرشادهم إلى الطريق الصحيح، واصفاً هذا التجمع الإسلامي الكبير في وقت واحد ومكان واحد لا فوارق ولا حواجز بأنه مظهر عظيم من مظاهر وحدة المسلمين وترابطهم، وهو موقف يدعو إلى التدبر والتأمل وإثارة الغيرة الإسلامية في النفوس، والدعوة إلى الوحدة، والتآزر والتكاتف بين الشعوب الإسلامية.

وأشار الأمين العام لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف إلى أن كثيراً من الحجاج يقضي سنوات طويلة من عمره وهو ينتظر هذه الفرصة التي قد لا تتكرر معه مرة أخرى، وربما أنفق كل ما ادخره من أجل أن يؤدي هذه الفريضة، لذا عليه قبل أن يقدم للحج والعمرة أن يعرف كيف يؤدي حجه أو عمرته على الوجه الصحيح، وأن يسأل العلماء في بلاده، وأن يطلع على الكتب النافعة والمفيدة في ذلك.

وأضاف فضيلته -في سياق حديثه - قائلاً: وإذا قدم الحاج للمملكة فإنها -والحمد لله- سخرت كافة إمكاناتها لخدمة الحاج والمعتمر والزائر، ومن ذلك بث الدعاة والعلماء والمفتين في كل مكان للقيام بتوجيه الناس، وتبصيرهم بأمور حجهم وعمرتهم، والاجابة على أسئلتهم واستفساراتهم **مشيراً فضيلته** إلى ما تقوم به وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بهذه

المناسبة في كل عام من جهود كبيرة في سبيل خدمة الحجاج والمعتمرين له آثاره الواضحة في بث الوعي بينهم.

وقال الدكتور العوفي: إن المملكة ممثلة في هذه الوزارة وفي هذا العهد الزاهر عهد خادم الحرمين الشريفين قد وفرت للحاج كل وسائل الراحة والطمأنينة، حتى يؤدي حجه بكل يسر وسهولة دون أية منغصات أو صوارف تصرفه عن التفرغ للعبادة التي ينبغي أن يتفرغ لها، وأن لا يشغل نفسه بما يفسد له حجه، من رفث أو جدال أو فسوق.

وأبرز الأمين العام لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ما تضطلع به هذه الوزارة من جهود كبيرة من أجل خدمة الحجاج وتوعيتهم وتبصيرهم بأمور حجهم وعمرتهم، فلا ينتهي موسم من مواسم الحج إلا ويبدأ الإعداد والتخطيط مباشرة لما يمكن أن تقوم به في موسم الحج القادم، فهناك لجنة عليا لأعمال الوزارة في الحج يرأسها معالي الوزير تخطط وتشرف على أعمال الوزارة في الحج.

وأكد فضيلته أن لهذه الجهود التي قامت وتقوم بها هذه الوزارة أثراً واضحاً وملموساً في بث الوعي بين الحجاج، وذلك من خلال المحاضرات والدروس العلمية في المساجد، وفي أماكن متعددة أخرى في المشاعر في منى وعرفة، ومزدلفة، والأعداد الكبيرة من الحجاج الذين يتصلون ويستمعون لهؤلاء الدعاة يعطي دلالة واضحة على أهمية العمل الذي تقوم به هذه الوزارة، **مبيناً** أن هذا لا يقتصر على بث ونشر الدعاة للتوجيه والإرشاد فقط،

بل وتوزيع الكتب النافعة والمفيدة، بلغات مختلفة، وفي مقدمة ذلك تراجم ومعاني القرآن الكريم التي توزعها الوزارة بأكثر من ثلاثين لغة من لغات العالم.

ووصف الدكتور العوفي- في هذا الصدد- ما تقدمه هذه الوزارة تنفيذاً لأمر خادم الحرمين الشريفين -حفظه الله- من مصاحف عبر منافذ المملكة البرية والجوية والبحرية لكل حاج أو حاجة يغادر المملكة بأنه أمر عظيم ترك شعوراً غامراً لدى هؤلاء الحجاج بما تقدمه هذه البلاد من خدمة جليلة للإسلام والمسلمين، وقد بلغ عدد ما يوزع من مصاحف في كل عام أكثر من مليون نسخة، عدا الكتب الأخرى.

مؤكداً فضيلته في هذا الصدد أن وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد تقوم بدور رائد في بث الوعي لدى الحجاج وتبصيرهم بأمور دينهم،ونشر العقيدة الصحيحة بينهم.

وأكد فضيلته أن المملكة بقيادة خادم الحرمين الشريفين، وسمو ولي عهده الأمين، وسمو النائب الثاني -حفظهم الله- لها دور الريادة في العالم الإسلامي، اهتماماً بأمور المسلمين وخدمة لقضاياهم ومناصرتهم والدفاع عن حقوقهم في المحافل الدولية، **مبيناً** أن الرعاية العظيمة التي تقوم بها المملكة للحرمين الشريفين والمشاعر المقدسة، والتي لم يشهد التاريخ لها مثيلاً تبرز حرص المملكة على ما فيه راحة المسلمين وأمنهم واطمئنانهم، كما أن رعايتها وعنايتها بالكتاب والسنة من خلال تلك المنشأة العظيمة "مجمع الملك فهد

لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة" الذي يقوم بترجمة معاني القرآن الكريم إلى أكثر من ثلاثين لغة من لغات العالم دليل آخر على هذا الدور الريادي الذي تضطلع به المملكة.

وقال فضيلته إن هذه البلاد قامت على قاعدة متينة من العقيدة الصحيحة، فمنذ أن وحدها القائد الباني الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود – رحمه الله– وهي تحكم كتاب الله وسنة نبيه ﷺ في مختلف شؤون الحياة، وتطبق تعاليمها بكل عناية، لذا فإنها تسعى دائما لوحدة صف المسلمين، ورأب ما يعتريهم من فتوق ورتوق، وتسعى جاهدة لنشر العقيدة الصحيحة من خلال مرافقها المختلفة، دعوية أو إعلامية أو تعليمية أو تثقيفية.

وطالب العوفي في ختام حديثه المسلمين بتربية بأبنائهم على العقيدة الصحيحة، والتعاليم الإسلامية السمحة، حتى تحميهم –بإذن الله تعالى– من الإنزلاق وراء التيارات والمذاهب المنحرفة، التي تجند كل طاقاتها لاستقطاب الشباب، والتأثير فيهم والحيلولة بينهم وبين منهل الإسلام الصافي، **مؤكدا** أن الحج وسيلة من الوسائل التي يمكن من خلالها التنبيه على أهمية التمسك بالعقيدة الصحيحة، وتربية الأبناء تربية إسلامية صالحة بعيدة عن الانحراف، والغلو والتطرف.

ومن جهته أبان الدكتور عبدالعزيز بن إبراهيم العمري عضو هيئة التدريس بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية أن الله سبحانه وتعالى فرض الحج على المسلمين ليتقوه وليسيروا في طريق

التوحيد على ما سار عليه إبراهيم الخليل مجيبين لدعوته عليه السلام ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (١).

ومنذ أن صدع إبراهيم عليه السلام بهذا النداء لم تنقطع الجموع المؤمنة عن مكة ملبية نداء الخليل رافعة أصواتها بالتلبية لله والبراءة من الشرك، وقد بين الرسول ﷺ بقوله: (**أفضل الجهاد حج مبرور**) رواه البخاري، فالحج المبرور هو الذي لا يخالطه إثم، كما قال بعض العلماء: وأذى الناس من أعظم الإثم ومما يفرق بينهم ويمزق وحدتهم.

وأفاد الدكتور عبدالعزيز العمري في سياق حديثه: أن في الحج منافع للناس من الألفة والتعارف والبيع والشراء والتعاون على الخير، قال تعالى: ﴿ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴾ (٢).
ولا شك أن هذه المنافع لا تتأتى بين الناس إلا بالاختلاط والتعارف المحدد بضوابط الشرع البعيد عن الفسوق والجدال، وغير ذلك مما يفرق الناس ويبعد المسلمين بعضهم عن بعض، قال سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ

---

(١) سورة الحج: الآية : ٢٧.
(٢) سورة الحج : الآية ٢٨.

فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ (١).

كما أن الله تعالى حث الناس على التعارف في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ .

وقال الدكتور العُمري: لا شك أن اجتماع المسلمين في الحج فيه من التلاحم والترابط ما يعرف به بعضهم بعضاً، حيث يتعلم الجاهل من العالم، وكذلك انتشار العلم الصحيح في حد ذاته من أهم أسباب الوحدة بين المسلمين، حيث أن البعد عن البدع والتمسك بهدي النبي ﷺ هو من أهم أسباب التوحيد وقلة الخلاف، وللعلماء دور بارز في توجيه الناس في موسم الحج سواء من ذلك ما يتعلق بإرشاد الحجاج في مناسكهم أو ما يتعلق بأخلاقهم وتعاملهم مع الآخرين وسائر ما يساعدهم في أمور دينهم ودنياهم، كما أن الجهات الدعوية المختلفة وعلى رأسها وزارة الشؤون الإسلامية وغيرها من الجهات الإرشادية تستشعر المسؤولية في هذا الموسم العظيم، وعلى الدعاة العاملين بين الحجاج أن يركزوا على تحبيب المسلمين بعضهم ببعض، وتخلقهم بما يحب الله

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٧.

ورسوله من الرحمة بالآخرين والعطف عليهم وحسن التعامل معهم، وإبعادهم عن الخلاف والشقاق وزيادة التعاون والمحبة بينهم.

واستطرد عضو هيئة التدريس بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام قائلاً: كما أن على الحجاج أنفسهم واجبات عظيمة فيما بينهم سواء منهم الحجاج من داخل المملكة أو خارجها فهي فرصتهم في تعريف الأخرين بأنفسهم وأحوالهم، فكثيراً ما عرف المسلمون عن بعض البلدان البعيدة عن طريق الحجاج وعرفت قضاياهم وشؤون المسلمين في بلدانهم وشاركهم المسلمون همومهم وساعدوهم بما يستطيعون.

وذكّر الدكتور عبدالعزيز العُمري بأن العديد من المحاضرات والندوات عن قضايا المسلمين التي تنظم في وقت الحج من مختلف الجهات المسؤولة في المملكة تسهم بشكل فعال في تغطية احتياج المسلمين في إيصال ما يرغبون إلى المسلمين والعالم، وفي مناقشة همومهم وتطلعاتهم وشرح قضاياهم المختلفة.

وأكد الدكتور العمري أن هذا الاجتماع الإسلامي للألوف من المسلمين سيثمر -بإذن الله تعالى- على تجانس فكري وتقارب عملي يخدم قضايا المسلمين في مختلف أنحاء العالم، وهذا ليس بجديد على المسلمين، فالمطالع لتاريخ الحج يدرك كم التقى فيه من العلماء والقادة والمفكرين عبر العصور وكم نتج عن تلك اللقاءات من علوم وعزة للمسلمين، **منوهاً في الوقت نفسه** بما يراه في موسم الحج من أعمال بر عظيمة مختلفة يقوم بها الموسرون من

أبناء هذه البلاد خاصتهم وعامتهم لسقيا الحجاج، وتقديم الطعام لهم مما أنعم الله به عليهم مما يجعل المسلم يحس بعمق بتلاحم إخوانه المسلمين، وخدمة بعضهم لبعض في مثل هذا الموسم العظيم.

أما بالنسبة لفضيلة الدكتور أحمد بن يوسف بن أحمد الدريويش الأستاذ المشارك في كلية الشريعة بالرياض قسم الفقه بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية فتحدث قائلاً: إن الحج فريضة من فرائض الإسلام، وأحد مبانيه الخمس العظام، فرض على المسلم مرة واحدة في العمر لمن استطاع إليه سبيلاً يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ، مبيناً أن الحجاج والعمار والزوار ضيوف الرحمن دعاهم فأجابوا فكان من حقهم عليه أنهم إذا سألوه أعطاهم، وإذا استغفروه غفر لهم، وإذا أنفقوا فيه خلفه عليهم بمنه وكرمه سبحانه وتعالى.

واستطرد فضيلته في سياق كلامه قائلاً: والحج فرصة عظيمة للتزود من العلم النافع والعمل الصالح، وذلك يكون أولاً باختيار الرفقة الصالحة والصحبة الفاضلة من أهل العلم والفقه والديانة والاستقامة، واصطحابهم، حتى لا يقدم على حكم عملي إلى بعد معرفة حكم الله فيه، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ .

وشرح فضيلة الدكتور أحمد الدريويش أهمية العلم النافع بقوله: العلم النافع هو العلم المستقى والمستمد من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

وأكد فضيلته بأن على الحاج أن يحرص على اغتنام هذه الفرصة الثمينة، والأوقات الفاضلة، فيصرف وقته بالإضافة إلى العبادة المفروضة والمستحبة، إلى العلم النافع بملازمة أهله والأخذ عنهم، والتلقي من أفواههم، والنهل من معينهم الذي لا ينضب ويستفيد مما عندهم لتصحيح ما لديه من معلومات مغلوطة إن كانت في السلوك أو المعتقد، ويعمل على الاستزادة من علوم الشريعة بكافة لا سيما علم التوحيد، لأن فيه نجاته وخلاصه من الشرك وأنواعه، أو فعل ما يضاد الدين أو ينقصه، وحتى يرجع إلى قومه حاملا رسالة هذا الدين الصحيحة، وعقيدته السليمة الصافية النقية.

ومضى فضيلته قائلا: ويرجع الحاج إلى قومه وقد تحقق المقصد الأعظم من مقاصد الحج وهو توحيد الله عز وجل وإقراره بالعبادة التوحيد بأنواعه الثلاثة **(توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات)** متمثلا في قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ ، فمظاهر التوحيد والابتعاد عن الشرك.

وأشار الدكتور أحمد الدريويش في مشاركته في هذه الندوة إلى أن لف هذه الأمة الصالح كانوا قد جعلوا من العلماء والحفاظ وطلبة العلم من مشارق

الأرض ومغاربها، والاستفادة والإفادة منهم ولهم في هذا التجمع الإسلامي الموسمي الكبير، والرجوع إلى بلدانهم بإضافات علمية بالغة من شتى العلوم الشرعية. مما كان له أكبر الأثر في الأخذ عنهم، وشد الرحال لملازمتهم، وتصحيح ما شاع في بلدانهم من بدع ومخالفات شرعية، ودحض لحجج المبطلين، ورد على المغرضين.

وذكر الدكتور الدريويش أن الله قيض بحمده ومنته لبلاد الحرمين الشريفين -حرسها الله أئمة صالحين، وعلماء ربانيين، ودعاة مصلحين من أول اهتماماتهم نشر العلم الشرعي الصحيح، وبذله لمحتاجه، والذود عن عقيدة الإسلام الصافية النقية، وإبلاغ هذا الدين كما جاء عن الله تعالى، وعن رسوله ﷺ وسلف هذه الأمة الصالح، ومحاربة الضلالات والخرافات والمبتدعات في الدين سواء كانت في العبادات أم في المعتقدات، والإنكار في فاعليتها، وتعاهدهم بالنصح والدعوة والبيان والحجة والبرهان.

وأوضح فضيلته أن الحج عبادة تستلزم مجاهدة النفس والصبر واحتساب الأجر والثواب من رب الأرباب وأنه يجب على الحاج أن يحرص على أن يكون حجه لله خالصاً، ولسنة رسوله ﷺ متبعاً، فيؤدي نسكه وفق ما جاء عن الله، وعن رسوله ﷺ من غير زيادة أو نقصان أو تفريط أو جنف، امتثالاً لقوله ﷺ : **(خذوا عني مناسككم)**، وكذلك الحرص على الإنصراف لأداء ما قدم من أجله، وهو أداء هذا الركن الإسلامي العظيم فلا يعبد إلا الله بما شرع وليسأل أهل الذكر في كل ما صعب عليه فهمه، وأشكل عليه علمه.

وأكد الأستاذ المشارك في كلية الشريعة بالرياض قسم الفقه أن موسم الحج هو فرصة مناسبة وعظيمة لتوحيد كلمة المسلمين، وجمع شملهم في مكان واحد وعلى صعيد واحد تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، كما هو فرصة للتعارف والتناصف والتشاور وتوحيد القوى وتحل المشكلات وإعداد العدة لمجابهة الشرك وأهله، فالناس في هذا الموقف العظيم رغم اختلاف أجناسهم وألوانهم وتباين ألسنتهم وتباعد أمكنتهم إلا أنها تذوب وتسقط ولا يبقى لها اثر، ولله الأمر من قبل ومن بعد، فالرب واحد، وكلهم من آدم، وآدم من تراب لا فضل لأحد على أحد، ولا لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾.

وحذر الدكتور أحمد الدرويش الحجاج من ترديد الشعارات في الحج، والهتافات، ودعوة لفكر أو مذهب أو حزب **(فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج)** بل عبادة وذكر وطلب علم نافع ودعاء وقراءة قرآن ونصح وتوجيه وإرشاد ودعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، واستقامة على الدين وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وإلحاح على الله والثبات على هذا الدين.

وأشار الدكتور أحمد الدريويش إلى أن موسم الحج هو فرصة للعبادة والتزود من العمل الصالح والعلم النافع، ولتلبية دعوة إبراهيم الخليل عليه

السلام واقتفاء سنة سيد المرسلين محمد ﷺ، كما في قوله تعالى:﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾.

ونبه الأستاذ المشارك في كلية الشريعة بالرياض قسم الفقه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الحجاج أن بعضهم يقوم بسلوكيات خاطئة ومخالفات وهذا يتنافى مع الشريعة الإسلامية السمحة، وحذر من تسول له نفسه ارتكابها أن يتقي الله ويخاف عقابه، ويستشعر عظمة الخالق، وشرف الزمان والمكان، وأن عقاب الله بالظالمين لواقع إن عاجلاً أو آجلاً.

واستعرض الدكتور الدريويش بعض تلك السلوكيات التي تنحصر في الآتي:

السرقة:

قد يتستر البعض أو القلة من الحجاج بزي الحاج زوراً وبهتاناً بهدف السرقة وبخاصة في المواضع المزدحمة بالحجاج والعمار كالطواف والسعي ورمي الجمرات، وأثناء الدخول والخروج من أبواب الحرم وفي الممرات ودورات المياه وأماكن التسوق، مستغلين غفلة الحاج أو انشغاله بأداء نسكه بخشوع وطمانينة، أو كبر سنه، وشعوره بالأمن والاطمئنان في هذا المكان

الطيب المبارك، مما يعرض المجني عليه لضائقة مالية وربما نفسيه قد تصرفه عن أداء نسكه الذي قدم من أجله على الوجه المطلوب، وأن كانت والحمد لله عيون رجال الأمن في ظل هذا البلد ويقظتهم لهؤلاء السراق والنشالين واللصوص بالمرصاد.

الابتعاد عن المزاحمة والمدافعة:

مما ينبغي للحاج أن يراعيه أثناء حجه: الابتعاد عن المزاحمة والمدافعة لما في ذلك من الإيذاء وبخاصة أثناء الطواف -لا سيما أثناء تقبيل الحجر الأسود- أو السعي أو رمي الجمرات، وقد نهى سبحانه وتعالى عن إيذاء المؤمنين والمؤمنات بأي نوع من أنواع الإيذاء، يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ .

الابتعاد عن اللجاج والخصام والنزاع:

لأن ذلك ينقص الحج، وربما أدى إلى فساد النسك فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج، فقد قال الله عز وجل: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ، فقوله: (ومن يرد) يفيد أن مجرد الهم وإرادة الإلحاد يعد معصية جزاؤها العذاب الأليم، فكيف بمن هم وفعل؟

وأضاف **الدكتور أحمد بن يوسف الدريويش** أنه روي عن الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود قوله فيما رواه عنه ابن ابي حاتم في تفسيره: (**لو أن رجلا أراد فيه بإلحاد بظلم وهو بعدن أبين لأذاقه الله من العذاب الأليم**) **مؤكدا فضيلته** على أهمية أن يكون الحاج واعيا لتلك التعليمات، عالما أن الدولة - رعاها الله- قد بذلت جهدا كبيرا وجبارا، واستنفرت كافة أجهزتها المعنية المادية والبشرية في سبيل تهيئة كل سبل الراحة والطمأنينة للحجاج والعمار والزوار وفق أعلى المستويات وأفضل الإمكانات من حقها على كل مسلم مراعاة ذلك والمحافظة على هذه المرافق والخدمات وعدم العبث بها أو استخدامها في غير ما وجدت من أجله، والتقيد بالأنظمة والتعليمات والإرشادات الصادرة بهذا الشأن من طاعة لولاة الأمر المقرونة طاعتهم بطاعة الله وطاعة رسول الله ﷺ، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾

وأهاب **فضيلته بكل مواطن ومقيم وزائر** أن يكون معينا للمسئولين ومؤازرا لهم على أداء هذا الواجب الديني الشرعي الذي شرفهم الله به والله من وراء القصد.

أما عن عناية الدولة بتوعية الحجاج، فقد أكد فضيلة الدكتور أحمد الدريويش على أن المملكة العربية السعودية منذ تأسيسها على يد المغفور له - بإذن الله تعالى- الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود -طيب الله ثراه- التزمت بتطبيق شرع الله، والتمسك بهدي رسول الله ﷺ ونشر العقيدة الحقة

– عقيدة التوحيد والتباعين وتابعيهم بإحسان، وبذلت في ذلك كل غال ونفيس وجعلت ذلك من أول مهماتها.

واستطرد الدكتور الدريويش قائلا: إن عناية الدولة بأمور الحج والحجاج تجسدت في اختيار وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد عدد من الدعاة من العلماء وطلبة العلم الشرعي المؤهلين لإلقاء المحاضرات والندوات والدروس العلمية والكلمات الوعظية والتوعوية في موسم الحج من كل عام، وذلك في المشاعر وغيرها، بل من حين يدخل الحاج حدود المملكة العربية السعودية برا أو جوا أو بحرا وحتى يغادرها –بحفظ الله– فهو في عهدة وتحت كفالة هذه الدولة المباركة من حين يقصد أداء هذا الركن العظيم، لاسيما في مجال التثقيف الشرعي، والدلالة إلى سلوك الطريق المستقيم، وأداء هذا النسك وفق الهدي النبوي، متمما أركانه وشروطه وواجباته ومستحباته من غير خلل أو نقص أو تقصير، بعيدا عن البدع والخرافات والمعتقدات الباطلة.

وأضاف فضيلته أن المملكة جندت كل وسائل إعلامها المقروءة والمرئية والمسموعة بكافة اللغات العالمية، العربية، والإنجليزية، والأوردية، والأندونيسية، والفرنسية، وغيرها في هذه المناسبة الإسلامية السنوية، كل ذلك بهدف أداء الحاج نسكه على الوجه الصحيح.

وأكد الأستاذ المشارك في كلية الشريعة بالرياض قسم الفقه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في ختام حديثه أن كل ذلك له أثره المحسوس على كثير من الحجاج، فتصحيح المفاهيم المغلوطة والمعتقدات الفاسدة، والمناصحة، والمجادلة بالحسنى، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشروطه مطلب إسلامي كبير وإحقاقا للحق، وإبطالا للباطل ونصحا للأمة، وإبراء للذمة، وهو ما اضطلعت به المملكة العربية السعودية بتوجيه كريم من ولاة الأمر فيها -أيدهم الله بنصره-.

النتائج والتوصيات

وفي ختام هذه الندوة أورد بعض التوصيات التي توصل إليها أصحاب الفضيلة والسعادة، وذلك لمعرفة كيفية تأثير الحج في تحقيق التوحيد لدى حجاج بيت الله الحرام، ومنها:

أولا: إن صيانة حرمات الله تحقق الأمان، وتنتزع من النفوس بواعث السوء، وتعظيم هذه الحرمات يكون بالوقوف عليها، وامتثال شرع الله فيها، والقصد لطاعته سبحانه.

ثانيا: أن الحج من أبرز المعالم الوضيئة في تحقيق الأخوة التي تمثل وحدة المسلمين فعلى الحاج أن يستشعرها ويراعيها في سلوكه وتصرفاته وأقواله وأفعاله أثناء فترة حجه ووجوده في المشاعر المقدسة ويكون قدوة حسنة لأهله وإخوانه المسلمين بعد عودته إلى بلاده.

ثالثا: على من قدم من وطنه وتكبد مشاق السفر، وترك الأهل والأوطان وقدم إلى هذه البقعة المباركة، أن يتذكر أنه ما تجشم العناء إلا طاعة لله ولرسوله، فليجتهد أن يرى الله تعالى من نفسه خيرا.

رابعا: أن تنظم المحاضرات والدروس العلمية للعلماء والمشائخ مصدرا للدعاة إلى الله ينهلون منه جيد العلم، ويقتبسون منه فصاحة اللفظ وأدب الدعوة والخطابة، وسماحة الأسلوب، ولطف المنطق.

خامسا: أهمية التنسيق والتعاون بين الدول الإسلامية وممثلي الأقليات الإسلامية في العالم لقول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾، فكل ما يجلب الخير لدين الله وأتباعه إنما هي من البر وسبب من أسباب التقوى إذا سار على النهج الرباني، فليتنا اتخذنا هذا الجانب سبيلا يعيد إلى الأمة مجدها وسؤددها.

سادسا: استثمار هذا التجمع المبارك لإيصال الرسالة الصحيحة لمفهوم الإسلام الذي كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه إلى الحجاج، والعمل على ترشيد هذه الصحوة بتوثيق صلتها بالكتاب والسنة، وكذلك استثمار جميع الفرص والإمكانات البشرية والمادية؛ لتحقيق هذه الغاية العظيمة.

سابعا: العناية بمؤسسات الطوافة من حيث علاقتهم بالحجاج والتزامهم بما بينهم من الشروط، فالمعاملة الحسنة لها تأثير قوي في نقل الصورة الجيدة عن المملكة العربية السعودية، وتوثيق العلاقة بها منهجا ودولة.

ثامنا: المساهمة في التحصين الذاتي للمسلمين، بتقديم المادة الإعلامية الحقيقية والصادقة عن أوضاع المسلمين في العالم، وإتاحة الفرصة

لهم للتعرف على واقعهم من خلال المعارض والمواد الإعلامية المختلفة.

تاسعا: الإستفادة من الجهود الدعوية والإرشادية التي تقوم بها وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، وذلك من خلال المحاضرات والدروس العلمية التي تقام في المساجد وفي المشاعر المقدسة وذلك بتسجيلها أو طباعتها على شكل مختصرات جيبية لطيفة وتوزيعها على الحجاج والمعتمرين في مداخل البلاد ومحطات المسافرين.

عاشرا: توعية المسلمين بواجبهم تجاه أبنائهم لتربيتهم على العقيدة الصحيحة، والتعاليم الإسلامية السمحة، لحمايتهم -بإذن الله تعالى- من الإنزلاق وراء التيارات والمذاهب المنحرفة.

حادي عشر: على الدعاة العاملين بين الحجاج أن يركزوا على تحبيب المسلمين بعضهم ببعض، وتخلقهم بما يحب الله ورسوله من الرحمة بالآخرين والعطف عليهم وحسن التعامل معهم، وإبعادهم عن الخلاف والشقاق وزيادة التعاون والمحبة بينهم.

ثاني عشر: الحج فرصة عظيمة للتزود من العلم النافع، والعمل الصالح، وذلك يكون باختيار الرفقة الصالحة والصحبة الفاضلة من أهل العلم والفقه والديانة والإستقامة، لما في ذلك من الفوائد العظيمة في الدنيا والآخرة.

ثالث عشر: الحج عبادة تستلزم مجاهدة النفس والصبر واحتساب الأجر والثواب من رب الأرباب، فعلى الحاج أن يحرص على أن يكون حجه لله خالصا، ولسنة رسوله ﷺ مطابقا، فيؤدي نسكه وفق ما جاء عن الله، وعن رسوله عليه الصلاة والسلام من غير زيادة أو نقصان أو تفريط أو جنف.

وهكذا يرتبط التوحيد الخالص بالحج، ويجب أن يعود الحجاج من حجهم وقد تخلصوا من الشرك دقيقه وجليله، حقيره وعظيمه، فلا طواف حول القبور، ولا استغاثة إلا بالله، ولا محبة إلا في الله، ولله، ولا عبادة للدرهم والدينار، ولا ذهاب للسحرة والكهان والعرافين... وتلك، وربي، من منافع الحج، وما فقه الحج ومنافعه من عاد يمارس شيئا من أنواع الشرك التي حرم الله، وإياك أخي المسلم، أن تعرض نفسك للخطر، وتخرجها من دائرة الذين يغفر الله لهم إذ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾

ولا يسعني في نهاية هذه الندوة إلا أن أتوجه بالشكر الجزيل لله جل وعلا، ثم لأصحاب الفضيلة والسعادة الذين شاركوا معنا في هذه الندوة المباركة، وتوصلوا إلى أمور عديدة؛ لتحقيق التوحيد لدى الحجاج من خلال مناسك الحج، والله أسأل أن ينفع بالجهود، ويكلل المساعي بالنجاح والتوفيق، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أحكام الحج

للشيخ محمد بن صالح العثيمين

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بعثه الله تعالى رحمة للعالمين وقدوة للعاملين وحجة على المبعوث إليهم أجمعين فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

فإننا بمناسبة استقبال مسوم الحج سنتكلم عنه في هذه الفقرات:

الفقرة الأولى : متى فرض الحج

فرض الحج في السنة التاسعة من الهجرة فرضه الله على عباده بقوله: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

ولم يفرض قبل ذلك لأنه والله أعلم لما كانت مكة قبل السنة التاسعة بلاداً يسيطر عليها المشركون وكانوا يمنعون من أراد الوصول إلى البيت كما منعوا النبي ﷺ في غزوة الحديبية عن إتمام عمرته أقول لما كان البلد الأمين تحت سيطرتهم لم يفرض الله عز وجل وله الحكمة على عباده الحج لئلا يحال بينهم

وبينه للحمية الجاهلية التي كانت قريش تستعملها مع من يؤم البيت ولما فتحت مكة في رمضان في السنة الثامنة من الهجرة صارت بلاد إسلام فصار الحج إليها ممكناً ففرض الله الحج في السنة التاسعة من الهجرة ولم يحج النبي ﷺ في تلك السنة لأن ذلك العام أي عام تسع من الهجرة كان عام الوفود وفود العرب إلى رسول الله ﷺ لأنه لما فتحت مكة وهزمت ثقيف لم يبق للعرب شوكة ولا صولة فصاروا يفدون إلى النبي ﷺ معلنين إسلامهم متفقهين منه ﷺ في دينهم، فصار ﷺ باقياً في المدينة لاستقبال الوفود ثم هناك علة أخرى وهي أنه في السنة التاسعة كان من الحجاج من هو مشرك فكانت حكمة الله عز وجل تقتضي الا يخالط المسلمين أحد من المشركين مع نبيهم محمد ﷺ، ولهذا نادى منادي رسول الله ﷺ في السنة التاسعة من الهجرة ألا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فحج المسلمون وحدهم حجاً خالصاً لله في السنة العاشرة من الهجرة ولم يخالطهم أحد من المشركين وكانت تلك الحجة حجة الوداع فهي أول حجة حجها النبي ﷺ بعد الهجرة وآخر حجة حجها النبي فكانت هذه أول وآخر حجة حجها النبي ﷺ ودع فيها أمته فقال: (**لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا**) فهذا زمن فرض الحج الذي جعله الله سبحانه وتعالى أحد أركان الإسلام.

الفقرة الثانية: شروط الحج

شروط الحج خمسة: الإسلام - والبلوغ- والعقل- والحرية والاستطاعة.

وأهم شروطه: الاستطاعة، والاستطاعة تكون في البدن وحده، وفي المال وحده، وتكون فيهما جميعاً، أي أن الإنسان يمكن أن يستطيع الوصول إلى مكة ببدنه دون ماله، أو بعبارة أصح أن يؤدي الحج ببدنه دون ماله أو بماله دون بدنه أو بمهما جميعاً فإن عجز عن الحج بماله وبدنه لم يجب عليه وإن قدر عليه بماله وبدنه وجب عليه وإن قدر عليه بماله دون بدنه وجب عليه.

مثال الاستطاعة بالبدن: فقير من أهل مكة ليس عنده دراهم لكنه يستطيع أن يؤدي المناسك على قدميه فهذا يلزمه الحج لأنه قادر عليه ببدنه وإن كان ليس ذا مال يستطيع أن يحج به ومثال الاستطاعة بالمال رجل عنده قدرة مالية لكنه لا يستطيع الحج بنفسه لعدم قدرته على ركوب الراحلة أو لمرض لا يرجى برؤه، فهذا عاجز ببدنه قادر بماله فيجب عليه الحج لحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة قالت للنبي ﷺ إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يثبت على الراحلة أفأحج عنه قال نعم وذلك في حجة الوداع.

فهذا الحديث يدل على فرض الحج على من كان قادراً بماله دون بدنه فما وجه الدلالة منه؟

قول المرأة أدركته فريضة الله على عباده في الحج ولم يقل النبي ﷺ إنه لم يفرض عليه، بل أقر قولها هذا، فهذا الذي لا يستطيع ببدنه لكن عنده مال نقول له: يجب عليه أن ينيب من يحج عنه ولكن لا ينيب أحدٌ أحداً إذا كان الحج فرضاً عليه ولم يؤده عن نفسه بل يبدأ بنفسه أولاً؛ لقول النبي ﷺ **(ابدأ بنفسك ثم بمن تعول).**

ومثال الاستطاعة بالمال والبدن جميعاً: أن يكون عند الإنسان مال وعنده قدرة على الحج ببدنه فهذا يجب عليه الحج ولا إشكال.

واعلم أن القدرة بالمال لا تتحقق إلا إذا كان عند الإنسان مال فاضل عن نفقته ونفقة عياله وفاضل على الديون التي عليه وعلى هذا فمن عنده مال لكن عليه ديون تستغرق هذا المال فلا حج عليه، لأنه غير مستطيع، ولو مات فهل يعاقب على عدم حجه؟

الجواب: لا لأنه غير واجب عليه، ومن هنا تعلم أنه لا ينبغي أن يضيق صدر المدين الذي لم يتمكن من الحج لأنه دينه يستغرق ماله نقول له لا يضق صدرك ولا تكن في حرج لأن الله لم يوجب عليك الحج فأنت والفقير الذي لا يجد شيئاً على حد سواء ولو مت لمت على الفطرة لأن الحج ساقط عنك والله أعلم.

الفقرة الثالثة: وهي المواقيت وحكم الإحرام منها

المواقيت هي الأمكنة التي عينها النبي ﷺ ليحرم الناس منها وهي خمسة: ذو الحليفة، والجحفة، ويلملم ، وقرن المنازل، وذات عرق.

فذو الحليفة: لأهل المدينة، والجحفة: لأهل الشام، ويلملم: لأهل اليمن، وقرن المنازل: لاهل نجد وذات عرق: لأهل العراق.

وقد عينها النبي ﷺ لهذه البلدان قبل أن تفتح وهذا من آيات النبي ﷺ لأن تعيينها قبل أن تفتح هذه البلدان إشارة إلى أن هذه البلدان سوف تفتح ويحج أهلها ولهذا قال ابن عبدالقوي في منظومته الدالية المشهورة:

وتحديدها من معجزات نبينا   لتعيينها من قبل فتح المعدد

أي أنه عينها قبل أن تفتح هذه البلدان.

فذو الحليفة أبعد المواقيت عن مكة وهي ميقات لأهل المدينة ولمن مر عليها من غيرهم فأهل نجد وأهل العراق وأهل الشام وغيرهم إذا مروا عن طريق ذي الحليفة وجب عليهم أن يحرموا منها، وفائدة إيجاب الإحرام من الميقات الذي يمر عليه الحاج في أمرين الأمر الأول ألا يشق عليه لأنه قد يمر الشامي بميقات أهل اليمن.

فلو قلنا أن الشامي لا يحرم إلا من الجحفة ألزمنا من مر من أهل الشام بيلملم أن يذهب إلى الجحفة وهذا فيه مشقة عليه.

أما الفائدة الثانية فليتفق المسلمون بالبداءة بالإحرام لأننا لو قلنا أن الشامي إذا مر بذي الحليفة فلينتظر حتى يبلغ الجحفة وكان معه رفقه من أهل المدينة صار هؤلاء الرفقة بعضهم محرم وبعضهم غير محرم وهذا يؤدي إلى اختلاف الناس فلهذا كان من الحكمة أن من مر بميقات وجب عليه أن يحرم منه وإن لم يكن ميقات له في الأصل.

وميقات أهل الشام الجحفة والجحفة قرية قديمة خربت من السيل وانتقلت حمى المدينة إليها بدعاء النبي ﷺ فصار الناس يحرمون بدلا منها من رابغ وقد ذكر الناس أن رابغا ابعد من الجحفة من مكة فيكون من أحرم من رابغ فقد أحرم باحتياط.

أما يلملم فإنها لأهل اليمن ولمن مر بها من غريهم وتسمى السعدية يعرفها اليمنيون بالسعدية.

وأما قرن المنازل فهي لأهل نجد ولمن مر به من غيرهم وتسمى السيل الكبير وهي معروفة ويحاذيها إن لم يكن منها ما يعرف بوادي محرم في طريق الهدا، وأما ذات عرق فتسمى عند أهل نجد الضريبة، ولما كان الناس يسيرون على الإبل كانوا يحرمون منها لأنهم لا يمرون قرن المنازل، أما الآن فلا يحرم منها إلا من كان من البادية حولها وإلا فإن المدن كلها الآن لها خطوط رئيسية معروفة.

فالمواقيت الاربعة: ذو الحليفة، والجحفة، ويلملم، وقرن المنازل، ثبت عن النبي ﷺ أنه وقتها بالصحيحين وأما ذات عرق فوردت في السنن عن النبي ﷺ أنه وقتها، وصح في البخاري أن عمر هو الذي وقتها، ولا تنافي بين الأمرين لجواز أن يكون عمر وقتها بإجتهاد منه فوافق سنة النبي ﷺ. وكان رضي الله عنه موفقا للصواب.

وإذا لم يمر الإنسان بهذه المواقيت فمن أين يحرم؟

لنفرض أن رجال كان له قرية أو كان بدويا له منزل بين الميقاتين فهل نلزمه أن يذهب إلى الميقات اليمين أو الشمال؟ والجواب ان نقول أحرم إذا

حاذيت أقرب المواقيت إليك. والدليل قوله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾

وجه الدلالة قوله الميزان اسم لكل ما توزن به الأشياء فإذا كان هذا قرن المنازل وكانت هذه ذات عرق والرجل مر بينهما فالميزان أن نقول إذا حاذيت أقرب ميقات منهما فأحرم منه.

فإن قيل ما هو الدليل على أنك تحرم من أقربهما؟

فالجواب أن النبي ﷺ أمر إذا دعاك اثنان أن تجيب اسبقهما بالدعوة فإن تساويا فأقربهما بابا.

فمن هذا نعرف أن الشارع اعتبر قرب المكان فجعل قرب المكان مؤثراً في التقديم والأحقية.

ولو أن رجلاً سافر إلى مكة بطريق الجو هل يحرم إذا نزل جدة أو يحرم إذا حاذى الميقات من فوق؟

الجواب يحرم إذا حاذى الميقات من فوق لأن محاذاة الميقات من فوق كمحاذاته من أسفل فالواجب أن يحرم إذا حاذى الميقات من فوق؟

لكن إذا كان الإنسان دون هذه المواقيت. فهل نلزمه أن يرجع ويحرم من الميقات؟

الجواب لا؛ لقول النبي ﷺ فمن كان دون ذلك فمن حيث أنشأ حتى أهل مكة من مكة، فأهل الشرائع مثلاً بين مكة وقرن المنازل يحرمون من منازلهم

ومن دونهم ومن وراءهم دون الميقات كذلك يحرمون من منازلهم حتى أهل مكة يحرمون من مكة إلا في العمرة فإن أهل مكة يحرمون من الحل لقول النبي ﷺ لعبد الرحمن بن أبي بكر حين طلبت عائشة من رسول الله ﷺ أن تعتمر قال اخرج بأختك من الحرم فلتهل من الحل فبين النبي ﷺ أن العمرة لا يحرم الإنسان بها من الحرم بل لابد أن يحرم من الحل ليصدق عليه أنه قادم إلى الحرم لأن من أحرم من الحرم لا يصدق عليه أنه قادم من الحرم فلو أحرم للعمرة من الحرم صار كمن طاف وسعى بلا إحرام ولا وفادة من الحل فلابد أن يكون وافداً إلى البيت.

ولعل قائلاً يقول أليس الإحرام للحج يكون من مكة؟ فنقول بلى، فسيقول إذاً لم يفد إلى البيت من الحل؟ فنجيبه بأنه سيفد إلى البيت من الحل؛ لأن طواف الإفاضة للحج لا يكون إلا بعد الوقوف ومكان الوقوف في الحل لأن عرفة من الحل فيكون قادماً إلى البيت من الحل، وانتهينا الآن من المواقيت.

أما حكم الإحرام منها لمن مر بها فهو واجب إذا أراد الحج أو العمرة.

فإن لم يرد الحج أو العمرة فليس بواجب، وقد اشتهر عند العوام أنه إذا غاب عن مكة أربعين يوماً فإنه يجب عليه أن يحرم إذ مر بهذه المواقيت وإن كان قد أدى فريضة الحج ولكن هذا ليس بصواب بل الصواب أنه لا يجب عليه الإحرام من هذه المواقيت إلا إذا كان يريد الحج أو العمرة، لحديث ابن

عباس الثابت في الصحيح لما وقت المواقيت قال هن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن ممن أراد الحج أو العمرة.

الفقرة الرابعة: أنواع النسك

أنواع النسك: ثلاثة ووجه الحصر أن النسك نوعان حج وعمـــرة ليـــس لهما ثالث. هذان النوعان إما أن يجمعهما أو يفرد كل واحد منهما على حـــدة: فإن جمعهما فهو قارن، وإن افرد الحج وحده فهو مفرد، وأن أفرد العمرة فـــإن كانت في أشهر الحج ونوى الحج، فهو متمتع، وإن أتى بها في غـــير أشـــهر الحج فهو مفرد. فأنواع الأنساك عند أهل العلم ثلاثة: تمتع، وإفراد، وقران.

فالتمتع أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج ثم يتمها ويحـــرم بـــالحج مـــن عامـــه في نفس السنة.

مثاله رجل ذهب إلى مكة في شهر ذي القعدة وأتى بعمرة طاف وســـعى وقصر وحل، وفي الثامن من ذي الحجة أحرم بالحج نقول لهذا إنه متمتع كيف ذلك؟ لأن ما بين العمرة والحج حل يتمتع فيه بما شاء مما كان محظوراً عليـــه في الإحرام من الطيب والبس والتمتع بالنساء وغير ذلك. وهذا معنـــى قولـــه تعالى: **(فمن تمتع بالعمرة إلى الحج)**.

أما الإفراد فهو أن يفرد بالحج ولا يذكر العمرة إطلاقاً.

وأما القران فله صورتان: أن يفرد بالحج والعمرة جميعاً فيقـــول مـــن الميقات لبيك عمرة وحجاً أو يحرم بالعمرة أولاً ثم يدخل الحـــج عليـــها قبـــل الشروع في طوافها، وهناك صورة مختلف فيها أن يحرم بالحج أولاً ثم يدخل

العمرة عليه فقد اختلف العلماء في جواز ذلك فمنهم من قال إنه لا يصح إدخال العمرة على الحج، وإنما يصح فسخ الحج إلى العمرة. ومنهم من يقـــول إنـــه يصح إدخال العمرة على الحج ويكون قارناً.

الفروق بين الأنساك الثلاثة

التمتع ذكرنا أن الإنسان يحرم بالعمرة ثم يحل منها إحلالاً تاماً وعليـــه هدي أما الإفراد والقران فإنه يبقى على إحرامه لا يحل إلا يوم العيد. والفـرق بين المفرد والقارن أن القارن حصل له نسكان حج وعمرة والمفرد لم يحصـل له إلا نسك واحد وهو الحج.

وهناك فرق آخر أن القارن عليه هدي كالمتمتع،والمفرد لا هدي عليـــه، وهناك فرق ثالث مختلف فيه أن القارن عليه سعيان سعي عند طواف القـــدوم وسعي بعد طواف الإفاضة والمفرد ليس عليه إلا سعي واحد يجعله إمـــا مـــع طواف القدوم وإما مع طواف الإفاضة لكن هذا مختلف فيه والصحيح أنـــه أي القارن لا يلزمه إلا سعي واحد، لأن النبي ﷺ كان قارناً ومع ذلك لم يســـع إلا سعياً واحداً.

إذاً بناءاً على القول الراجح ليس بين القارن والمفرد فرق في الأفعـــال لكن بينهما فرق في أن القارن يحصل على عمرة وحج والمفرد لا يحصل لـــه. فرق ثاني ان القارن عليه هدي والمفرد ليس عليه هدي والقـــارن والمتمتـــع

يتفقان في أن كل واحد منهما يحصل له عمرة وحج، وفي أن كل واحد منهما يلزمه هدي فالمتمتع بالنص والإجماع والقارن بقول جمهور أهل العلم.

ولكن أيهما أفضل؟ الأفضل لمن ساق الهدي القران، والأفضل لمن لم يسق الهدي التمتع، ما معنى ساق الهدي؟ يعني ذهب به معه سواء من بلده أو من الميقات أو من أدنى الحل فالمهم أنه ساقه إلى مكة فهذا الأفضل في حقه القران، بل قد نقول إن التمتع ممتنع في حقه لأنه لا يمكن أن يحل حتى يبلغ الهدي محله لقول النبي صلى الله عليه وسلم إني سقت الهدي فلا أحل حتى أنحر وإذا لم يسق الهدي فالأفضل التمتع لأن ذلك وهو الذي أمر النبي ﷺ أصحابه وحثهم عليه حتى قال لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي ولأحللت معكم. إذاً التمتع أفضل لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر به وقال لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي ولا حللت معكم ولأنه أكثر علماً؛ لأن المتمتع يأتي بعمرة مستقلة تامة وحج مستقل تام، ولأنه أيسر على المكلف لأن المكلف يتمتع فيما بين العمرة والحج بما أحل الله له.

وصفته إذا وصلت للميقات تغتسل كما تغتسل للجنابة ثم تطيب رأسك ولحيتك بأطيب ما تجد من طيب لأن النبي ﷺ كان يرى بياض المسك في مفارقه وهو محرم ثم إن كان الزمن وقت صلاة مفروضة فصل الصلاة ثم أحرم، وإن لم يكن فمن الناس من يقول تصلى ركعتين ومنهم من يقول لا تصلي ركعتين لأن صلاة الركعتين للاحرام لم ترد عن النبي ﷺ وهذا هو القول الراجح. بعد هذا يلبي يقول لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن

الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك يرفع صوته بذلك إن كان رجلاً وتسـر به المرأة ثم لا يزال يلبي حتى يصل إلى الكعبة فإذا وصل إليها قطع التلبيـة، فيطوف طواف العمرة وفي هذا الطواف يسن للرجل أمران الأمـر الأول: أن يضطبع، والاضطباع أن يجعل وسط ردائه تحت أبطه الأيمن وطرفيه علـى عاتقه الأيسر أما الأمر الثاني: الذي يسن في هذا الطواف فهو الرمل لكنه فـي الأشواط الثلاثة الأولى فقط والرمل سرعة المشي مع مقاربة الخطى، ويكـون في الأشواط الثلاثة الأولى فقط ويقول عند استلام الحجر وتقبيله الله أكبر وكلما حاذاه قال الله أكبر ويقول ما بين الركن اليماني والحجر الأسود ربنا آتنا فـي الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

ويقول في بقيت الطواف ما شاء من ذكر ودعاء ليـس هنـاك شـيء مخصوص عن رسول الله ﷺ وبهذا نعرف أن هذه الكتيبات التي بأيدي كثـير من الناس فيها دعاء الشوط الأول ودعاء الشوط الثاني.. الخ كلها بدعة لأنه لم يرد عن النبي ﷺ أنه يخص كل شوط بدعاء معين والغريب أن من الناس من يقرأ هذه الأدعية وهو لا يعرف معناها بل يقرأها ويحرفها نسمع كثـيراً مـن الغرائب وما يضحك ويحزن تسمعه يأتي بجملة دعاء له يقلبها حتى تكون دعاء عليه آخر ما سمعت رجلاً يقول اللهم أغنني بحلالك عن حرامك أرجو منكم أن تنصحوا إخوانكم وتبينوا أن هذا من البدع لكم الأجر عند الله عـز وجـل إذا نشرتم السنة وحاربتم البدعة. لا تقولوا هذا ما يطيعني ربما يطيعـك إذ أتيتـه بهدوء ووقار وقلت يا أخي هذا ليس بصحيح وبينت له الحق فالغالب أن هؤلاء

الحجاج غالبهم جاء يريد الخير. وبعد الانتهاء من الطواف تتقدم إلى مقام إبراهيم وتقرأ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وتصلي ركعتين خفيفتين تقرأ في الأولى قل يا أيها الكافرون وفي الثانية قل هو الله أحد مع الفاتحة، ثم تتقدم إلى الركن الحجر الأسود إن تسير فتستلمه وإلا فلا تشير إليه ثم تخرج إلى الصفا فإذا دنوت من الصفا فاقرأ إن الصفا والمروة من شعائر الله ثم أصعد واستقبل القبلة وارفع يديك وكبر وقل لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ثم تدعو بما شئت تم تعيد الذكر مرة ثانية ثم تدعوا بما شئت ثم تعيد الذكر مرة ثالثة ثم تتجه إلى المروة ماشياً على طبيعتك حتى تصل إلى العمود الأخضر والعلماء يقولون إلى العلم الأخضر والمراد بالعلم هو عمود أخضر فيه إضاءة خضراء وبين العمودين الأخضرين تسعى سعياً شديداً أي تركض ركضاً شديداً بقدر ما تستطيع حتى تصل إلى العمود الأخضر الثاني ثم تمشى إلى المروة وتصعد إلى المروة وتقول فيها ما تقول على الصفا وتفعل فيها ما فعلت على الصفا ثم ترجع إلى الصفا حتى تتم سبعة أشواط ذهابك من الصفا إلى المروة شوط ورجوعك من المروة إلى الصفا شوط آخر إذن تكون البداءة بالصفا والاختتام بالمروة فإن ختمت بالصفا فاعلم بأنك إما زائد شوطاً وإما ناقص وبعد أن تنتهي من السعي تقصر شعر رأسك إن كان وقت الحج قريب لأن النبي ﷺ أمر أصحابه أن يقصروا من هذه العمرة لأنهم قدموا في اليوم الرابع من ذي الحجة وبهذا انتهت العمرة فماذا

تصنع؟ تحل الحل كله كل شيء من محظورات الإحرام أصبح حلالاً لك وتبقى محللاً إلى اليوم الثامن من ذي الحجة وفي اليوم الثامن من ذي الحجة ضحى تغتسل وتفعل كما فعلت عند الإحرام للعمرة وتحرم بالحج فتقول لبيك اللهم حجاً وتخرج إلى منى.

ويبقى الحاج في منى في اليوم الثامن فيصلي بها الظهر والعصر المغرب والعشاء والفجر خمسة أوقات كل صلاة في وقتها لكن يقصر الرباعية ركعتين فإذا طلعت الشمس سار إلى عرفة ونزل بنمرة إن تيسر له ونمرة قريب من عرفة وليست منها فإن لم يتيسر واستمر إلى عرفة رأساً فلا حرج يبقى هناك فإذا زالت الشمس صلى الظهر والعصر ركعتين ركعتين مجموعتين بأذان واحد وإقامتين ثم تفرغ للدعاء والذكر وقراءة القرآن وينبغي أن يلح على الله بالدعاء ويتضرع إليه ويدعو بالأدعية الواردة عن النبي ﷺ في هذا المكان وفي غيره لأن الأدعية النبوية خير الأدعية وأجمعها وأنفعها ويكون رافعاً يديه إلى الله عز وجل حتى تغرب الشمس. وهنا نقف لننبه إلى بعض المسائل الأولى وهي أن بعض الناس يظنون أن صعود الجبل (جبل عرفة) سنة بل بعضهم يظن أنه واجب وليس الأمر كذلك فإن صعود الجبل ليس سنة بل وليس بمشروع أصلاً بل من صعده يعتقد أن ذلك من السنة فهو مبتدع والمشروع أن تأخذ بالأيسر لك وإن تيسر لك موقف النبي ﷺ وهو خلف الجبل والصخرات التي تحته من شرق فهو المطلوب وإن لم يتيسر فقد قال النبي ﷺ وقفت ههنا وعرفة كلها موقف وكأن النبي ﷺ بقوله وعرفه كلها

موقف يشير إلى ألا نتعب أنفسنا بالذهاب إلى المكان الذي وقف فيه ﷺ كأنه يقول كل واحد يقف في مكانه.

المسألة الثانية:

بعض الناس ينزل قبل الوصول إلى عرفة ينزل في بطن الوادي وربما قبل بطن الوادي يبقى هناك ولا يدخل عرفة أبداً ينصرف من هناك وهذا ليس له حج لأن النبي ﷺ قال الحج عرفة وهذا لم يقف بعرفة ولهذا يجب علينا أن ننتبه وننبه على هذه المسألة لخطرها وعظمها.

المسألة الثالثة:

أن بعض الناس في عرفة ينصرف منها قبل غروب الشمس وهذا لا يجوز لأن النبي ﷺ وقف فيها حتى غربت الشمس وقد قال للناس خذوا عني مناسككم فلا يحل لأحد أن يخرج من عرفة قبل أن تغرب الشمس ولأنه لو كان الخروج من عرفة قبل الغروب جائزاً لكان مشروعاً لأن الخروج من عرفة قبل غروب الشمس أيسر للمسلمين حيث يخرجون في النهار فيكون أبين في الطريق وأوضح فلما لم يخرج النبي ﷺ إلا بعد الغروب علم أنه لا يجوز الخروج قبل ذلك ولأن الخروج من عرفة قبل الغروب سبيل أهل الشرك وقد نهى الله عز وجل عن اتباع سبيل أهل الشرك والجاهلية.

ثم يتوجه إلى مزدلفة فيصلى بها المغرب والعشاء ركعتين ثم ينام إلى أن يطلع الفجر وفي تلك الليلة لا يسن إحياؤها لا بذكر ولا بصلاة لأن النبي ﷺ

لم يحييها لا بذكر ولا صلاة بل نام واصطجع حتى طلع الفجر كما قال ذلك جابر ﷺ ورخص النبي ﷺ لضعفة أهله أن ينصرفوا من مزدلفة في آخر الليل لأجل أن يرموا الجمرة قبل الزحام فالقادر يبقى في مزدلفة حتى يصلي الفجر ويدعو الله عز وجل ثم ينصرف قبل أن تطلع الشمس والذي ليس بقادر ويشق عليه الزحام لضعف جسمه أو كونه امرأة ضعيفة أو حاملاً أو غير ذلك فهذا يدفع في آخر الليل ويرمي جمرة العقبة إذا وصل إلى منى بسبع حصيات متعاقبات يأخذ الحصى من حيث شاء لم يرد عن النبي ﷺ أنه أخذها من مزدلفة ولا أمر أحداً أن يأخذ حصى الجمار من مزدلفة واستحب بعض السلف أن يأخذ الحصى من مزدلفة لأجل أن يكون معه فيرمي الجمرة من حين أن يصل إلى منى ويرمي إذا وصل إلى منى جمرة العقبة وهي الجمرة التي تلي مكة يرميها بسبع حصيات متعاقبات يكبر مع كل حصاة يقول الله أكبر وليس بلازم أن تضرب الحصاة العمود بل اللازم أن تقع الحصاة في المرمى مجمع الحصى.

وبعد الرمي ينحر هديه وبعد النحر يحلق رأسه وبالرمي والحلق يحل التحلل الأول ومعناه التحلل الذي يباح له فيه كل المحظورات إلا النساء فيتطيب ويخلع ثيات الإحرام وينزل إلى مكة فيطوف طواف الإفاضة ويسعى سعي الحج وطواف الإفاضة هو طواف الحج والسعي سعي الحج أيضاً، ثم يرجع إلى منى فيبيت بها ليلة الحادي عشر فإذا زالت الشمس في اليوم الحادي عشر رمى الجمرات الثلاث يرمي أولاً الجمرة الصغرى ثم الوسطى ثم

جمـــرة العقبة إذا رمى الصغرى تقدم قليلاً، ووقف يدعو الله عز وجل مستقبل القبلة رافعاً يديه ثم رمى الوسطى فوقف بعدها طويلاً يدعو الله عز وجل رافعاً يديه ويدعو دعاءً طويلاً ثم يرمي جمرة العقبة ولا يقف بعدها ولا دعاء بعـــد رمي جمرة العقبة لا في هذا اليوم ولا يوم العيد.

ولا يجوز الرمي في هذا اليوم إلا بعد الزوال وينتهي بطلوع الفجر مـــن الليلة التالية وبناء على ذلك يكون وقت الرمي في جمرة العقبـــة يـــوم العيـــد للقادرين الذين لا يشق عليهم الزحام من طلوع الشمس إلى طلوع الفجر مـــن اليوم الحادي عشر وللعاجزين الذين لا يستطيعون المزاحمة من أخر الليل ليلـــة النحر إلى طلوع الفجر في اليوم الحادي عشر ويرمي لليوم الثاني عشر كما رمى يف اليوم الحادي عشر ثم إن شاء تعجل فنـــزل إلى مكة وأنهى الحـــج وإن شاء تأخر وبات في منى ليلة الثالث عشر وفعل في اليوم الثالث عشر كما فعل في اليومين قبله وبهذا تم الحج.

ثم بعد ذلك تنـــزل إلى مكة وإذا أردت الخـــروج فـــلا تخـــرج حتـــى تطوف للوداع واجعله آخر أمورك.

والحائض والنفساء لا يجب عليهما طواف الوداع لحديث ابـــن عبـــاس رضي الله عنهما أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت الطواف إلا أنه خفف عن الحائض وبهذا انتهت أعمال الحج والعمرة، اللهم اجعـــل حجنـــا مـــبرور وسعياً مشكوراً.

والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً وصلاة وسلام علـــى نبينـــا محمـــد وآله وصحبه أجمعين.

اشراط الساعة

الجزء الثاني

للدكتور / عبدالله بن سليمان الغفيلي

المطلب الثاني : فتنة المسيح الدجال

لفظ الدجال على وزن فعال بفتح أوله والتشديد من الدجل وهو التغطية، وأصل الدجل معناه : الخلط يقال : دجل إذا لبس وموه، وجمع دجال : دجالون ودجاجلة .

وسمي الدجال دجالاً، لأنه يغطي الحق بباطله، ولأنه يغطي على الناس كفره بكذبه وتمويهه وتلبيسه عليهم[1].

المراد بالدجال هنا : الدجال الأكبر الذي يخرج قبيل قيام الساعة في زمن المهدي وعيسى عليه السلام.

وخروجه من الاشراط العظيمة المؤذنة بقيام الساعة، وفتنة من أعظم الفتن والمجن التي تمر على الناس ويسمى مسيحاً، لأن إحدى عينيه ممسوحة أو لأنه يمسح الأرض في أربعين يوماً، ولفظة المسيح تطلق على الصديق، وهو عيسى عليه السلام، وعلى الضليل الكذاب وهو الأعور الدجال[2] .

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث : (٢/١٠٢/)، لسان العرب (٢٣٦/١١)، وفتح الباري لابن حجر (٣١٨/٢).

(٢) انظر : النهاية في غريب الحديث (٣٢٦/٤)، ولسان العرب (٥٩٤/٢).

قال القرطبي : "واختلف في لفظة المسيح لغة على ثلاث وعشرين قولاً، ذكرها الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه مجمع البحرين، وقال: لم أر من جمعها قبلي ممن رحل، وجال، ولقي الرجال[١].

والمقصود بالمسيح هنا مسيح الضلالة الذي يفتن الناس بما يجري على يديه من الآيات كإنزال المطر وإحياء الأرض، وبما يظهر على يديه من عجائب وخوارق للعادات، وأما مسيح الهدى فهو عيسى بن مريم عليه السلام الذي سيأتي الكلام عليه.

وقد تواترت الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ في ذكر خروج الدجال في آخر الزمان والتحذير منه حيث وصفه الرسول ﷺ لأمته وصفاً دقيقاً لا يخفى على ذي بصيرة كما حذر منه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبله أممهم ووصفوه لهم أوصافاً ظاهرة .

ومن الأحاديث الواردة في ذلك حديث عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما – قال: قام رسول الله ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال : (**إني لأنذرتكموه ، وما من نبي إلا وقد أنذر قومه، ولكني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه، إنه أعور، وإن الله ليس بأعور**)[٢].

---

(١) التذكرة للقرطبي: (٦٧٩/٢-٦٨٣)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، (١٠٣/٨) ومسلم في صحيحه : كتاب الفتن وأشراط الساعة ، (٢٢٤٨/٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**ألا أخبركم عن الدجال حديثاً ما حدثه نبي قومه؟ إنه أعور، وإنه يجيء معه مثل الجنة والنار، فالتي يقول إنها الجنة هي النار، وإني أنذرتكم به كما أنذر به نوح قومه**)(١).

وعن عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما– أن رسول الله ﷺ ذكر يوماً بين ظهراني الناس الدجال فقال: (**إن الله تعالى ليس بأعور، ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية**)(٢)(٣).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله ﷺ يوماً حديثاً طويلاً عن الدجال فكان فيما يحدثنا به أنه قال: (**يأتي الدجال وهو محرم**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الفتن وأشراط الساعة – (٤/٢٢٥٠).

(٢) قال الخطابي: "كان هذا الحديث عندي من الواضح الذي يستغنى بظاهر عن تفسيره، وقد بقيت زماناً أحسبه أراد بالعنبة الطافية : الحبة من العنب تطفو على متن الماء، وذلك لأن الحدقة العوراء القائمة في المقلة الناتئة من أشبه شيء بها، حتى أخبرني مخبر عن أبي عمر صاحبنا قال : سئل أبو العباس ثعلب عن هذا القول فقال: الطافية: العنبة التي خرجت عن حد نبتة أخواتها، فعلت ونتأت وظهرت، يقال: طفا الشيء: إذا علا وظهر. غريب الحديث للخطابي (١/٦٦٧)

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة (٤/٢٢٥٠).

عليه أن يدخل نقاب المدينة ، فينتهي إلى بعض السباخ)[١] ، التي تلي المدينة، فيخرج إليه يومئذ،رجل هو خير الناس - أو من خير الناس- فيقول له : أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ حديثه فيقول الدجال أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون في الأمر؟ فيقولون: لا فيقتله ثم يحييه فيقول والله ما كنت فيك أشد بصيرة مني

اليوم الآن، قال فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه"[٢].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **(ما بعث نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب إلا أنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور ومكتوب[٣]، بين عينيه ك . ف. ر) [١].**

---

(١) السباخ : بكسر المهملة جمع سبخة محركة ومسكنة، وهي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر، النهاية في غريب الحديث (٢/٣٣٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، (٨/١٠٢)، ومسلم في صحيحه: كتاب الفتن وأشراط الساعة (٤/٢٢٥٦)، واللفظ لمسلم.

(٣) قال الإمام النووي – رحمه الله- :" والصحيح الذي عليه المحققون أن هذه الكتابة على ظاهرها، وأنها كتابة حقيقية جعلها الله آية وعلامة من جملة العلامات القاطعة بكفره وكذبه وإبطاله، ويظهرها الله تعالى لكل مسلم كاتب وغير كاتب، ويخفيها عمن أراد شقاوته وفتنته، ولا امتناع في ذلك".
شرح صحيح مسلم للنووي : (١٨/٦٠).

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع، حتى ظنناه في طائفة النخل ،فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال : **(ما شأنكم ؟ قلنا :يا رسول الله ، ذكرت الدجال الغداة فخفضت فيه ورفعت ،حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: غير الدجال أخوفني عليكم ،إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط)[٢]، وعينه طافئة ، كأني أشبهه بـ(عبد العزى بن قطن) فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلة بين الشام والعراق، فعاث يميناً، وعاث شمالاً، يا عباد الله فاثبتوا . قلنا : يا رسول الله ، وما لبثه في الأرض؟ قال أربعون يوماً يوم كسنة ، يوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم، قلنا: يا رسول الله فذاك اليوم الذي كسنة : أتكفينا فيه صلاة يوم؟قال: لا اقدروا له قدره، قلنا يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال : (كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ، ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كان ذراً وأسبغه ضروعاً ، وأمده خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم، فيردون عليه**

---

(١) أحرجه البخاري في صحيحه: كتاب الفتن- (١٠٣/٨) ومسلم في صحيحه: كتاب الفن وأشراط الساعة (٢٢٤٨/٤).

(٢) (قطط) أي صاحب الشعر. الشديد الجعودة .النهاية في غريب الحديث (٨١/٢).

قوله. قال: فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين[١]، ليس بأيديهم شيئ من أحوالهم، ويمر بالخربة ، فيقول لها: أخرجي كنوزك فيتبعه كنوزها كيعاسيب[٢]، النحل ، ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا، فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين ، رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل، ويتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك، إذ بعث الله المسيح بن مريم عليه السلام، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين[٣]، واضعا كفيه على أجنحة ملكين ، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ [٤]، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد، فيقتله، ثم يأتي عيسى بن مريم قوما قد عصمهم الله منه فيسمح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله عز وجل

---

(١) (ممحلين) : الممحل : الذي أجدبت أرضه وقحطت وغلت أسعاره. لسان العرب (٦١٧/١٧).

(٢) (يعاسيب النحل) : جمع يعسوب، واليعسوب أصله فحل النحل، والمعنى هنا: أي تظهر له وتجتمع عنده كما تجتمع النحل على يعاسيبها.
النهاية في غريب الحديث (٢٣٥/٣).

(٣) (مهرودتين) روى بالذل مفردها. مهرود، وهو الثوب الذي صبغ، والمعنى أنه لابس ثوبين مصبوغين بالورس ثم بالزعفران. النهاية في غريب الحديث (٢٥٨/٥).

(٤) (جمان اللؤلؤ) : أي ينحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفائه، والجمان حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار. النهاية في غريب الحديث (٣٠١/١).

إلى عيسى بن مريم: إني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالـــهم، فحـــرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حـــدب ينســـلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم، فيقولـــون : لقد كان بهذه مرة ماء، ويحصر نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه، حتـــى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار، فيرغب نبي الله عيسى عليـــه السلام وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف[1]، في رقابهم فيصبحون فرســـى، كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى عليه الســـلام وأصحابـــه إلـــى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمـــهم [2]، ونتنـــهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة[3]، ثم يقـــال لـــلأرض : أنبتي ثمرتك، وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانـــة، ويســـتظلون

---

(١) (النغف) هو دود يكون في أنوف الإبل والغنم. واحدتها نغفة النهاية في غريب الحديث (٧٨/٥).
النهاية في غريب الحديث (٧٨/٥).

(٢) (زهمهم): أي دسمهم وريحهم المنتنة، وأراد أن الأرض تنتن من جيفـــهم . المصـــدر السابق (٣١٣/٢).

(٣) (الزلفة) : بالتحريك جمعها زلف : مصانع الماء، أراد أن المطر يغـــدر فـــي الأرض فتصير : أنها مصنعه من مصانع الماء، وقيل الزلفة : المرآة، شبهها بـــها لاســـتوائها ونظافتها. النهاية في غريب الحديث (٣٠٩/٢).

بقحفها [١]، ويبارك في الرسل، حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيباً، فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن ومسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة)[٢].

قال الخطابي -رحمه الله- : هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده وأنه شخص بعينه ابتلى الله عباده، وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى، من إحياء الميت الذي يقتله، ومن ظهور زهرة الدنيا، والخصب معه، وجنته وناره ونهريه، واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت، فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته، ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره، ويبطل أمره ويقتله عيسى عليه السلام ويثبت الله الذين آمنوا . هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار خلافاً لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج[٣]،

---

(١) بقحفها : أي قشرها تشبيهاً بقحف الرأس، وهو الذي فوق الدماغ، وقيل هو ما انفلق من جمجمته وانفصل. المصدر السابق (١٧/٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الفتن وأشراط الساعة (٢٢٥٥/٤).

(٣) الخوارج : هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عام ٣٧هـ، ويجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي – رضي الله عنهما- كما

والجهمية[١]، وبعض المعتزلة[٢]، وخلافا للبخاري المعتزلي وموافقيه من الجهمية وغيرهم في أنه صحيح الوجود ولكن الذي يدعي مخارق وخيالات لا حقائق لها. وزعموا أنه لو كان حقا لم يوثق بمعجزات الأنبياء عليهم السلام وهذا غلط من جميعهم ، لأنه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له، وإنما يدعي الإلهية وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله، ووجود دلائل الحدوث فيه ونقص صورته وعجزه من إزالة العور الذي في عينيه، وعن إزالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه، ولهذه الدلائل وغيرها لا يغتر به إلا

أجمعوا، عدا النجدات منهم- على تكفير مرتكب الكبيرة وتخليده في النار إذا مات مصرا عليها، وقد ورد في ذمهم والترغيب في قتالهم أحاديث صحيحة مرفوعة، وقد افترقوا على نحو عشرين فرقة، ومن أسمائهم أيضا الحرورية . انظر مقالات الإسلاميين (١/١٦٧)، وتلبيس إبليس ص(٩)، الملل والنحل (١/١١٤).

(١) الجمهية: هم أتباع الجهم بن صفوان الذي قال : بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال، وأنكر الاستطاعات لها، وزعم أن الإيمان هو المعرفة بالله فقط وأن الكفر هو الجهل به، وزعم أيضا أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان. انظر مقالات الإسلاميين (١/٣٣٨)، الفرق بين الفرق ص (٢١١)، الملل والنحل (١/٧٦).

(٢) المتزل : سموا بذلك لاعتزال واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد – من رؤسائهم- مجلس الحسن البصري لقولهما بأن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر وقيل سموا معتزلة لاعتزالهم منهج أهل السنة والجماعة، من عقائدهم إنكار جميع صفات الله والقول بأن القرآن محدث، وأن الله لا يرى في الآخرة، وتصل فرقهم إلى حوالي عشرين فرقة، انظر مقالات الإسلاميين (١/٩٢٣٥)، الفرق بين الفرق ص (١١)، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص (٩٤).

رعاع من الناس لسد الحاجة والفاقة رغبة في سد الرمق أو تقية وخوفاً من أذاه، لأن فتنته عظيمة جداً تدهش العقول وتحير الألباب مع سرعة مروره في الأرض فلا يمكث بحيث يتأمل الضعفاء حاله، ولهذا حذرت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من فتنته ونبهوا على نقصه ودلائل إبطاله. وأما أهل التوفيق فلا يغترون ولا يخدعون بما معه لما ذكرناه من الدلائل المكذوبة له مع ما سبق لهم من العلم بحاله، ولهذا يقول الذي يقتله ثم يحييه: ما ازددت فيك إلا بصيرة[١] .

وقد دلت الأحاديث على أن المسيح الدجال يدخل كل بلد إلا مكة والمدينة فعن أنس رضي الله عنه قال : قال سرول الله ﷺ : **(ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة، ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج الله كل كافر ومنافق)**[٢].

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله– : **(قوله : ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال)** هو على ظاهره وعمومه عند الجمهور ، وشذ ابن حزم[٣]، فقال:

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (١٨/٥٨-٥٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الفتن (٨/١٠٢).

(٣) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي، المحدث الفقيه، كان شافعياً ثم تركه إلى القول بالظاهر، له مؤلفات كثيرة منها "المحلى" ، "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، توفي سنة ٤٥٦هـ.

المراد إلا يدخله بعثه وجنوده، وكأنه استبعد إمكان دخول الدجال جميع البلاد لقصر مدته، وغفل عما ثبت في صحيح مسلم أن بعض أيامه يكون قدر سنة[١].

وقد بين الرسول ﷺ مدة مكثه في الأرض بعد خروجه، وإن قتله يكون على يد عيسى بن مريم عليه السلام كما في حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه ، وقد سبق ذكره[٢].

فظهور الدجال – أخسأه الله وأخزاه– وشدة فتنته وهو له وبلاء الناس به وبما يجري على يديه من علامات الساعة العظيمة وأشراطها الجسيمة، وقد سبق إيراد الأحاديث النبوية في شأنه والخبر عنه وبيان وصفه ونعته والتحذير منه، وكان النبي ﷺ يستعيذ في صلاته – وغيرها من فتنة الدجال وشره وأمر أمته بذلك.

فعن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن : (**اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات**) [٣].

---

(١) فتح الباري (٤/٩٦).

(٢) تقدم ذكره وتخريجه ص ١١٦.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب المساجد ومواضع الصلاة (١/٤١٣)

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال بينما النبي ﷺ في حائط بني النجار على بغلة له ونحن معه إذ حادت به فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة ، فقال: **(من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟ فقال رجل أنا : قال متى هؤلاء؟ قال : ماتوا في الإشراك، فقال: إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر)** قالوا : نعوذ بالله من النار، قال تعوذوا بالله من عذاب القبر قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، قال "تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، قالوا : نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، قال: تعوذوا بالله من فتنة المسيح الدجال "قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال"[١].

وقد أرشد رسول الله ﷺ المؤمنين إلى ما يعصمهم من فتنة المسيح الدجال كما جاء في حديث أبي الدرداء رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال: **(من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال" قال مسلم قال شعبة : من آخر الكهف " قال همام :" من أول الكهف)**[٢].

قال المناوي مبينا سبب العصمة : " وذلك لما في قصة أهل الكهف من العجائب، فمن علمها لم يستغرب أمر الدجال فلا يفتن ، أو لأن من تدبر هذه

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحة : كتاب صفة الجنة (٢١٩٩/٤-٢٢٠٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٥٥٥/١).

الآيات وتأمل معناها حذره فأمن منه أو هذه خصوصية أودعت في السورة"[١].

فسورة الكهف لها شأن عظيم وفيها من العجائب والآيات الباهرات من تدبرها عصم من فتنة الدجال ، وقد ورد الحث على قراءتها وخاصة في يوم الجمعة كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **(إن من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين)**[٢].

فينبغي على المسلم أن يحرص على قراءة هذه السورة وحفظها وخاصة في يوم الجمعة .

وقبل الانتهاء من الكلام على الدجال أحب أن أشير إلى مسألتين لهما علاقة بالكلام على موضوع الدجال وهما :

١ – هل ابن صياد [٣] هو الدجال؟

---

(١) فيض القدير : (١١٨/٦).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣٦٨/٢) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) ابن صياد : هو رجل من يهود المدينة، وقيل : إنه من الأنصار، وأسمه صاف بمهملة وفاء وزن باع، وقيل : اسمه عبد الله، ذكر الذهبي في كتابه تجريد أسماء الصحابة (٣١٩/١) فقال: "عبد الله بن صياد أروه ابن شاهين، وقال هو ابن صائد كان أبوه يهودياً فولد عبد الله أعور مختوناً، وهو الذي قيل أنه الدجال ثم أسلم فهو تابعي له رؤية"، وقال الحافظ ابن حجر بعد أن ذكر كلام الذهبي السابق في الإصابة (١٣٣/٣): "ومن ولده عمارة بن عبد الله بن صياد، كان من خيار المسلمين من أصحاب سعيد بن

٢ – الحكمة من عدم ذكر الدجال في القرآن ؟

أما المسألة الأولى- وهي : هل ابن صياد هو الدجال ؟ – فقد اختلف العلماء في ذلك اختلافا شديدا واضطربت فيه الروايات والآراء وقبل الدخول في ذكر أقوال العلماء في ذلك أحب أن أشير إلى بعض الروايات الواردة في شأنه، من ذلك: رواية عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما- أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انطلق مع رسول الله ﷺ في رهط قبل ابن صياد حتى وجده يلعب مع الصبيان عند أطم بني مغالة ، وقد قارب ابن صياد يومئذ الحلم ، فلم يشعر حتى ضرب رسول الله ﷺ ظهره بيده ثم قال رسول الله ﷺ لابن صياد : **(أتشهد أني رسول الله؟)** فنظر إليه ابن صياد، فقال : أشهد أنك رسول الأميين، فقال ابن صياد لرسول الله ﷺ : أتشهد أني رسول الله ؟ فرفضه رسول الله ﷺ وقال : **(آمنت بالله وبرسله، ثم قال له رسول الله ﷺ : ماذا ترى ؟)** قال ابن صياد : يأتيني صادق وكاذب، فقال له رسول الله ﷺ : **(خلط عليك الأمر)**.

مالك، روى عنه مالك وغيره" وقال الحافظ ابن كثير في النهاية في الفتن والملاحم (١٧٣/١): "وقد كان ابن صياد من يهود المدينة، ولقبه عبد الله ويقال صاف، وقد جاء هذا وهذا، وقد يكون أصل اسمه صاف ثم تسمى لما أسلم بعبد الله، وقد كان ابنه عمارة بن عبد الله من سادات التابعين، وروى عنه. مالك وغيره"، وللمزيد انظر مشكل الآثار للطحاوي (٩٦/٤-١٠٣)، وتهذيب التهذيب (٤١٨/٧-٤١٩).

ثم قال له رسول الله ﷺ : **(إني خبأت لك خبيئاً)** فقال ابن صياد: هو الدخ[١]، فقال له رسول الله ﷺ : **(أخسأ فلن تعدو قدرك)** فقال عمر بن الخطاب : ذرني يا رسول الله أضرب عنقه ، فقال له رسول الله ﷺ **(إن يكنه فلن تسلط عليه ، وإن لا يكنه فلا خير لك في قتله)**[٢].

وقال سالم بن عبد الله : سمعت عبد الله بن عمر يقول : انطلق بعد ذلك رسول الله ﷺ وأبي بن كعب الأنصاري إلى النخل التي فيها ابن صياد حتى إذا دخل رسول الله ﷺ النخل طفق يتقي بجذوع النخل وهو يختل أن يسمع من ابن صياد شيئاً قبل أن يراه ابن صياد ، فرآه رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراش في قطيفة له فيها زمزمه[٣]، فرأت أم ابن صياد رسول الله ﷺ وهو يتقي بجذوع، فقالت لابن صياد: يا صاف (وهو اسم ابن صياد) هذا محمد، فثار ابن صياد ، فقال رسول الله ﷺ: **(لو تركته بين[٤])**[٥].

---

(١) الدخ : هو الدخان، وفسر في الحديث أنه أراد بذلك " يوم تأتي السماء بدخان مبين" النهاية في غريب الحديث (٢/١٠٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة (٤/٢٢٤٤)

(٣) الزمزمة : هي الصوت الخفي الذي لا يكاد يفهم، أو لا يفهم. النهاية في غريب الحديث (٢/٣١٣).

(٤) قوله صلى الله عليه وسلم (لو تركته بين) أي لو لم تخبره ولم تعلمه أمه بمجيئنا لبين لنا من حالة ما تعرف به حقيقة أمره.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة (٤/٢٢٤٥).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : لقيه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر – يعني ابن صياد – في بعض طرق المدينة، فقال لـه رسـول الله ﷺ: (**أتشهد أني رسول الله؟**) فقال هو : أتشهد أني رسول الله؟ فقال رسـول الله ﷺ: (**آمنت بالله وملائكته وكتبه، ما ترى؟**) قال أرى عرشاً على المـاء فقال رسول الله ﷺ : (**ترى عرش إبليس على البحر ، وما تـرى؟**) قـال: أرى صادقين وكاذباً، – أو كاذبين وصادقاً – فقال رسول الله ﷺ (**لبـس**[١]، **عليه دعوه**)[٢].

وعنه أيضاً : خرجنا حجاجاً أو عماراً ومعنا ابن صياد، قال: فنـزل منـزلاً فتفرق الناس وبقيت أنا وهو. فاستوحشت منه وحشة شديدة مما يقـال عليه، قال : وجاء بمتاعه فوضعه مع متاعي فقلت : إن الحـر شـديد، فلـو وضعته تحت تلك الشجرة . قال : ففعل ، قال : فرفعت لنا غنم، فانطلق فجـاء بعس[٣]، فقال أشرب أبا سعيد! فقلت : إن الحر شديد واللبن حار، ما بـي إلا أني أكره أن أشرب عن يده – أو قال آخذ عن يده – فقال أبـا سـعيد ! لقـد هممت أن آخذ حبلاً فأعلقه بشجرة ثم أختنق مما يقول لي الناس ، يا أبا سعيد :

---

(١) لبس عليه : أي اختلط عليه الأمر.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفتن وأشراط الساعة (٢٢٤١/٤).

(٣) العس : هو القدح الكبير وجمعه عساس وأعساس، النهايـة فـي غريـب الحديـث (٢٣٦/٣).

من خفي عليه حديث رسول الله ﷺ ما خفي عليكم معشر الأنصار، ألست من أعلم الناس بحديث رسول الله ﷺ أليس قد قال رسول الله ﷺ : هو عقيم لا يولد له وقد تركت ولدي بالمدينة؟ أو ليس قد قال رسول الله ﷺ لا يدخل المدينة ولا مكة، وقد أقبلت من المدينة ، وأنا أريد مكة؟

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : حتى كدت أن أعذره، ثم قال: أما والله أني لأعرف مولده وأين هو الآن.

قال : قلت له : تباً لك سائر اليوم[(١)]"[(٢)].

ومن أقوال العلماء في ابن صياد هل هو الدجال الأكبر أم لا قول البيهقي في سياق كلامه على حديث تميم الداري السابق" فيه أن الدجال الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان غير ابن صياد، وكان ابن صياد أحد الدجالين الكذابين الذين أخبر ﷺ بخروجهم ، وقد خرج أكثرهم، وكأن الذين يجزمون بأن ابن صياد هو الدجال لم يسمعوا بقصة تميم، وإلا فالجمع بينهما بعيد جداً، إذ كيف يلتئم أن يكون من كان في أثناء الحياة النبوية شبه محتلم، ويجتمع به النبي ﷺ ويسأله أن يكون في آخرها شيخاً كبيراً مسجوناً في جزيرة من جزائر البحر موثقاً بالحديد يستفهم عن خبر النبي ﷺ هل خرج أو لا ؟ فالأولى

---

(١) تباً لك سائر اليوم : خسراناً وهلاكاً لك في باقي اليوم وهو منصوب بفعل مضمر.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الفتن وأشراط الساعة : (٤/٢٢٤٢-٢٢٤٣).

أن يحمل على عدم الإطلاع ، أما عمر فيحتمل أن يكون ذلك منه قبل أن يسمع قصة تميم ثم لما سمعها لم يعد إلى الحلف المذكور، وأما جابر فشهد حلفه عند النبي ﷺ فاستصحب ما كان اطلع عليه من عمر بحضرة النبي ﷺ "[١] .

وقال النووي :" قال العلماء : وقصته مشكلة وأمره مشتبه في أنه هل هو المسيح الدجال المشهور أم غيره ولا شك في أنه دجال من الدجاجلة.

قال العلماء: وظاهر الأحاديث أن النبي ﷺ لم يوح إليه بأنه المسيح الدجال ولا غيره، وإنما أوحي إليه بصفات الدجال وكان في ابن صياد قرائن محتمله، فلذلك كان النبي ﷺ لا يقطع بأنه الدجال ولا غيره، ولهذا قال لعمر رضي الله عنه : إن يكن هو فلن تستطيع قتله. وأما احتجاجه هو بأنه مسلم والدجال كافر وبأنه لا يولد للدجال، وقد ولد له هو، وأنه لا يدخل مكة والمدينة وأن ابن صياد دخل المدينة وهو متوجه إلى مكة فلا دلالة له فيه، لأن النبي ﷺ إنما أخبر عن صفاته وقت فتنته وخروجه في الأرض، ومن اشتباه قصته وكونه أحد الدجاجلة الكذابين قوله للنبي ﷺ أتشهد أني رسول الله؟" ودعواه أنه يأتيه صادق وكاذب، وأنه يرى عرشاً فوق الماء وأنه لا يكره أن يكون هو الدجال، وأنه يعرف موضعه وقوله: إني لأعرفه وأعرف مولده وأين هو الآن،

---

(١) نقلاً عن فتح الباري لابن حجر (١٣/٣٢٦/٣٢٧).

وانتفاخه حتى ملأ السكة، وأما إظهاره الإسلام وحجه وجهاده وإقلاعه عما كان عليه فليس بصريح في أنه غير الدجال"(١).

أقوال العلماء في ابن صياد :

قال أبو عبد الله القرطبي : " الصحيح أن ابن صياد هو الدجال بدلالة ما تقدم، وما يبعد أن يكون بالجزيرة في ذلك الوقت ، ويكون بين أظهر الصحابة في وقت آخر(٢).

ويفهم من كلام النووي والقرطبي السابق أنهما يرجحان كون ابن صياد هو الدجال.

وقال شيخ الإسلام في ابن تيميه – رخمه الله – في معرض كلامه على الأحوال الشيطانية :" وهذا بخلاف الأحوال الشيطانية مثل حال عبد الله ابن صياد الذي ظهر في زمن النبي ﷺ ، وكان قد ظن بعض الصحابة أنه الدجال، وتوقف النبي ﷺ في أمره حتى تبين له فيما بعد أنه ليس هو الدجال، لكنه من جنس الكهان(٣).

وقال الحافظ ابن كثير – رحمه الله– بعد أن ساق الأحاديث الواردة في

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (١٨/٤٦-٤٧).
(٢) التذكرة (٢/٨٢٢).
(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص (١٦٦).

ابن صياد وهل هو الدجال الأكبر أم لا ، قال : وقد قدمنا أن الصحيح أن الدجال غير ابن صياد وأن ابن صياد كان دجالاً من الدجاجلة ثم تاب بعد ذلك فأظهر الإسلام والله أعلم بضميره وسيرته[١].

ولعل ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيميه – رحمه الله- والحافظ ابن كثير –رحمه الله- هو الراجح في ابن صياد، وأنه دجال من الدجاجلة وليس هو الدجال الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان – والله أعلم.

وأما المسألة الثانية : وهي الحكمة من عدم ذكر الدجال في القرآن صراحة، فقد أجاب على ذلك الحافظ ابن حجر –رحمه الله- بقوله: اشتهر السؤال عن الحكمة في عدم التصريح بذكر الدجال في القرآن مع ما ذكر عنه من الشر وعظم الفتنة به وتحذير الأنبياء منه والأمر بالاستعاذة منه حتى في الصلاة وأجيب بأجوبة:

أحدها : أنه ذكر في قوله: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا ﴾ [٢]، فقد أخرج الترمذي وصححه عن أبي هريرة رفعه : " ثلاثة إذا خرجن لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل: الدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها.

(١) النهاية في الفتن والملاحم : (١٧٣/١).

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ١٥٨.

الثاني : وقد وقعت الإشارة في القرآن إلى نزول عيسى بن مريم في قولـــــه تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾ [(١)]، وفي قولـــه تعـــالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [(٢)]، وصح أنه الذي قتل الدجال فاكتفى بذكر أحد الضدين عن الآخر، ولكونه يلقب المسيح كعيسى، لكن الدجال مسيح الضلالة وعيسى مسيح الهدى .

الثالث : أنه ترك ذكره احتقاراً، وتعقب بذكر يأجوج ومأجوج .. وليست الفتنة بهم بدون الدجال والذي قبله، وتعقب بأن السؤال باق وهو ما الحكمة في تــرك التنصيص عليه ؟ وأجاب شيخنا الإمام البلقيني بأنه اعتبر كل من ذكـــر فـــي القرآن من المفسدين فوجد كل من ذكر إنما ممن مضى وانقضى أمره وأما من لم يجيء بعد فلم يذكر منهم أحداً، انتهى . وهذا ينتقض بيأجوج ومأجوج.

وقد وقع في تفسير البغوي[(٣)]، أن الدجال مذكور في القرآن في قولـــه تعـــــالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ

---

(١) سورة النساء، الآية : ١٥٩.

(٢) سورة الزخرف، الآية :٦١ .

(٣) تفسير البغوي : (١٠١/٤).

﴿أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [١]، وأن المراد بالناس هنا الدجال من إطلاق الكل على البعض، وهذا إن ثبت أحسن الأجوبة فيكون جملة ما تكفل النبي ﷺ ببيانه والعلم عند الله تعالى[٢].

ومما سبق يتضح لنا أن خروج الدجال من أشراط الساعة الكبرى الثابتة ومن الأخبار المتواترة التي يجب الإيمان بها، وفي ما مضى من الأدلة رد على من أنكر خروج الدجال بالكلية من الخوارج والجهمية والمعتزلة وغيرهم ممن سار على نهجهم قديماً وحديثاً ، أو قال أن ما يأتي به الدجال خيالات لا حقيقة لها، فكل هؤلاء قد ردوا ما تواترت به الأحاديث الصحيحة من غير وجه عن رسول الله ﷺ كما تقدم .

قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله– في معرض رده على هؤلاء:

"وقد تقدم حديث حذيفة وغيره أن ماءه نار وناره ماء بارد وإنما ذلك في رأي العين، وقد تمسك بهذا الحديث طائفة من العلماء كابن جزم والطحاوي وغيرهما في أن الدجال ممخرق[٣]، مموه لا حقيقة لما يبدي للناس من الأمور التي تشاهد في زمانه بل كلها خيالات عند هؤلاء .

---

(١) سورة غافر ، الآية : ٥٧ .

(٢) فتح الباري _١٣/٩١-٩٢)

(٣) الممخرق : المشعوذ .

وقال الشيخ أبو علي الجبائي[١]، – شيخ المعتزلة – : لا يجوز أن يكون كذلك حقيقة لئلا يشتبه خارق السحر بخارق النبي، وقد أجابه القاضي عياض وغيره بأن الدجال إنما يدعي الإلهية وذلك مناف للبشرية فلا يمتنع إجراء الخارق على يديه والحالة هذه .وقد أنكرت طوائف كثيرة من الخوارج والجهيمة وبعض المعتزلة خروج الدجال بالكلية وردوا الأحاديث الواردة فيه فلم يصنعوا شيئا وخرجوا بذلك عن حيز العلماء لردهم ما تواترت به الأخبار الصحيحة من غير وجه عن رسول الله ﷺ كما تقدم، وإنما أوردنا بعض ما وردفي هذا الباب ،لأن فيه كفاية ومقنعا والله المستعان.

والذي يظهر من الأحاديث المتقدمة أن الدجال يمتحن الله به عباده بما يخلقه معه من الخوارق المشاهدة في زمانه كما تقدم أن من استجاب له يأمر السماء فتمطرهم والأرض فتنبت لهم زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم وترجع إليهم سماناً ومن لا يستجيب له ويرد عليه أمره تصيبهم السنة والجدب والقحط والعلة وموت الأنعام ونقص الأموال والأنفس والثمرات، وأنه تتبعه كنوز الأرض كيعاسيب النحل، ويقتل ذلك الشاب ثم يحييه ، وهذا كله ليس بمخرفة بل له حقيقة امتحن الله به عباده في ذلك الزمان فيضل به كثراً ويهدي به كثيراً، ويكفر المرتابون، ويزداد الذين آمنوا إيماناً وقد حمل القاضي عياض

---

(١) محمد بن عد الوهاب الجبائي البصري أبو علي الجبائي زعيم الطائفة الجبائية من المعتزلة، تتلمذ عليه أبو الحسن الأشعري ثم ناظره وهجره، وتوفي سنة ٣٠٣هـ. لسان الميزان (٥/٥٧١)، شذرات الذهب (٢/٢٤١).

وغيره على هذا المعنى معنى الحديث " هو أهون على الله من ذلك".

أي هو أقل من أن يكون معه ما يضل به عباده المؤمنين، وما ذاك إلا لأنه ظاهر النقص والفجور والظلم وإن كان معه من الخوارق، وبين عينيه مكتوب كافر كتابة ظاهرة وقد حقق ذلك الشارع في خبره بقوله: ك ـ ف ـ ر. وقد دل ذلك على أنها كتابة حسية لا معنوية، كما يقوله بعض الناس، وعينه الواحدة عوراء شنيعة المنظر ناتئة، وهو معنى قوله " كأنها عنبة طافية" أي طافية على وجه الماء، ومن روى ذلك طافية فمعناه : لا ضوء فيه . وفي الحديث الآخر : كأنها نخامة على حائط مجصص " أي بشعة الشكل، وقد ورد في بعض الأحاديث أن عينه اليمنى عوراء رحا[1]، اليسرى ، فإما أن تكون إحدى الروايتين غير محفوظة، أو أن العور حاصل في كل من العينين ويكون معنى العور النقص والعيب .

ويقوي هذا الجواب : ما رواه الطبراني قال حدثنا محمد بن محمد التمار وأبو خليفة قالا : حدثنا أبو الوليد حدثنا زائدة حدثنا سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ: **(الدجال جعد هجان أقمر كأن رأسه غصن شجرة مطموس عينه اليسرى، والأخرى كأنها عنبة طافية)** الحديث[2]، وكذلك رواه سفيان الثوري عن سماك بنحوه، لكن قد جاء في الحديث المتقدم وعينه الأخرى كأنها كوكب دري، وعلى هذا فتكون الرواية الواحدة غلطاً، ويحتمل

---

(١) رحا اليسرى أي مثلها كأن عينيه في التماثيل حجراً للرحا.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٧٣/١١).

أن يكون المراد أن العين الواحدة عوراء في نفسها، والأخرى عوراء باعتبار انبرازها ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب(١).

المطلب الثالث : نزول عيسى بن مريم عليه السلام

من إمارات الساعة العظام وأشراطها الكبار نزول عيسى بن مريم عليه السلام آخر الزمان من السماء، وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أنه ينزل قبل قيام الساعة فيقتل الدجال ويكسر الصليب ويحكم بالقسط ويقضي بشرعية النبي ﷺ ويحيي من شأنها ما تركه الناس، ثم يمكث ما شاء الله أن يمكث ثم يموت ويصلى عليه ويدفن.

والكلام على عيسى عليه السلام يتضمن عدة مسائل :

المسألة الأولى : الأدلة على نزوله من الكتاب والسنة :

ورد في القرآن الكريم ثلاث آيات تدل على نزول عيسى عليه السلام الآية الأولى : قول تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ (٢)، أي أن نزول عيسى عليه السلام قبل القيامة علامة على قرب الساعة، ويدل على هذا القراءة الأخرى "وإنه لعلم للساعة" بفتح العين واللام، أي خروجه علم من أعلام الساعة وشرط من شروطها وأمارة على قرب قيامها. وروى الإمام أحمد والحاكم عن ابن

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير : (١/١٦٤-١٦٦).

(٢) سورة الزخرف ، الآية : ٦١ .

عباس – رضي الله عنهما– في تفسير هذه الآيـة: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ قال : (هو خروج عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة)[١].

وهذا المعنى مروي من عدد من أئمة التفسير واختاره الحافظ ابن كثـير وغيره[٢].

الآية الثانيـــة قولـه تعـالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ [٣].

قال البغوي –رحمه الله– في تفسير هذه الآية : معنى الآية : أثخنوا المشـركين بالقتل والأسر حتى يدخل أهل الملل كلها في الإسلام، ويكون الدين كله لله فـلا يكون بعده جهاد ولا قتال وذلك عند نزول عسيى بن مريم عليهما السلام"[٤].

والآية الثالثة قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾ [٥].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٢٩/٤) حديث رقم ٢٩٢١، وقال أحمد شاكر –رحمه الله– : إسناده صحيح، وفي مستدرك الحاكم (٢٥٤/٢) وقال : صحيح الإسـناد ولـم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) انظر : تفسير ابن كثير (١٣١/٤–١٣٢)، وأيضاً : تفسير الطبري (٩٠/٢٥).

(٣) سورة محمد الآية : ٤ .

(٤) تفسير البغوي (١٧٩/٤) .

(٥) سورة النساء، الآية : ١٥٩.

قرر كثير من المفسرين أن الضميرين في (به) ، و (موته) لعيسى بن مريم عليه السلام[١].

وقد روى بن جرير الطبري – رحمه الله– عن أبي مالك –رحمه الله– في قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ قال ذلك عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام لا يبقى احد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به[٢].

يقول الحافظ ابن كثير –رحمه الله– ولاشك أن هذا هو الصحيح لأنه المقصود من سياق الآية في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنما شبه لهم فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك، فأخبر الله رفعه إليه ، وأنه باق حي، وأنه سينزل قبل يوم القيامة، كما دلت عليه الأحاديث المتواترة التي سنوردها إن شاء الله قريباً ، فيقتل مسيح الضلالة، ويكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، يعني لا يقبلها من أحد من أهل الأديان، بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف، فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم[٣].

---

(١) انظر تفسير الطبري (٢١/٦)، وتفسير البغوي (٤٩٧/١)، وتفسير ابن كثير (٥٧٧/١).

(٢) تفسير ابن جرير الطبري : (١٨/٦).

(٣) تفسير ابن كثير : (٥١٤/١).

وأما الأدلة من السنة المطهرة على نزوله فهي كثيرة جداً منها : حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً وعدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، لا يقبلها من كافر، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها"(١)،

ثم يقول أبو هريرة : اقرأوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾(٢).

ومنها حديث جابر رضي الله عنه: قال : سمعت النبي ﷺ يقول: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا ، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله لهذه الأمة(٣).

ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (الأنبياء أخوة لعلات(٤)، أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وإني أولى الناس بعيسى بن مريم،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الأنبياء (١٤٣/٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان (١٣٥/١).

(٢) سورة النساء، الآية : ١٥٩.

(٣) أخرجه مسلم : كتاب الإيمان، (١٣٧/١).

(٤) العلات : جمع علة، والعلة هي الضرة، والمراد : الإخوة من أمهات مختلفة وأبوهم واحد، والمراد أن إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة.

لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل ، فإذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض عليه ثوبان ممصران[١]، كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال، ثم تقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم، فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى، ويصلي عليه المسلمون"[٢]، إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة .

قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله– معلقاً على أحاديث نزول عيسى عليه السلام: (فهذه أحاديث متواترة عن رسول الله ﷺ من رواية أبي هريرة وابن مسعود، وعثمان بن أبي العاص ، والنواس بن سمعان، وعبدالله ابن عمرو بن العاص ، ومجمع بن جارية ، وأبي سريحة حذيفة بن أسيد رضي الله عنهم وفيها دلالة على صفة نزوله ومكانه ، وأنه بالشام، بل بدمشق

النهاية في غريب الحديث (٢٩١/٣).

(١) الممصران : تثنية ممصر، والممصر من الثياب الذي فيه صفرة خفيفة.
النهاية لابن الأثير (٣٣٦/٤).

(٢) أخرجه أحمد (٤٠٦/٢) وقال أحمد شاكر : حديث صحيح، عمدة التفسير (٣٦/٤)، وأبو داود: كتاب الملاحم، باب خروج الدجال (٤٩٨/٤)، والحاكم (٥٩٥/٢)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
وقال ابن كثير –رحمه الله– في النهاية في الفتن والملاحم (١٨٨/١): وهذه إسناد جيد قوي.

عند المنارة الشرقية، وأن ذلك يكون عند الإقامة لصلاة الصبح .. فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية فلا يقبل إلا الإسلام كما تقدم في الصحيحين، وهذا إخبار من النبي ﷺ بذلك، وتقرير وتشريع وتسويغ له على ذلك في ذلك الزمان حيث تنزاح عللهم، وترتفع شبههم من أنفسهم، ولهذا كلهم يدخلون في دين الإسلام متابعة لعيسى عليه السلام وعلى يديه ولهذا قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾ [١]، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ [٢]، وقرئ ((لعلم)) بالتحريك، أي أمارة ودليل على اقتراب الساعة وذلك أنه ينزع بعد خروج المسيح الدجال فيقتله الله على يديه ويبعث الله في أيامه يأجوج ومأجوج فيهلكهم الله ببركة دعائه[٣]، وقد أجمعت الأمة على نزول عيسى عليه السلام علم من أعلام الساعة ولم يخالف في ذلك إلا من شذ ممن لا يلتفت إليه ولا يعتد بخلافه[٤].

قال السفاريني – رحمه الله– أجمعت الأمة على نزوله، ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحده، ممن لا يعتد بخلافه،

---

(١) سورة النساء، الآية : ١٥٩.

(٢) سورة الزخرف، الآية : ٦١.

(٣) تفسير ابن كثير (١/٥١٩-٥٢٠).

(٤) انظر : الشريعة للأجري ص (٣٨١). والشرح والإبانة (٢٤١)، وشرح العقيدة الطحاوية: (٥٠٥).

وقد انعقد إجماع الأمة على أنه ينـزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية، وليس ينـزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء وإن كانت قائمة به وهو متصف بها[١].

المسألة الثانية : صفات عيسى عليه السلام :

أخبرنا الرسول ﷺ عن صفات عيسى عليه السلام فجاء في الروايات أنه رجل مربوع القامة ليس بالطويل ولا بالقصير، جعد أحمر اللون، عريض الصدر، أقرب الناس شبهاً به عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه.

عن ابن عباس – رضي الله عنهما– قال : قال رسول الله ﷺ : **(رأيت عيسى وموسى وإبراهيم فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر)**[٢].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتقدم[٣]، أن رسول الله ﷺ قال: **(لم يكن بيني وبينه نبي – يعني عيسى– وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجل مربوع ، إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصران، كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية ويدعو الناس إلى الإسلام، فيهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام..)**الحديث .

---

(١) لوامع الأنوار البهية : (٩٤/١-٩٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب أحاديث الأنبياء، (٤٧٧/٦).

(٣) تقدم تخريجه.

وعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: **(عرض على الأنبياء فإذا موسى ... ورأيت عيسى بن مريم، فإذا أقرب من رأيت به شبهاً عروة بن مسعود ..)** الحديث[١].

المسألة الثالثة : مكان نزوله :

ينزل عيسى عليه السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، وعليه مهرودتان ، ويكون هذا مع صلاة الفجر حيث اصطف المسلمون للصلاة، وقد تقدم إمامهم- والغالب أنه المهدي كما سبق للصلاة بهم، فعند ما يعلم بعيسى عليه السلام يتأخر ويطلب من عيسى أن يتقدم ليؤمهم فيأبى، فيصلي بهم المهدي، فعن النواس بن سمعان رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ **(... فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلب بباب لد فيقتله، ثم يأتي عيسى بن مريم قوم قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة)**[٢].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الإيمان (١٦٧/١).

(٢) تقدم تخريجه.

يقول الحافظ ابن كثير -رحمه الله- :" الأشهر في موضع نزوله أنه على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق، وقد رأيت في بعض الكتب أنه ينـزل على المنارة البيضاء شرقي جامع دمشق، فلعل هذا هو المحفوظ، وتكون الرواية" فينـزل على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق، فتصرف الراوي في التعبير بحسب ما فهم، وليس بدمشق منارة تعرف بالشرقية سوى التي إلى شرق الجامع الأموي، وهذا هو الأنسب والأليق، لأنه ينـزل وقد أقيمت الصلاة"[١].

ويقول الحافظ ابن رجب -رحمه الله- وبالشام ينـزل عيسى بن مريم في آخر الزمان، وهو المبشر بمحمد ﷺ ويحكم به ولا يقبل من أحد غير دينه فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويصلي خلف إمام المسلمين ويقول: إن هذه الأمة أئمة بعضهم لبعض "[٢].

وأما مدة بقاء عيسى عليه السلام إذا نزل ففي بعض الروايات أنه يمكث سبع سنين، وفي الروايات الأخرى : أنه يمكث أربعين عاماً ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون، ففي حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال : **(فيبعث الله عيسى بن مريم .. ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته)** [٣].

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم : (١/١٩٢).

(٢) لطائف المعارف ص (٩٠).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الفتن وأشراط الساعة (٤/٢٢٥٨).

يقول الحافظ ابن كثير –رحمه الله– :" الأشهر في موضع نزوله أنه على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق، وقد رأيت في بعض الكتب أنه ينـزل على المنارة البيضاء شرقي جامع دمشق، فلعل هذا هو المحفوظ، وتكون الرواية" فينـزل على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق، فتصرف الراوي في التعبير بحسب ما فهم، وليس بدمشق منارة تعرف بالشرقية سوى التي إلى شرق الجامع الأموي، وهذا هو الأنسب والأليق، لأنه ينـزل وقد أقيمت الصلاة"[١].

ويقول الحافظ ابن رجب –رحمه الله– وبالشام ينـزل عيسى بن مريم في آخر الزمان، وهو المبشر بمحمد ﷺ ويحكم به ولا يقبل من أحد غير دينه فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويصلي خلف إمام المسلمين ويقول: إن هذه الأمة أئمة بعضهم لبعض "[٢].

وأما مدة بقاء عيسى عليه السلام إذا نزل ففي بعض الروايات أنه يمكث سبع سنين، وفي الروايات الأخرى : أنه يمكث أربعين عاماً ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون، ففي حديث عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما– أن النبي ﷺ قال : **(فيبعث الله عيسى بن مريم .. ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته)** [٣].

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم : (١/١٩٢).

(٢) لطائف المعارف ص (٩٠).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الفتن وأشراط الساعة (٤/٢٢٥٨).

وفي حديث أبي هريرة السابق (**ثم يمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون**).

وقد جمع الحافظ ابن كثير –رحمه الله– بين الروايتين فقال :" هكذا وقع في الحديث: أنه يمكث أربعين سنة ، وثبت في صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو أنه يمكث في الأرض سبع سنين، فهذا مع هذا مشكل، اللهم إلا إذا حملت هذه السبع على مدة إقامته بعد نزوله، وتكون مضافة إلى مدة مكثه فيها قبل رفعه إلى السماء، وكان عمره إذ ذاك ثلاثاً وثلاثين سنة على المشهور، والله أعلم[1].

وقد عارض السفاريني هذا الجمع فقال بعد أن ذكره بدون عزو: وهذا – والله أعلم– ليس بشيء لما مر من حديث عائشة عند الإمام أحمد وغيره (**فيقتل الدجال ، ثم يمكث عيسى في الأرض أربعين سنة**)، ثم حكى عن البيهقي أنه اعتمد رواية ((أربعين))، كما نقل عن السيوطي أنه ذهب إلى ترجيحها، لأن زيادة الثقة يحتج بها، ولأنهم يأخذون برواية الأكثر ويقدمونها على رواية الأقل لما معها من زيادة العلم، ولأنه مثبت والمثبت مقدم[2].

وقال البرزنجي : " إن القليل لا ينافي الكثير"[3].

---

(1) النهاية في الفتن والملاحم (١/١٩٣).

(2) لوامع الأنوار البهية (٢/٩٩).

(3) الإشاعة ص (٣٠٤).

ولعل الراجح أن يقال : أن رواية (أربعين سنة) هي المعتمدة، لأنـــها سبع رواية الأكثر، كما أشار إلى ذلك السفاريني، ولعل هذه السنين تمر كأنـــها سنين ، ويستأنس لذلــك بــما رواه عبد بن حميد عن أبي هريرة في تفســـير قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ [١]، قال : خروج عيسى يمكث فـــي الأرض أربعين سنة، وتكون تلك الأربعون كأربع سنين، يحج ويعتمر [٢]، والله أعلم.

المسألة الرابعة : الأحاديث الواردة في نزول عيسى عليه السلام متواترة:

سبق ذكر بعض الأحاديث الواردة في نزول عيسى عليه السلام وهـــو تدل دلالة واضحة على ثبوت نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمـــان، ولا حجة لمن ردها أو قال : أنها أحاديث آحاد لا تقوم بها الحجة أو أن نزوله ليس عقيدة من عقائد المسلمين التي يجب عليهم أن يؤمنوا بها، لأنه إذا ثبت الحديث وجب الإيمان به وتصديق ما أخبر به الصادق والمصدق ﷺ ولا يجوز لنـــا رد قوله لكونه حديث آحاد، لأن هذه حجة واهية، لأن حديث الآحاد إذا صـــح، وجب تصديق ما فيه ، وإذا قلنا أن حديث الآحاد ليس بحجة، فإننا نرد كثـــيراً من أحاديث رسول الله ﷺ ، ويكون ما قاله عليه الصلاة والســـلام عبثـــاً لا

---

(١) سورة الزخرف، الآية : ٦١ .

(٢) انظر : الدر المنثور : (٦/٢٠)

معنى له، كيف والعلماء قد نصوا على تواتر الأحاديث في نزول عيسى عليه السلام.

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله- أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ ، والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة : "ثم ذكر جملة من عقيدة أهل السنة ثم قال:" والإيمان أن المسيح الدجال مكتوب بين عينيه "كافر" والأحاديث التي جاءت فيه، والإيمان بأن ذلك كائن ، وأن عيسى ينزل فيقتله بباب لد "[١]، وقال أبو الحسن الأشعري[٢]، - رحمه الله- في سرده لعقيدة أهل الحديث: "والسنة: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله، وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا يردون

---

(١) طبقات الحنابلة (١/٢٤١-٢٤٣).

(٢) هو الإمام العلامة أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري البصري، نشأ في حجر زوج أمه أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة في عصره وقد تتلمذ عليه واعتنق مذهبه، ما يقارب من أربعين سنة، ثم هداه الله إلى مذهب أهل السنة والجماعة بعد مروره بمذهب الكلابية فأعلن أنه على مذهب أحمد بن حنبل، وله مصنفات كثيرة، ومن أشهرها: مقالات الإسلاميين وكتاب اللمع، والوجيز وغيرها وكان آخر ما ألف كتابه الإبانة عن أصول الديانة – توفي سنة ٣٢٤هـ .

تبيين كذب المفتري : (٣٤) وسير أعلام النبلاء (١٥/٨٥) البداية والنهاية (١١/١٨٦)، وشذرات الذهب (٢/٣٠٣-٣٠٥).

من ذلك شيئاً. ويصدقون بخروج الدجال وأن عيسى يقتله "ثم قال في آخر كلامه" وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول ، وإليه نذهب "[١].

وقال ابن جرير الطبري بعد ذكره الخلاف في معنى وفاة عيسى عليه السلام وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال : " معنى ذلك : إني قابضك من الأرض ورافعك إليَّ "لتواتر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال**)[٢]، ثم ساق بعض الأحاديث الواردة في نزوله .

وقال ابن كثير " تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً "[٣]، وقال صديق حسن خان " والأحاديث في نزوله عليه السلام كثيرة ذكر الشوكاني منها تسعة وعشرين حديثاً ما بين صحيح وضعيف منجبر، منها ما هو مذكور في أحاديث الدجال.. ومنها ما هو مذكور في أحاديث المنتظر، وتنضم إلى ذلك أيضاً الآثار الواردة عن الصحابة فلها حكم الرفع إذ لا مجال للاجتهاد في ذلك، ثم ساقها وقال : جميع ما سقناه بالغ حد التواتر كما لا يخفى على من له فضل اطلاع "[٤].

---

(١) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (٣٤٥/١).

(٢) تفسير الطبري (٢٩١/٣).

(٣) تفسير ابن كثير (٢٢٣/٧).

(٤) الإذاعة ص ١٦٠ .

وقال الغماري : " وقد ثبت القول بنـــزول عيسى عليه السلام عن غـــير واحد من الصحابة والتابعين وأتباعهم والأئمة والعلماء من سائر المذاهب على ممر الزمان إلى وقتنا هذا[١]، وقال "تواتر هذا تواترا" لاشك فيه بحيث لا يصح أن ينكره إلا الجهلة الأغبياء كالقاديانية ومن نحا نحوهم، لأنه نقل بطريق جمع عن جمع حتى استقر في كتب السنة التي وصلت إلينا تواترا بتلقي جيل عـــن جيل "[٢].

وممن جمع الأحاديث في نزول عيسى عليه السلام الشيخ محمد أنور شاه الكشميري[٣]، في كتابه " التصريح بما تواتر في نزول المسيح" فذكر أكثر من سبعين حديثا .

وقال صاحب عون المعبود شرح سنن أبي داود " تواترت الأخبار عـــن النبي ﷺ في نزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء بجسده العنصـــري إلى الأرض عند قرب الساعة، وهذا هو مذهب أهل السنة "[٤].

---

(١) عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام، ص ١٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٥ .

(٣) هو العلامة المحدث محمد أنور شاه الكشميري الهندي له عدة مؤلفات منـــها فيـــض الباري على صحيح البخاري في أربعة مجلدات، والعرف الشذي على جامع الـترمذي وغيرهما. توفي في ديوبند سنة ١٣٥٢هـــ. انظر ترجمته في مقدمة كتاب "التصريـــح" لعبد الفتاح أبو غدة محقق الكتاب.

(٤) عون المعبود ٤٥٧/١١ .

وقال الشيخ أحمد شاكر : نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان مما لم يختلف فيه المسلمون لورود الأخبار الصحاح عن النبي ﷺ بذلك .. وهذا معلوم من الدين بالضرورة لا يؤمن من أنكره"[١].

وقال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني "أعلم أن أحاديث الدجال ونزول عيسى عليه السلام متواترة، ويجب الإيمان بها ولا تغتر بمن يدعي فيها أنها أحاديث آحاد، فإنهم جهال بهذا العلم، وليس فيهم من تتبع طرقها ولو فعل لوجدها متواترة كما شهد بذلك أئمة هذا العلم كالحافظ ابن حجر وغيره، ومن المؤسف حقاً أن يتجرأ البعض على الكلام فيما ليس من اختصاصهم لاسيما والأمر دين وعقيدة[٢].

المسألة الخامسة : الحكمة من نزول عيسى عليه السلام دون غيره:

ذكر بعض العلماء – رحمهم الله تعالى– الحكمة من نزول عيسى عليه السلام دون غيره ، ومن أقوالهم في ذلك :

١ – الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوا عيسى عليه السلام، فبين الله تعالى كذبهم وأنه الذي يقتلهم ويقتل رئيسهم الدجال، ورجح الحافظ ابن حجر

---

(١) من حاشية تفسير الطبري ٤٦٠/٦ تخريج الشيخ أحمد محمد شاكر وتحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة دار المعارف مصر.

(٢) انظر حاشية العقيدة الطحاوية تخريج الألباني ص ٥٦٥.

هذا القول على غيره[١].

٢ – إن عيسى عليه السلام وجد في الإنجيل فضل أمة محمد ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ﴾ [٢]، فدعا الله أن يجعله منهم فاستجاب الله دعاءه وأبقاه حتى ينزل آخر الزمان مجدداً لما درس من دين الإسلام دين محمد عليه الصلاة والسلام فتوافق خروج الدجال فيقتله [٣].

٣ – إن نزول عيسى عليه السلام من السماء لدنو أجله ليدفن في الأرض إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيرها، فيوافق نزوله خروج الدجال فيقتله عيسى عليه السلام[٤].

٤ – إنه ينزل مكذباً للنصارى فيظهر زيفهم في دعواهم الأباطيل ويهلك الله الملل كلها في زمنه إلا الإسلام فإنه يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية .

٥ – إن خصوصيته بهذه الأمور المذكورة لقول النبي ﷺ **(أنا أولى الناس بعيسى بن مريم، ليس بيني وبينه نبي)**[٥]، فرسول الله أخص الناس

---

(١) فتح الباري ٤٩٣/٦ .

(٢) سورة الفتح، الآية : ٢٩.

(٣) التذكرة للقرطبي (٧٩٤/٢).

(٤) التذكرة للقرطبي (٧٩٥/٢).

(٥) صحيح البخاري في صحيحه: ٤٧٧/٦–٤٧٨، كتاب أحاديث الأنبياء (٤٧٧/٦) ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، (١٨٣٧/٤).

وأقربهم إليه، فإن عيسى مبشر بأن رسول الله ﷺ يأتي من بعده ودعا الخلق إلى تصديقه والإيمان به[١]، كما في قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[٢]، وفي الحديث **(قالوا يا رسول الله أخبرنا عن نفسك، قال: نعم أنا دعوة أبي إبراهيم، بشرى أخي عيسى)**[٣].

المسألة السادسة : الأمور التي تكون في زمن عيسى عليه السلام:

١ - قتل المسيح الدجال:

سبق ذكر أن نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام ينزل والمسلمون في حال إعداد أنفسهم لحرب الدجال ، وعلمنا أن الصلاة تقام في ذلك الوقت، فيصلي عيسى بن مريم عليه السلام خلف الرجل الصالح، وعندما يعلم الدجال بنزول عيسى يهرب فيلحقه نبي الله إلى بيت المقدس فيدركه وقد حاصر عصابة من المسلمين، فيأمرهم عيسى عليه السلام بفتح الباب فيفعلون

---

(١) انظر هذه الأقوال في المنهاج في شعب الإيمان (٤٣٤/١-٤٢٥) للحليمي، والتذكرة للقرطبي (٦٧٩/٢) وفتح الباري لابن حجر (٤٩٣/٦)، وكتاب التصريح بما تواتر في نزول المسيح ص (٩٤).

(٢) سورة الصف، الآية : (٦).

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (١٢٧/٤)، قال ابن كثير عن إسناده : (هذا إسناد جيد)، وروي له شواهد من وجوه أخر، تفسير ابن كثير : (٣٢٤/٤).

ويكون وراءه الدجال فينطلق هارباً فيحلقه نبي الله عليه السلام فيدركه عند باب لد الشرقي فيقضي عليه وعلى من معه من يهود.

ففي الحديث الصحيح عن أبي أمامه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **(فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح، إذ نزل عليهم عيسى بن مريم الصبح، فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي القهقرى ليتقدم عيسى، فيضع عيسى يده بين كتفيه، ثم يقول له: تقدم فصل، فإنها لك أقيمت، فيصلي بهم إمامهم، فإذا انصرف قال عيسى: افتحوا الباب، فيفتحون ووراءه الدجال، معه سبعون ألف يهودي، كلهم ذو سيف محلى وساج، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء، وينطلق هارباً، فيقول عيسى عليه السلام إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها، فيدركه عند باب لد الشرقي، فيقتله، فيهزم الله اليهود، فلا يبقى شيء مما خلق الله عز وجل ليتوارى به يهودي إلا أنطلق ذلك الشيء، لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة إلا الغرقدة، فإنها من شجرهم لا تنطق، إلا قال: يا عبد الله المسلم هذا يهودي فتعال اقتله...)**[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(فبينما هم يعدون للقتال ويسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى بن مريم**

---

(1) أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الفتن (١٣٦١/٢)، والحاكم في المستدرك (٤٣٦/٤)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

عليه السلام فإذا رآه عدو الله ذاب كما ذاب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك ولكنه يقتله الله بيده، فيريهم دمه في حربته)[١].

وهكذا يكون أول عمل يقوم به نبي الله عيسى بن مريم بعد نزوله من السماء هو مواجهة الدجال والقضاء عليه وعلى من يتبعه من يهود.

٢ – هلاك يأجوج ومأجوج :

إن خروج قوم يأجوج ومأجوج علامة من علامات الساعة الكبرى، وسيأتي الكلام على هذه العلامة، والمراد هنا بيان أن عيسى عليه السلام بعد أن يقضي على الدجال وفتنته يفسد هؤلاء القوم في الأرض فسادا كبيرا، فيتضرع نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الله تعالى فيهلكهم شر هلكة ويصبحون موتى لا يبقى منهم أحد، كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله في الكلام على يأجوج ومأجوج.

٣ – القضاء على كل الشرائع والحكم بالإسلام :

عيسى عليه السلام عندما ينزل من السماء يكون تابعا لشرع الإسلام، فيحكم بكتاب الله عز وجل ، وبسنة نبينا محمد ﷺ ، وبذلك يقضي على كل الشرائع التي تحكم الناس سوى الإسلام، وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة، فإن شريعة الإسلام ناسخة للشرائع قبلها، وقد أخذ الله العهد والميثاق على

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفتن وأشراط الساعة (٤/٢٢٥٣).

جميع الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ويتابعوه إذا بعث وهم أحياء، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [١].

ومن أجل هذا فهو يكسر الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية فلا يقبل من أحد إلا الإسلام، أو القتل. يقول القرطبي -رحمه الله- ذهب قوم إلى أنه بنزول عيسى عليه السلام يرتفع التكليف لئلا يكون رسولاً إلى أهل ذلك الزمان يأمرهم عن الله تعالى وينهاهم ، وهذا أمر مردود بالأخبار التي ذكرناها .. وبقوله تعالى: ﴿ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [٢]، وقوله عليه الصلاة والسلام " لا نبي بعدي"[٣]، وقوله ﷺ "أنا العاقب"[٤]، يريد آخر الأنبياء وخاتمهم ، إذا كان ذلك فلا يجوز أن يتوهم أن عيسى ينزل نبياً بشريعة متجددة غير شريعة محمد نبينا ﷺ بل إذا أنزل فإنه يكون يومئذ من أتابع محمد ﷺ كما أخبر النبي ﷺ حيث قال لعمر : **(لو كان موسى حياً ما وسعه إلا**

(١) سورة آل عمران آية (٨١).

(٢) سورة الأحزاب آية (٤٠).

(٣) أخرجا مسلم في صحيحه : كتاب الفضائل (٤/١٠٤).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب المناقب (٤/١٦٢).

اتباعي)[١]، .. فعيسى عليه السلام إنما ينـــزل مقرراً لهذه الشريعة مجدداً لها إذ هي آخر الشرائع ومحمد ﷺ آخر الرسل "[٢].

٤ – رفع الشحناء والتباغض من بين الناس، وانتشار الأمـــن والرخــاء بيـــن الخلق.

من الأمور التي أخبرنا عنها رسول الله ﷺ أنها تحدث في زمن عيسى عليه السلام : أن الشحناء والتباغض والتحاسد ترفع من بين الناس حيث تجتمع كلمة الجميع على الإسلام، وتعم البركة، وتكثر الخيرات، حيث تنبـــت الأرض نبتها، ولا يرغب في اقتناء المال لكثرته، وينـــزع الله في ذلك الوقت سم كـــل ذي سم حتى يلعب الأولاد بالحيات والعقارب فلا تضرهم، ترعى الشــــاة مـــع الذئب فلا يضرها ، فتملأ الأرض أمناً وسلماً، وينعـــدم القتـــال بيـــن البشـــر فترخص الخيل لعدم القتال، وترتفع أسعار الثور لأن الأرض تحرث كلها.

ففي حديث النواس بن سمعان رضي الله عنهما الســـابق أن رســـول الله ﷺ قال : (**...ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مـــدر ولا وبـــر، فيغســـل الأرض حتى يتركها كالزلفة، ثم يقال للأرض : أنبتي ثمرتك، وردي بركتـــك،**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٨٧/٣) وقال الحافظ ابن حجر في الفتـح (٣٣٤/١٣) رجاله موثقون إلا أن في مجالد ضعفاً .

(٢) التذكرة للقرطبي (٧٩٢/٢).

فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرسل[١]**، حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس ..الحديث)**[٢].

ومن حديث أبي أمامه الطويل أن رسول الله ﷺ قال : (.. **فيكون عيسى ابن مريم في أمتي حكماً عدلاً، وإماماً مقسطاً يدق الصليب، ويذبح الخنزير، ويضع الجزية ويترك الصدقة، فلا يسعى على شاة ولا بعير، وترفع الشحناء والتباغض، وتنزع حمة كل ذات حمة، حتى يدخل الوليد يده في الحية فلا تضره، وتضر الوليدة الأسد فلا يضرها، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها، وتملأ الأرض من السلم كما يملأ الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدة فلا يعبد إلا الله وتضع الحرب أوزارها، وتسلب قريش ملكها، وتكون الأرض كفاثور**[٣]**، الفضة تنبت نباتها بعهد آدم حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم، ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم ، ويكون الثور بكذا وكذا من المال، ويكون الفرس بالدريهمات...)**[٤].

---

(١) الرسل : بسكر الراء وإسكان السين هو اللبن. انظر شرح صحيح مسلم للنووي (٦٩/١٨).

(٢) تقدم تخريجه ص ١١٦.

(٣) الفاثور : الخوان، قيل : هو طست أو جام من فضة أو ذهب.
النهاية في غريب الحديث (٤١٢/٣).

(٤) تقدم تخريجه ص ١٥٢-١٥٣ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ **(والله لينزلن عيسى ابن مريم حكماً عادلاً .. وليضعن الجزية ولتتركن القلاص[١]، فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد)**[٢].

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى " ومعناه أن يزهد الناس فيها، ولا يرغب في اقتنائها لكثرة الأموال وقلة الآمال وعدم الحاجة والعلم بقرب القيامة، وإنما ذكرت القلاص لكونها أشرف الإبل التي هي أنفس الأموال عند العرب وهو شبيهة بمعنى قول الله عز وجل: ﴿ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾ [٣]، ومعنى لا يسعى عليها لا يعتنى بها"[٤].

المسألة السابعة : موت عيسى عليه السلام ودفنه

لم يرد عن الشارع نص يبين لنا مكان موت عيسى عليه السلام ولكن ذكر بعض العلماء أنه يموت عليه السلام في المدينة النبوية، وقيل أنه يدفن مع رسول الله ﷺ وصاحبيه رضي الله عنهما.

---

(١) القلاص : بكسر القاف جمع قلوص بفتح القاف وهي الناقة الشابة. النهاية في غريب الحديث (١٠٠/٤).

(٢) تقدم تخريجه ص ١٥٣.

(٣) سورة التكوير آية ٤ .

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي (١٩٢/٢)

قال القرطبي رحمه الله " واختلف حيث يدفن فقيل : بالأرض المقدسة ذكره الحليمي، وقيل يدفن مع النبي ﷺ على ما ذكرناه من الأخبار "[١].

المطلب الرابع : خروج يأجوج ومأجوج

من علامات الساعة الكبرى التي أخبر بها الرسول ﷺ خروج يأجوج ومأجوج، والكلام على هذه العلاقة يتضمن المسائل التالية :

المسألة الأولى / أصل يأجوج ومأجوج ونسبهم

اختلف في اشتقاق الكلمتين :

فقيل : هما اسمان أعجميان منعا من الصرف للعلمية والعجمة، وعلى هذا فليس لهما اشتقاق، لأن الأعجمية لا تشتق من العربية .

وقيل: بل هما عربيان، واختلف في اشتقاقهما، فقيل : من آجج النار وهو التهابها، وقيل : من الأجاج وهو الماء الشديد الملوحة، وقيل: من الأج: وهو سرعة العدو، وقيل: من الأجة بالتشديد وهي الاختلاط والاضطراب.

وعند جمهور القراء : " يأجوج ومأجوج " بدون همز وأما قراءة عاصم فهي بالهمزة الساكنة فيهما[٢].

---

(١) التذكرة (٧٩٤/٢)، وانظر لوامع الأنوار البهية (١١٣/٢).

(٢) انظر : لسان العرب (٢٠٧/٢)، التذكرة للقرطبي ص (٨١٥)، فتح الباري لابن حجر (١٠٦/١٣)، لوامع الأنوار البهية للسفاريني (١١٣/٢).

والخلاصة من هذا : أن جميع ما ذكر في اشتقاقهما مناسب لحالهم، ويؤيد الاشتقاق من ماج قوله تعالى﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ ﴾[١]، وذلك حين يخرجون من السد[٢].

وقد اختلف في نسبهم، فقيل : أنهم من ذرية آدم .

والذي رجحه الحافظ ابن حجر – رحمه الله – أنهم قبيلتان من ولد يافث بن نوح[٣]، فهما من ولد آدم وحواء، ويؤيد ذلك حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : رسول الله ﷺ : يقول الله عز وجل يوم القيامة : يا آدم، يقول لبيك ربنا وسعديك، فينادي بصوت :إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار، قال يا رب: وما بعث النار؟ قال : من كل ألف (أراه قال) تسعمائة وتسعة وتسعين، فحينئذ تضع الحامل حملها، ويشيب الوليد: ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾[٤]،

---

(١) سورة الكهف، الآية : ٩٩.

(٢) الإشاعة لأشراط الساعة للبرزنجي ص ٣٢٤.

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٠٦/١٣).

(٤) سورة الحج، الآية : ٢ .

فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم ، فقال النبي ﷺ : من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم واحد " الحديث[١].

المسألة الثانية : الأدلة على خروجهم من القرآن والسنة :

ورد ذكرهم في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ﴾[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الرقائق (١٩٦/٧)، ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان (٢٠١/١).

(٢) سورة الكهف، الآيات (٩٣-٩٨).

وقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾[١].

فدلالة الآية على كون خروجهم من أشراط الساعة : أن فيها التصريح بأنه إذا فتحت يأجوج ومأجوج فإن ذلك دليل على اقتراب الوعد الحق والمراد به يوم القيامة[٢].

فقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ حتى فيه متعلقة بما قبل الآية أي كل قرية أهلكت تبقى في الهلاك حتى قيام الساعة، أو تبقى في عدم الرجعة إلى الدنيا، أو إلى التوبة حتى قيام الساعة، وهذه الأقوال مفروعة على معنى الآية السابقة[٣]، وهي قوله تعالى: ﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾[٤].

وقيل : إن "حتى" متعلقة بقوله (وتقطعوا أمرهم) أي استمر الخلاف بين الأمم

---

(١) سورة الأنبياء، الآيات (٩٦-٩٧).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (١٨٧/٣).

(٣) انظر : تفسير أبي السعود (٥٣٥/٣) وتفسير الآلوسي (٩٢/١٧)

(٤) سورة الأنبياء آية رقم (٩٥).

حتى قيام الساعة[١] ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ ﴾ المراد إذا فتح الردم عن هاتين القبيلتين العظيمتين وتمكنوا من الخروج، فيخرجون من كل حدب وهو المرتفع من الأرض[٢]، يسرعون في المشي إلى الفساد .

وأما الأدلة من السنة على خروجهم فهي كثيرة :

منها : حديث أم حبيبة بنت أبي سفيان عن زينب بنت جحش أن رسول الله ﷺ دخل يوماً فزعاً يقول : لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ، وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها – قالت زينب بنت جحش : فقلت يا رسول الله أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال : نعم ، إذا كثر الخبث[٣].

ومنها : حديث النواس بن سمعان الذي تقدم ذكره كثيراً، وفيه " إذ أوحى الله لي عيسى أني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر أخرهم فيقولون : لقد كان بهذه مرة

---

(١) انظر : البحر المحيط (٣٣٩/٦) وقد نسب القول به إلى ابن عطية، وانظر أيضاً تفسير الألوسي (٩٢/١٧).

(٢) أنظر: تفسير الطبري : (٧٢/١٧-٧٣)، والقرطبي (٣٤١/١١) وانظر المفردات للراغب ص ١١٠، تفسير ابن كثير (١٨٧/٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأنبياء (٣٨١/٦) وكتاب الفتن (١٠٦/١٣). ومسلم في صحيحه : كتاب الفتن وأشراط الساعة (٢٢٠٧/٤).

ماء، ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب إلى الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البخت فتطرحهم حيث شاء الله:[١]، وفي رواية بعد قوله : ولقد كان بهذه مرة ماء ثم يسيرون ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر[٢]، وهو جبل بيت المقدس فيقولون : لقد قتلنا من في الأرض هلم فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دماً[٣].

ومنها حديث حذيفه بن أسيد رضي الله عنه في ذكر أشراط الساعة فذكر منها : يأجوج ومأجوج[٤].

ومنها حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : قال لما كان ليلة أسري

---

(١) تقدم تخريجه ص ١١٦.

(٢) جبل الخمر : الخمر بجاء معجمة وميم مفتوحتين، والخمر : الشجر الملتف الذي يستر من فيه، وقر جاء تفسيره في الحديث بأنه جبل بيت المقدس. انظر شرح مسلم للنووي (٧١/١٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الفتن وأشراط الساعة (٢٢٥٠/٤)

(٤) المصدر السابق (٢٢٢٦/٤)

برسول الله ﷺ لقي إبراهيم وموسى وعيسى – عليهم السلام – فتذاكروا الساعة " إلى أن قال :" فردوا الحديث إلى عيسى " فذكر قتل الدجال ثم قال : ثم يرجع الناس إلى بلادهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون لا يمرون بماء إلا شربوه ولا بشيء إلا أفسدوه. يجأرون إلي فأدعو الله فيميتهم فتجوى الأرض من ريحهم، فيجأرون إلي فأدعو الله فيرسل السماء بالماء فيحملهم فيقذف بأجسامهم في البحر[1].

ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ -فذكر الحديث وفيه- ويخرجون على الناس فيستقون المياه ويفر الناس منهم فيرمون سهامهم في السماء فترجع مخضبة بالدماء فيقولون : قهرنا أهل الأرض وغلبنا من في السماء قوة وعلواً. قال فيبعث الله عز وجل عليهم نغفاً في أقفائهم، قال فيهلكهم، والذي نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن وتبطر وتشكر شكراً[2]،

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/٤٨٨-٤٨٩) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في تلخيصه وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٤/١٨٩-١٩٠) تحقيق أحمد شاكر وقال: إسناده صحيح.

(2) يقال : شكرت الشاة بالكسر تشكر شكراً بالتحريك إذ سمنت وامتلأ ضرعها لبناً، والمعنى : أن دواب الأرض تسمن وتمتلئ شحماً . النهاية في غريب الحديث (٢/٤٩).

وتسكر سكراً[١]، من لحومهم[٢].

إلى غير ذلك من الأدلة التي تدل على خروجهم وأنه يجب الإيمان بها وتصديقها .

قال ابن قدامة المقدس –رحمه الله– "ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ وصح به النقل فيما شاهدناه أو غاب عنا، نعلم أنه حق وصدق، وسواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه، ولم نطلع على حقيقة معناه مثل حديث الإسراء والمعراج .. إلى أن قال : ومن ذلك أشراط الساعة مثل خروج الدجال ، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام فيقتله وخروج يأجوج ومأجوج ..."[٣].

وقال القاضي عياض : الأحاديث الواردة في يأجوج ومأجوج : هذه الأخبار على حقيقتها يجب الإيمان بها، لأن خروج يأجوج ومأجوج من علامات الساعة، وقد ورد في خبرهم أنه لا قدرة لأحد على قتالهم من كثرتهم، وأنهم يحصرون نبي الله عيسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين الذين نجوا

---

(١) السكر بفتح السين والكاف: الخمر، ويطلق السكر على الغضب والأمتلاء.
انظر : النهاية في غريب الحديث (٣٨٣/٢).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه : أبواب التفسير (٥٩٧/٨-٥٩٩) وقال : هذا حديث حسن غريب. وخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الفتن (١٣٦٤/٢-١٣٦٥).
وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤٨٨/٤) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) لمعة الاعتقاد لابن قدامة ص (٣٠).

من الدجال فيدعو عليهم فيهلكهم الله عز وجل أجمعين بالنعنف.

وهو دود في رقابهم – فيؤذون الأرض والمؤمنين بنتنهم فيدعو عيسى وأصحابه ربهم فيرسل الله طيراً فتحملهم حيث شاء الله [١].

وقال السفاريني – رحمه الله- إن خروجهم من وراء السد على الناس حق ثابت لوروده في الذكر وثبوته عن سيد البشر، ولم يحله عقل فوجب اعتقاده[٢].

المسألة الثالثة : السد ويأجوج ومأجوج

بني ذو القرنين[٣]، سد يأجوج ومأجوج ليحجز بينهم وبين جيرانهم الذين استغاثوا به منهم . وقد ورد في القرآن الكريم ذكر هذا السد فقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا

(١) إكمال المعلم (١١٦/١١٥/٦).

(٢) لوامع الأنوار : (١١٦/٢).

(٣) اختلف في اسمه، فروي عن ابن عباس – رضي الله عنهما- أنه عبد الله بن الضحاك، وقيل: مصعب بن عبد الله، وقيل غير ذلك، وسمي بذي القرنين، لأنه قد بلغ المشارق والمغارب من حيث يطلع قرن الشيطان ويغرب، وقيل غير ذلك، وكان ذو القرنين عبداً مؤمناً صالحاً، وهو غير ذي القرنين الإسكندر المقدوني، فإن هذا كان كافراً، وزمنه متأخر عن المذكور في القرآن الكريم وبينهما أكثر من ألفي سنة، والله أعلم. انظر : البداية والنهاية : (١٠٢/٢-١٠٦)، وتفسير ابن كثير (١٠٠/٣-١٠١).

عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ﴾[١].

هذا ما ورد في القرآن على بناء هذا السد .

أما مكانه : ففي جهـــة المشـــرق[٢]، لقولـــه تعـــالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ ﴾[٣].

وقد ذكر الحافظ ابن كثير – رحمه الله – قصة عن السد ومحاولة بعض الملوك الوصول إليه فقال :

" وقد بعث الخليفة الوثائق[٤]، في دولته بعض أمرائه وجهز معه جيشـــاً سرية لينظروا إلى السد ويعاينوه وينعتوه له إذا رجعوا، فوصلوا من بلاد إلـــى بلاد ومن ملك إلى ملك حتى وصلوا إليه ورأوا بناءه من الحديد ومن النحـــاس، وذكروا أنهم رأوا فيه باباً عظيماً وعليه أقفال عظيمة، ورأوا بقية اللبن والعمل في برج هناك، وأن عنده حراساً من الملوك المتاخمة له وأنـــه عـــال منيـــف

---

(١) سورة الكهف : الآيات : (٩٤-٩٥).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (١٩٥/٥).

(٣) سورة الكهف، الآية : ٩٠ .

(٤) هو الخليفة العباسي هارون بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد، بويع له بالخلافـــة سنة ٢٢٨هـــ، وتوفي سنة ٢٣٢هـــ. انظر : البداية والنهاية : (٣٠٨/١٠).

شاهق، لا يستطاع ولا ما حوله من الجبال ثم رجعوا إلى بلادهم وكانت غيبتهم أكثر من سنتين وشاهدوا أهوالاً وعجائب"[١].

ولم يذكر الحافظ ابن كثير -رحمه الله- سنداً لهذه القصة، ولم يتكلم عليها بشيء.

والذي تدل عليه الآيات السابقة أن هذا السد بني بين جبلين لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ﴾ والسدان : هما جبلان متقابلان، ثم قال : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ﴾ أي حاذى به رؤوس الجبلين[٢]، وذلك بزبر الحديد ثم أفرغ عليه نحاساً مذاباً فكان سداً محكماً.

قال الإمام البخاري -رحمه الله- قال رجل للنبي ﷺ رأيت السد من البرد المحبر. قال قد رأيته"[٣].

ويمكن أن يكون هذا السد هو السور المحيط بمدينة ترمذ[٤]، الذي ذكره

---

(١) تفسير ابن كثير : (٣/٩٩).

(٢) المصدر السابق : (٣/٩٨/٩٩) .

(٣) أخرجه البخاري معلقا في صحيحه في باب قصة يأجوج ٦/٣٨١.

(٤) (ترمذ) : قال ياقوت : مدينة مشهورة من أمهات المدن راكبة على نهر جيحون من جانبه الشرقي ... الشرقي ... يحيط بها سور وأسواقها مفروشة بالآجر ، وممن ينسب إليها الإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي صاحب الجامع الصحيح والعلل. معجم البلدان (٢/٢٦-٢٧).

ياقوت الحموي[١]، في معجم البلدان، وليس هو سد ذي القرنين.

وأيضاً : فإن البحث في تحديد مكان السد لا يهم كثيراً، ولا يحصل بعدم معرفتهم خلل في الاعتقاد، لأن المقصود بيان أن ما أخبرنا الله تعالى به وما جاء في الأحاديث الصحيحة من أن سد يأجوج ومأجوج كوجود إلى أن يتأي الوقت المحدد لدك هذا السد وخروج يأجوج ومأجوج، وذلك عند دنو الساعة كما في قوله عز وجل: ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩) ﴾[٢]، أن ذلك: حقيقة يجب التصديق به.

والذي يدل على أن السد موجود ولم يندك، حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في السد قال :"يحفرونه كل يوم حتى إذا كادوا يخرقونه قال الذي عليهم ارجعوا فستخرقونه غداً، قال فيعيده الله عز وجل كأشد ما كان حتى إذا بلغوا مدتهم وأراد الله تعالى أن يبعثهم على الناس قال الذي عليهم ارجعوا فستخرقونه غداً إن شاء الله تعالى واستثنى ، قال: فيرجعون وهو كهيئته حين تركوه فيخرقونه ويخرجون على الناس فيستقون المياه ويفر الناس منهم"[٣].

---

(١) هو أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، أصله من الروم، الأخباري النحوي، المؤرخ / من مؤلفاته " معجم البلدان ن توفي سنة ٦٢٦هـ.

وفيات الأعيان (١٢٧/٦)، سير أعلام النبلاء (٣١٢/٢٢)

(٢) سورة الكهف، الآيات : (٨٩-٩٩).

(٣) تقدم تخريجه ص ١٦٢-١٦٣ .

قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله– في الفتح : قال ابن العربي –رحمه الله– في هذا الحديث ثلاث آيات : الأولى : أن الله منعهم أن يوالوا الحفر ليلاً ونهاراً، والثانية : منعهم أن يحاولوا الرقي على السد بسلم أو آله فلم يلهمهم ذلك ولا علمهم إياه ، الثالثة : أن صدهم عن أن يقولوا: إن شاء الله حتى يجيء الوقت المحدد[١].

فخروجهم الذي هو من أشراط الساعة الكبرى في آخر الزمان لم يقع، لأن الأحاديث الثابتة عن رسول الله ﷺ تدل على أن خروجهم بعد نزول عيسى عليه السلام وهو الذي يدعو الله عز وجل بأن يهلكهم ويسلم الناس من شرهم.

فيجب على كل مسلم الإيمان بما جاء في الكتاب والسنة عن السد ويأجوج ومأجوج، ولا عبرة بمن أنكر وجود يأجوج ومأجوج ووجود السد الذي بناه القرنين بينهم وبين الناس بحجة أن المقصود بهم دول الكفر المتقدمة في الصناعة، وأن هؤلاء استطاعوا أن يكشفوا كل ما في الأرض ولم يتركوا منها شيئاً إلا أتوا عليه، ولكنهم لم يعثروا على يأجوج ومأجوج، ولم يروا سد ذي القرنين، ولا شك أن هذا قول فاسد، لأنه تكذيب صريح لما جاء في كتاب الله عز وجل ، ولما أخبر به رسولنا ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، ومن كذب بشيء جاء في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ فقد كفر ، كما

---

(١) فتح الباري (١٣/١٩٠).

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[١].

وأما دعواهم أن الأرض اكتشفت كلها ولم يجدوا فيها يأجوج ومأجوج والسد، فهي دعوة باطلة تدل على عجز البشر وقصورهم، لأن معرفة جميع بقاع الأرض والإحاطة بما فيها من المخلوقات لا يقدر عليها إلا الله عز وجل الذي أحاط بكل شيء علماً، ول يلزم من عدم رؤيتهم عدم وجودهم، لأنه قد يكون الله عز وجل صرفهم عن رؤية يأجوج ومأجوج ورؤية السد، أو جعل بينهم وبين الناس أشياء تمنع من الوصول إليهم كما حصل لبني إسرائيل حين ضرب الله عليهم التيه في فراسخ قليلة من الأرض، فلم يطلع عليهم الناس أنتهى أمد التيه، والله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير، جعل لكل شيء أجلاً ووقتاً، قال تعالى: : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[٢]. وما عجز الأوائل عن اكتشاف ما اكتشفه المتأخرون إلا لأن الله عز وجل جعل لكل شيء أجلاً[٣].

---

(١) سورة العنكبوت ، الآية (٤٧).

(٢) سورة الأنعام، الآية : (٦٦-٦٧).

(٣) انظر اتحاف الجماعة (٢٩٧/٢)، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (٢١٤).

المسألة الرابعة

هلاك يأجوج ومأجوج وطيب العيش وبركته بعد موتهم

بعد طغيان يأجوج ومأجوج وإفسادهم وعتوهم في الأرض، وإهلاكهم للحرث والنسل، ويتضرع نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام وأصحابه إلى الله سبحانه وتعالى ، ليكشف عنهم ما حل بهم من البلاء والمحن التي لم يجدوا بأنفسهم حيلة ولا قوة لدفعها، فيستجيب الله لهم، فيسلط الله عليهم الدود الصغير فيهلكهم فيصبحون موتى موت الجراد، يركب بعضهم بعضاً ، فيمتلئ الأرض من نتنهم، فيؤذون الناس بنتنهم أشد من حياتهم، فيتضرع نبي الله عيسى وأصحابه ثانية إلى الله عز وجل فيرسل طيراً تحملهم وتطرحهم في الأرض ثم يرسل مطراً تغسل آثارهم، ثم يأمر الله الأرض لترد بركتها وتنبت ثمارها، فيعم الرخاء وتطرح البركة فيعيش عيسى بن مريم وأصحابه في عيش رغيد.

ففي حديث النواس بن سمعان رضي الله عنهما الطويل الذي مر ذكره فيما سبق أن الرسول ﷺ قال فيه : "ويحاصر عيسى بن مريم وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم، فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم، ونتنهم، فيرغب

نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيثما شاء الله، ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرسل حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس"(١).

وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "...ثم يهز أحدهم حربته ثم يرمي بها إلى السماء، فيرجع متخضبة دماً للبلاء والفتنة، فبينا هم على ذلك، بعث الله دوداً في أعناقهم كنغف الجراد الذي يخرج في أعناقه، فيصبحون موتى لا يسمع لهم حساً، فيقول المسلمون: ألا رجل يشري لنا نفسه، فينظر ما فعل هذا العدو، قال : فيتجرد رجل منهم لذلك محتسباً لنفسه قد أطنها على أنه مقتول، فينزل فيجدهم موتى، بعضهم على بعض، فينادي: يا معشر المسلمين: ألا أبشروا، فإن الله قد كفاكم عدوكم، فيخرجون من مدائنهم وحصونهم، ويسرحون مواشيهم، فما يكون لها رعي إلا لحومهم، فتشكر عنه كأحسن ما تشكر عن شيء من النبات أصابته قط" (٢).

---

(١) تقدم تخريجه، ص ١١٥.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٧٧/٣)، والحاكم في المستدرك (٢٤٥/٢) (٤٨٩/٤) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

المطلب الخامس : طلوع الشمس من مغربها

طلوع الشمس من مغربها من علامات الساعة الكبرى كما هو ثابت بالكتاب والسنة وإجماع العلماء .

قال الله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[١].

قال ابن جرير الطبري –رحمه الله– بعد ذكره لأقوال المفسرين في الآية"واولى الأقوال بالصواب في ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال "ذلك حين تطلع الشمس من مغربها"[٢].

ومن الأحاديث على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ "لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمن الناس أجمعون، فذلك حيث لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً. [٣].

ومنها حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٥٨.

(٢) تفسير ابن جرير الطبري (١٠٣/٨)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق (١٩١/٧)، ومسلم في صحيحه: (كتاب الإيمان (١٣٨/١).

"إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها"[١].

ومنها حديث صفوان بن عسال رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : "إن الله فتح باباً قبل المغرب، عرضه سبعون عاماً للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه"[٢].

ومنها حديث عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمر ومعاوية رضي الله عنهم عن النبي ﷺ قال : لا تزال التوبه مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب فإذا طلعت طبع على قلب بما فيه وكفى الناس العمل" [٣].

ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب التوبة (٢١١٣/٤).

(٢) أخرجه الإمام حمد في مسنده (٢٤٠/٤)، والترمذي في سننه: (كتاب الدعوات (٥٤٦/٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الفتن (١٣٥٣/٢)، والطبراني في معجمه الكبير (٦٧/٨) وقال الألباني: حديث حسن صحيح الجامع (٤٤٣/٢).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٣٣/٣) وقال أحمد شاكر: (إسناده صحيح، وقال ابن كثير في النهاية الفتن والملاحم (٢٢١/١). وهذا إسناد جيد قوي. أخرجه البزار كما في كشف الأستار (٣٠٤/٢) والطبراني في المعجم الأوسط (٦٩/١). والكبير(٣٨١/١٩)، وقال الهيثمي في المجمع (٢٥٠/٥)، رواه أحمد والطبراني والبزار.. ورجال أحمد ثقات.

"ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيماناً لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، وذكر منها " طلوع الشمس من مغربها"[١].

وقد ذكر القرطبي -رحمه الله- عدم قبول التوبة بعد طلوع الشمس من مغربها فقال : قال العلماء: وإنما لا ينفع نفساً أيمانها عند طلوع الشمس من مغربها لأنه خلص إلى قلوبهم الفزع ما تخمد معه كل شهوة من شهوات النفس، وتفتر كل قوة من قوى البدن، فيصير الناس كلهم -لإيقانهم بدنوا القيامة في حال من حضره الموت في انقطاع الدواعي إلى أنواع المعاصي عنهم وبطلانها من أبدانهم، فمن تاب في مثل هذه الحالة لم تقبل توبته كما لا تقبل توبة من حضره الموت [٢].

ومنها حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد . سمعت رسول الله ﷺ يقول : "إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها ...." الحديث [٣].

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- : (الذي يترجح من مجموع الأخبار: أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض، وينتهي ذلك بموت عيسى بن مريم، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان (١٣٩/١).

(٢) التذكرة للقرطبي (٧٥٣/٢، ٧٩٤).

(٣) أخرجه مسلم ي صحيحه: كتاب الفتن وأشراط الساعة (٢٢٦٠/٤).

الساعة، ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب). [١].

قال البرزنجي في الإشاعة (وهذا جمع حسن -رحمه الله) [٢].

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال يوماً : " أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟ قالوا : الله ورسوله أعلم، قال : إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك، حتى يقال لها: ارتفعي أرجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة ولا تزال كذلك حتى يقال لها : ارتفعي ارجعي من حيث جئت فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئاً حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش، فيقال لها: ارتفعي اصبحي طالعة من مغربك، فتصبح طالعة من مغربها، فقال رسول الله ﷺأتدري متى ذاكم؟ ذاك حين لا ينفع نفساً إيماناً لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً "[٣].

وهذه السجود للشمس لا ندري كيفيته ولا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى الذي يسجد له كل من السماوات والأرض كما قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ

---

(١) فتح الباري (٣٥٣/١١).

(٢) الإشاعة لأشراط الساعة، ص ٣٥٠.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان (١٣٧/١).

يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴾[2].

قال ابن كثير (يخبر تعالى عن عظمته وكبريائه الذي خضع له كل شيء ودانت له الأشياء بأسرها جماداتها وحيواناتها ومكلفوها من الإنس والجن والملائكة، فأخبر أن كل ما له ظل يتفيأ ذات اليمين وذات الشمال، أي بكرة وعشيا ، فأنه ساجد بظله لله تعالى) [3].

وقد تكلم العلماء رحمهم الله تعالى عن حديث سجود الشمس تحت العرش وردوا على من أول ذلك وبينوا أن سجودها تحت العرش سجود حقيقي.

قال أبو سليمان الخطابي –رحمه الله– في قول رسول الله ﷺ " مستقرها تحت العرش" قال : (لا ننكر أن يكون لها استقرار تحت العرش من

---

(١) سورة الحج: الآية ١٨.

(٢) سورة النحل: الآيات (٤٨-٥٠).

(٣) تفسير ابن كثير (٥٧٢/٢).

حيث لا ندركه ولا نشاهده وإنما أخبرنا عن غيب فلا نكذب به ولا نكيفه لأن علمنا لا يحيط به)..ثم قال عن سجودها تحت العرش (وفي هذا إخبار عن سجود الشمس تحت العرش فلا ينكر أن يكون ذلك عند محاذاتها العرش في مسيرها والتصرف لما سخرت له، وأما قوله عز وجل:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾ [١] فهو نهاية مدرك البصر إياها حالة الغروب ومصيرها تحت العرش للسجود وإنما هو بعد الغروب) [٢].

قال القاضي عياض عقب شرحه للحديث السابق (وهو على ظاهره عند أهل الفقه والحديث والمتكلمين من أهل السنة خلافاً لمن تأوله من المبتدعة والباطنية وهو أحد أشراط الساعة العظام المنتظرة) [٣].

وقال الإمام النووي رحمه الله : (وأما سجود الشمس فهو بتمييز وإدراك يخلقه الله تعالى) [٤].

وقال الإمام ابن كثير –رحمه الله– (يسجد لعظمته تعالى كل شيء طوعاً وكرهاً، وسجود كل شيء مما يختص به) [٥].

---

(١) سورة الكهف: الآية ٨٦.

(٢) أنظر كلامه في شرح السنة للبغوي (٩٥/١٥).

(٣) إكمال المعلم (٧٠٠/٣).

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي (١٩٧/٢).

(٥) تفسير ابن كثري (٥٧١/٣).

وقال الحافظ بن ابن حجر العسقلاني -رحمه الله- (وظاهر الحديث أن المراد بالاستقرار وقوعه في كل يوم وليلة عند سجودها ومقابل الاستقرار المسير الدائم المعبر عنه بالجري والله أعلم) [(١)].

المطلب السادس : خروج الدابة

من أشراط الساعة الكبرى خروج دابة من الأرض في آخر الزمان تكلم الناس وتسميهم مؤمناً وكافراً، وذلك عند فساد الناس وتركهم أوامر الله تعالى .
والكلام على هذه العلامة يشتمل على المسائل التالية :

المسألة الأولى : الأدلة على خروجها من الكتاب والسنة

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [(٢)]

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن معنى تكلمهم : تجرحهم، بمعنى تكتب على جبين الكافر كافراً، وعلى جبين المؤمن مؤمناً وروي عنه أيضاً بمعنى تخاطبهم.

قال الحافظ ابن كثير (هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق . يخرج الله لهم دابة من الأرض فتكلم

---

(١) فتح الباري (٤٠٣/٨).

(٢) سورة النمل : الآية ٨٢.

الناس على ذلك)[١].

قال الألوسي[٢] (أي تكلمهم بأنهم لا يتيقنون بآيات الله تعالى الناطقة بمجيء الساعة ومباديها أو بجميع آياته التي من جملتها تلك الآيات)[٣].

وأما الأدلة من السنة :

فمنها حديث أبي أمامه رضي الله عنه يرفعه إلى النبي ﷺ قال :"ثم تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم ثم يعمرون فيكم حتى يشتري الرجل البعير، فيقال : ممن اشتريت؟ فيقول اشتريته من أحد المخطمين"[٤].

ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : فقال رسول الله ﷺ: "بادروا بالأعمال ستاً : الدجال، الدخان، ودابة الأرض، طلوع الشمس من

---

(١) تفسير ابن كثري (٣٥١/٣).
(٢) هو العلامة محمود بن عبدالرحمن الحسيني الألوسي، شهاب الدين أبو الثناء، ولد في بغداد سنة ١٢١٧هـ من كبار المفسرين، له مؤلفات مفيدة منها "روح المعاني"، و"دقائق التفسير"، توفي سنة ١٢٧٠هـ، الأعلام (١٧٦/٧)، جلاء العينين ص (٢٧، ٢٨).
(٣) أنظر روح المعاني (٣١٤/٦).
(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند(٢٦٨/٥)، وقال الهيثمي في المجمع (٦/٨) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عمر بن عبدالرحمن بن عطية وهو ثقة.

مغربها، وأمر العامة وخويصة [١] أحدكم"[٢].

ومنها حديث حذيفة بن أسد رضي الله عنه قال : اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر ، فقال : " ما تذاكرون" : قالوا نذكر الساعة قال " أنها لن تقوم الساعة حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان، والدجال،والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس محشرهم[٣].

ومنها حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : حفظت من رسول الله ﷺ خروجاً طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيتهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريباً[٤].

المسألة الثانية : صفة الدابة :

اختلف العلماء في صفة الدابة إلى عدة أقوال :-

القول الأول: أنها فصيل ناقة صالح، قال القرطبي (أولى الأقوال أنها فصيل

---

(١) خويصة أحدكم أي اواقعة التي تخص أحدكم، يريد حادثة الموت التي تخص كل إنسان، وهي تصغير خاصة، وصغرات لاحتقارها في جنب ما عدها من البعث والعرض والحساب، النهاية في غريب الحديث (٣٧/٢).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الفتن وأشراط الساعة (٢٢٦٧/٤).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الفتن وأشراط الساعة (٢٢٢٦/٤).

(٤) تقدم تخريجه، ص ١٧٦.

ناقة صالح وهو أصحها والله أعلم[١] وأستدل بحديث أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده عن حذيفة قال : ذكر رسول الله ﷺ الدابة فقال : لها ثلاث خرجات من الدهر، فتخرج في أقصى البادية ولا يدخل ذكرها القرية- يعني مكة- ثم تكمن زمنا طويلا، ثم تخرج خرجه أخرى فيفشو ذكرها في البادية، ويدخل ذكرها القرية يعني مكة، قال رسول الله ﷺ ثم بينما الناس في أعظم المساجد على الله حرمة خيرها وأكرمها على الله المسجد الحرام لم يرعهم إلا وهي ترغو بين الركن والمقام تنفض رأسها عن التراب فتركض الناس منها شتى ومعا وتثبت عصابة من المؤمنين عرفوا أنهم لم يعجزوا الله فبدأت بهم، فجلت وجوههم حتى جعلتها كأنها الكوكب الدري، وولت في الأرض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب حتى إن الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه، فتقول : يا فلان : الآن تصلي!؟ فتقبل عليه فتسمه في وجهه .. [٢].

ووجه الدلالة من هذا الحديث قوله : "وهي ترغو" والرغاء للإبل.

وقال القرطبي في التذكرة : وقد قيل إن الدابة التي تخرج هي الفيصل الذي

---

(١) تفسير القرطبي (١٣٢٣٥).

(٢) منحة المعبود ترتيب مسند الطيالسي (٢/٢٢٠)، وأخرجه الحاكم (٤/٤٨٤) وقال هذا حديث صحيح الإسناد وهو ابين حديث في ذكر دابة الأرض ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بقوله (تركه أحمد، ويقصد الذهبي طلحة بن عمرو الحضرمي وهو رجل ضعيف في سند الطيالسي والحاكم، وقال عنه ابن معين "ليس بشيء ضعيف" أنظر تهذيب التهذيب (٥/٢٣، ٥٤).

كان لناقة صالح عليه السلام فلما قتلت الناقة هرب الفصيل بنفسه فانفتح له الحجر فدخل فيه ثم انطبق عليه، فهو فيه إلى وقت خروجه، حتى يخرج بإذن الله تعالى، ويدل على هذا القول حديث حذيفة ولقد أحسن من قال :

واذكر خروج فيصل ناقة صالح يسم الورى بالكفر والإيمان [١]

القول الثاني: إنها رابة جمعت من خلق كل حيوان .

والقول الثالث: إنها إنسان متكلم يناظر أهل البدع والكفر ويجادلهم حتى يتبين الصادق من الكاذب فيحيا من حيا عن بينة ويهلك من هلك عن بينة، وقد رد القرطبي -رحمه الله تعالى- على هذا القول وبين أنه قول فاسد مخالف لظاهر الآية والأحاديث الصحيحة فقال رحمه الله (وإنما كان هذا القائل الأقرب لقوله تعالى (تكلمهم)، وعلى هذا فلا يكون في هذه الدابة آية خاصة خارقة للعادة، ولا تكون من العشر آيات المذكورة في الحديث لأن وجود المناظرين والمحتجين على أهل البدع كثيرن فلا آية خاصة بها فلا ينبغي أن تذكر مع العشر، وترتفع خصوصية وجودها إذا وقع القول، ثم فيه العدول عن تسمية هذا الإنسان المناظر الفاضل العالم الذي على أهل الأرض أن يسموه باسم الإنسان أو بالعالم أو بالإمام إلى أن يسمى بدابة، وهذا خروج عن عادة الفصحاء، وعن تعظيم العلماء، وليس ذلك دأب العقلاء، فالأولى ما قاله أهل

---

(١) التذكرة (٢/٨٢٢).

التفسير والله أعلم بحقائق الأمور) [١].

القول الرابع: أنها الثعبان المشرف على جدار الكعبة التي اقتلعتها العقاب حين أرادت قريش بناء الكعبة [٢].

القول الخامس: إنها دابة مزغبة شعراء ذات قوائم طولها ستون ذراعاً ويقال إنها الجساسه (٢) المذكور في حديث تميم الداري رضي الله عنه والذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحة عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ تقول فاطمة بنت قيس وهي تحكي قصة اعتدادها بعد وفاة زوجها ابن المغيرة عند ابن عمها عبد الله بن عمرو ابن أم مكتوم :" فلما انقضت عدتي سمعت نداء المنادي رسول الله ﷺ ينادي : الصلاة جامعة فخرجت إلى المسجد، فصليت مع رسول الله ﷺ فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته، جلس على المنبر وهو يضحك فقال " ليلزم كل إنسان مصلاه"، ثم قال أتدرون لم جمعتكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم . قال إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبه، ولكن جمعتكم لأن تميماً الداري كان رجلاً نصرانياً فجاء فبايع وأسلم. وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيح الدجال. حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين

---

(١) تفسير القرطبي (٢٣٦/١٣)، والتذكرة له (٨١٨/٢).

(٢) التذكرة للقرطبي (٢٣٦/٢)، وفتح القدير للشوكاني (١٥١/٤).

رجلا من لخم وجذام. فلعب بهم الموج شهرا في البحر ثم أرفؤا [١] إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس. فجلسوا في أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيهم دابة أهلب كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر. فقالوا: ويلك ما أنت ؟! فقالت أنا الجساسة . قالوا : وما الجساسة؟ قالت : أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق.

قال : لما سمعت لنا رجلا فرقنا منها أن تكون شيطانه ، قال / فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير. فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقا، وأشده وثاقا، مجموعة يداه إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد، قلنا: ويلك، ما أنت؟! قال: قد قدرتم على خبري، فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية، فصادفنا البحر حين اغتلم فلعب بنا الموج شهرا ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه فجلسنا في أقربها فدخلنا الجزيرة. فلقيتنا دابة أهلب كثير الشعر . لا يدري ما قبله من دبره من كثرة الشعر . فقلنا : ويلك ما أنت ؟ فقالت : أنا الجساسة : قلنا: وما الجساسة ؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق . فأقبلنا إليك سراعا، وفزعنا منها، ولم نأمن أن تكون شيطانه فقال : أخبروني عن نخل بيسان[٢]. قلنا : عن أي شأنها

---

(١) ارفأت السفية: إذا قربتها من الشط، والموضع الذي تشد فيه: المرفأ. النهاية في غريب الحديث (٢/٢٤١).

(٢) بيسان: بالفتح ثم السكون، وسين مهملة، مدينة بالأردن، بين حوارن وفلسطين، وتوصف بكثرة النخل، تبعد عن القدس ١٢٧ كيلا، وقد هدمها اليهود وأقاموا مكانها مستعمرة.

تستخبر؟ قال أسألكم عن نخلها هل يثمر؟ قلنا له : نعم . قال : أما إنه يوشك أن لا يثمر قال : أخبروني عن بحيرة الطبرية . قلنا : عن أي شأنها تستخبر؟ قال هل فيها ماء؟ قالوا : هي كثير الماء. قال أما إن ماءها يوشك أن يذهب. قال : أخبروني عن عين زغر[١] قالوا : عن أي شأنها تستخبر ؟ قال : هل في العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له : نعم هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها. قال أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب . قال : أقاتله العرب ؟ قلنا نعم: قال كيف صنع بهم، فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب ، وأطاعوه، قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا : نعم قال : أما أنا ذلك خير لهم أن يطلعوه . وإني مخبركم عني، إني أنا المسيح، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة، فهما محرمتان علي كلتاهما، كما أردت أن أدخل واحد أو واحداً منهما استقبلني ملك بيده سيف صلتا[٢] يصدني عنهان وأن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها.

قالت : قال رسول الله ﷺ وطعن بمخصرته في المنبر:" هذه طيبة هذه طيبة هذه طيبة " يعني المدينة" ألا هل كنت حدثتكم ذلك"؟ فقال الناس: نعم.

---

(١) عين زغر: بزاي معجمة مضموة ثم غين معجمة مفتوحة ثم راء وهي قرية بمشارف الشام، قيل أن زغر اسم بنت لوط عليه السلام نزلت بهذه القرية فسميت باسمها، وعين زغر تعور في آخر الزمان، وهي من علامات القيامة. معجم البلدان (١٤٣/٤).

(٢) صلتاً: مسلولاً.

قال :"فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه المدينة ومكة ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن، لا بل من قبل الشرق ما هو من قبل الشرق ما هو من قبل المشرق ما هو : وأوما بيده إلى المشرق"، قالت : فحفظت هذا من رسول الله ﷺ"[١].

وسميت بالجساسة لأنها تجس الأخبار للدجال[٢].

القول السادس : أنها الدابة اسم جنس لكل ما يدب وليست حيواناً مشخصاً معينا يحوي العجائب والغرائب، ولعل المقصود من هذا ما ذهب إليه بعض المتأخرين من أن الدابة نوع من الحشرات الموجودة الآن وأنها ستكثر لأي سبب من الأسباب فيكون هجومها على الناس على ضعفها وصغر حجمها وتحملها الأذى الكبير وعجزهم عن مقاومتها مع ما أتوه من بسطة العلم والحيلة آية من آيات الله، وبعضهم قال إنها الجراثيم الخطيرة التي تفتك بالإنسان، وهذه لاشك أنها تأويلات فاسدة وباطلة لأنها تكذيب للنبي ﷺ فيما أخبر به عن هذه الدابة [٣].

قال الشيخ أحمد شاكر – رحمه الله– (والآية صريحة بالقول العربي أنها

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفتن والملاحم (٤/٢٢٦١-٢٢٦٢).

(٢) أنظر النهاية في غريب الحديث (١/٢٧٢).

(٣) أنظر اتحاف الجماعة للتويجري (٣/١٨٢) وما بعدها، فقد ذكر هذا القول ورد عليه فأجاد وافاد رحمه الله تعالى.

(دابة) ومعنى الدابة في لغة العرب معروف واضح، لا يحتاج إلى تأويل ، وقد بين الحديث بعض فعلها ، ووردت أحاديث كثيرة في الصحاح وغيرها بخروج هذه الدابة الآية، وأنها تخرج آخر الزمان ووردت آثار أخر في صفتـــها لـــم تنسب إلى رسول الله ﷺ المبلغ عن ربه والمبين آيات كتابه، فـــلا علينـــا أن ندعها.

ولكن بعض أهل عصرنا من المنتسبين إلى الإسلام، الذين فشـــا فيـــهم المنكر من القول ، والباطل من الرأي لا يريـــدون أن يؤمنـــوا بـــالغيب، ولا يريدون إلا أن يقفوا عند حدود المادة التي رسمها لهم معلموهم وقدوتهم مـــن ملحدي أوروبا الوثنين الإباحيين المتحللين من كل خلـــق وديـــن ، فـــهؤلاء لا يستطيعون أن يؤمنوا ما نؤمن بهن ولا يستطيعون أن ينكروا إنكاراً صريحـــاً، فيجمجون ويحاورون ويداورون، ثم يتأولون فيخرجون الكـــلام عـــن معنـــاه الوضعي الصحيح للألفاظ في لغة العرب، يجعلونه أشبه بالرموز ، لما وقر في أنفسهم من الإنكار الذي يبطنون!.

بل إن بعهم لينقل التأويل عن رجل هندي معروف أنه من طائفة تنتسـب للإسلام، وهي له عدو مبين، وعبيد لأعدائه المستعمرين!! فانظر إليـــهم أنـــى يترددون ويصرفون؟ وأي نار يقتحمون؟ ذلك بأنهم بآيات الله لا يوقنـــون) [١].
أ.هـ.

---

(١) أنظر مسند الإمام أحمد بتحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر (٨٢/١٥).

فالواجب على كل مؤمن الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى سيخرج للناس دابة مخالفة لما يعتاده الناس تكلمهم وتختم على الكافر بالكفر وعلى المؤمن بالإيمان، وهذا من الإيمان بالغيب الذي مدح الله به المؤمنين .

يقول العلامة عبد الرحمن بن سعدي – رحمه الله– ((وهذه الدابة هي الدابة المشهورة التي تخرج في آخر الزمان وتكون من أشراط الساعة كما تكاثرت بذلك الأحاديث، لم يذكر الله ورسوله كيفية هذه الدابة، وإنما ذكر أثرها والمقصود منها، وأنها آيات الله تكلم الناس كلاماً خارقاً للعادة حين يقع القول على الناس وحين يمترون بآيات الله فتكون حجة وبرهاناً للمؤمنين وحجة على المعاندين)) (١).

المسألة الثالثة : مكان خروج الدابة :

أختلف العلماء في مكان خروج الدابة إلى عدة أقوال:

القول الأول : إنها تخرج من جبل الصفا أو من المسجد الحرام بمكة المكرمة.

قال القرطبي : " واختلف من أي موضع تخرج، فقال عبدالله بن عمر: من جبل الصفا بمكة، يتصدع فتخرج منه، وقال عبد الله ابن عمرو نحوه، قال لو شئت أن أضع قدمي على موضع خروجها لفعلت" (٢) .

ومما يدل على خروجها من أعظم المساجد، ما أخرجه الطبراني في

(١) تفسير ابن سعدي (٥/٦٠٣).
(٢) تفسير القرطبي (١٣/٢٦٣).

الأوسط عن حذيفة بن أسيد -أراه رفعه- قال : "تخرج الدابة من أعظم المساجد، فبيناهم إذ دبت الأرض فبيناهم كذلك إذ تصدعت" . قال ابن عيينة[١] تخرج حين يسري الإمام جمع، وإنما جعل سابقاً ليخبر الناس أن الدابة لم تخرج "[٢].

قال محمد صديق حسن خان : "وهو المشهور" [٣] .

القول الثاني : إن لها خرجات، الأولى من أقصى البادية، ثم تحتفي ثم تخرج من بعض أودية تهامة، ويصدق عليها أنه من وراء مكة، وفي المرة الأخيرة تخرج من مكة. وهذا القول الأخير هو الذي يجمع بين الأقوال في خروجها. يقول السخاوي - رحمه الله- " وتخرج كما في بعض المرفوعات أو الموقوفات ثلاث خرجات من الدهر، فمرة من أقصى البادية ولا يدخل ذكرها القرية يعني مكة، ثم تكمن زمانا طويلا ثم تخرج مرة أخرى دون تلك فيعلو ذكرها في أهل البادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكة"[٤].

ويقول بين هذه الأقوال بما جاء في الأحاديث المرفوعة والموقوفة كما

---

(١) هو سفيان بن عيينة ن ميمون الهلالي، أبو محمد، محمدث الحرم المكي، ولد سنة ١٠٧هـ، وكان حافظا ثقةثبتا إماما، قيل: حج سبعين سنة، توفي سنة ١٩٨هـ.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (١٧٦/٢)، وقال الهيثمي في المجمع (٨/٨) رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات.

(٣) الإذاعة (١٣٩)

(٤) القناعة فيما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة للسخاوي ، ص ٤٠.

قال السخاوي وغيره من أنها تخرج ثلاث خرجات[١]، ثم ذكر كلام السخاوي السابق.

المسألة الرابعة : عمل الدابة

عمل هذه الدابة كما جاءت به الأحاديث أنها تسم الناس المؤمن والكافر، حتى إنه جاء في بعض الروايات : فتلقى المؤمن فتسمه في وجهه، ويشترك الناس في الأقوال ويصطحبون في الأمصار، يعرف المؤمن الكافر وبالعكس.

قال ابن كثير " وعن ابن عباس : تكلمهم : تجرحهم، يعني تكتب على جبين الكافر كافر، وعلى جبين المؤمن مؤمن، ومنه تخاطبهم، وتخرجهم، وهذا القول ينتظم من مذهبين وهو حسن جامع، والله تعالى أعلم"[٢].

ويتلخص عمل الدابة في الأمور التالية :

١ – أنها دابة تكلم الناس.

٢ – أنها تسم المؤمن بعلامة وتجلو وجهه حتى ينير .

٣ – أنها تسم الكافر بعلامة قيل : هي خطم الأنف.

قال ابن الأثير : " يعني تصيبه فتجعل له أثرا مثل أثر الخطام"[٣].

---

(١) الإذاعة (١٣٩).

(٢) النهاية في الفتن والملاحم (١/٢٠٨).

(٣) النهاية في غريب الحديث (٢/٥٠) أنظر المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١/٤٢٦، ٤٢٧).

المطلب السابع : الدخان الذي يكون في آخر الزمان :

من علامات الساعة وأشراطها العظمى ظهور دخان قبل قيام الساعة والكلام على هذه العلامة يتضمن المسائل التالية :

المسألة الأولى : الأدلة من الكتاب والسنة :

قال تعالى: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١١ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ۝١٢ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ۝١٣ ﴾ [١].

أما الأدلة من السنة على هذا الأمر فهي كثيرة :

منها حديث حذيفة بن أسيد الغفاري المتقدم، قال : اطلع علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذكر الساعة فقال : " ما تذاكرون " ؟ قلنا : نذكر الساعة، قال: "إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدابة ..." الحديث [٢].

ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:"بادروا بالأعمال ستا : طلوع الشمس من مغربها أو الدخان أو الدجال..." الحديث [٣].

---

(١) سورة الدخان: الآية (١٠-١٣)

(٢) تقدم تخريجه، ص ١٨٢.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الفتن وأشراط الساعة (٤/٢٢٦٧).

ومنها قوله ﷺ " إن ربكم أنذركم ثلاثاً / بالدخان يأخذ المؤمن كالزكمة ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه، والثانية الدابة، والثالثة: الدجال"(١).

المسألة الثانية : اختلاف العلماء حول المراد بالدخان ومتى يحدث؟

لقد اختلف العلماء – رحمهم الله – في المراد بالدخان الوارد في الآية والأحاديث المتقدمة على قولين :

١ – فذهب بعضهم إلى أن هذا الدخان هو ما أصاب قريشاً من الشدة والجوع عندما دعا عليهم النبي ﷺ حين لم يستجيبوا له، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان ، وإلى هذا القول ذهب عبد الله بن سعود رضي الله عنه وتبعه جماعة من السلف ورجحه ابن جرير الطبري رحمه الله(٢).

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره عن ابي مالك الأشعري (١١٤/١٥) وذكره ابن كثير في تفسيره (١٣٨/٤)، وقال: رواه ابن جرير الطبري وإسناده جيد، وذكر ابن حجر رواية الطبري عن ابي مالك وابن عمر وقال: (إسنادهما ضعيف أيضاً، لكن تضافر في الأحاديث يدل على أن لذلك أصلاً). فتح الباري (٤٣٦/٨).

(٢) أنظر تفسير القرطبي (١١٣/٢٥، ١١٤) وتفسير البغوي (١٤٩/٤-١٥٠)، وتفسير القرطبي (١٣١/١٦). وتفسير ابن كثير (١٢٤/٤-١٢٥).

وقد استدل هؤلاء بما جاء في حديث مسروق بن الأجدع[١].

رحمه الله قال : كنا جلوساً عند عبد الله بن مسعود فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن إن قاصاً يقص ويزعم أن آية الدخان تجيء فتأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام، فقال عبد الله ، وجلس وهو غضبان: (يا أيها الناس اتقوا الله، من علم منكم شيئاً فليقل بما يعلم، ومن لم يعلم فليقل الله أعلم، فإنه أعلم لأحدكم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم، فإن الله عز وجل قال لنبيه ﷺ: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [٢]، إن رسول الله ﷺ لما رأى من الناس إدباراً قال لهم " اللهم سبع كسبع يوسف [٣]، قال فأخذتهم سنة حصت كل شيء حتى أكلوا الجلود والميتة من الجوع، وينظر إلى السماء أحدهم فيرى كهيئة الدخان)[٤]. وقال ابن مسعود أيضاً : خمس قد

---

(١) هو مسروق بن الاجدع بن مالك الهمذاني، الوادعي، الكوفي، من كبار أئمة التابعين وفقهائم، ثقة عابد، أخرج له الستة، توفي سنة ٦٣هـ..

(٢) سورة ص: الآية :٨٦.

(٣) هذا دعاء من النبي ﷺ على كفار مكة بأن يبعث الله عليهم سبع سنين مجدبة كالتي في زمن يوسف عليه السلام التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في القرآن.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسر (٦/٤٠) ومسلم في صحيحه: كتاب صفات المنافقين: (٤/٢١٥٦).

مضين : اللزام[١] والروم[٢]، والبطشة[٣] والقمر[٤] والدخان[٥].

٢- وذهب كثير من العلماء سلفاً إلى أن الدخان هو من الآيات المنتظرة التي لن تأت بعد، وسيقع قرب يوم القيامة، إلى هذا ذهب علي ابن أبي طالب ، وابن عباس وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهما، وكثير من التابعين.

وقد رجح الحافظ ابن كثير – رحمه الله- هذا ، مستدلاً بالأحاديث التي سبق ذكرها عند الاستدلال على هذه الآية (آية الدخان) ، وبغيرها من الأحاديث، وأيضاً بما أخرجه ابن جرير وغيره عن عبد الله بن أبي مليكة[٦] قال : غدوت على ابن عباس = رضي الله عنهما- ذات يوم فقال: (ما نمت

---

(١) اللزام: هو ما جاء في قوله تعالى (فقد كذبتم فسوف يكون لزاماً سورة الفرقان، الآية ٧٧، أي يكون عذاباً لازماً نتيجة تكذيبهم، وهو ما وقع لكفار قريش في بدر من القتل والأسر أنظر تفسير البغوي (٣/٣٨٠)، وتفسير ابن كثير (٣/٣٣٠)، وشرح صحيح مسلم للنووي (١٧/١٤٣).

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: (ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون)، سورة الروم: الآية ١،٢.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: (يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون) سورة الدخان: الآية: ١٦.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: (اقتربت الساعة وانشق القمر). سورة القمر، الآية: ١-٢.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، (٦/٤١)، ومسلم في صحيحه، كتاب المنافقين(٤/٢١٥٧).

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسير(١٥/١١٣). وذكره ابن كثير في تفسيره (٤/١٢٥).

البارحة حتى أصبحت، قلت : لم ؟ قال : قالوا : طلع الكوكب ذو الذنب، فخشيت أن يكون الدخان قد طرق، فما نمت حتى أصبحت)[١]

قال ابن كثير – رحمه الله- بعد ذكر لهذا الأثر : (وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس – رضي الله عنهما – حبر وترجمان القرآن، وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين رضي الله عنهما مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرها التي أوردها مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة مع أنه ظاهر القرآن، قال الله تبارك وتعالى: (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) أي بين واضح ، يراه كل أحد، وعلى ما فسر به ابن مسعود رضي الله عنهما إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد، وهكذا قوله تعالى (يغشى الناس)، وقوله تعالى (هذا عذاب أليم) أي يقال لهم ذلك تقريعاً وتوبيخاً)[٢].

٣ – وقد ذهب بعض العلماء [٣] إلى الجمع بين هذه الآثار بأن قالوا هما دخانان ظهر أحدهما وبقي الآخر الذي سيقع في آخر الزمان، فأما الآية الأولى التي ظهرت فهي ما كانت قريش تراه كهيئة الدخان، وهذا الدخان غير الدخان الحقيقي الذي يكون عند ظهور الآيات التي هي من أشراط الساعة.

---

(١) تفسير ابن كثير (١٢٥/٤–١٤٠)، وانظر النهاية في الفتن والملاحم له (١٧٢/١)بتحقيق د. طه زيتي.

(٢) أنظر التذكرة للقرطبي (٦٥٥)، وشرح صحيح مسلم (٢٧/١٨).

(٣) التذكرة (٦٥٥).

قال القرطبي -رحمه الله- (قال مجاهد : كان ابن مسعود يقول: هما دخانان قد مضى أحدهما، والذي بقي يملأ ما بين السماء والأرض ولا يجد المؤمن إلا كالزكمة، وأما الكافر فتثقب مسامعه) (١).

وقال الإمام ابن جرير الطبري -رحمه الله- :(وبعد فإنه غير منكر أن يكون أحل بالكفار الذين توعدهم بهذا الوعيد ما توعدهم، ويكون محلاً فيما يستأنف بعد بآخرين دخاناً على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ عندنا كذلك، لأن الإخبار عن رسول الله ﷺ قد تظاهرت بأن ذلك كائن، فإنه قد كان ما روي عنه عبد الله بن مسعود، فكلا الخبرين اللذين رويا عن رسول الله ﷺ صحيح"(٢).

وقال النووي رحمه الله تعالى "ويحتمل أنهما دخانان للجمع بين هذه الآثار "(٣).

ولاشك أن الجمع هو أفضل الطرق ولا منافاة بين الرأيين حينئذ- والله تعالى أعلم ورد العلم إليه أسلم.

---

(١) تفسير الطبري (٢٥/١١٤-١١٥).

(٢) تفسري الطبري (٢٥/١٤٤-١١٥).

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (١٨/٢٨).

المطلب الثامن: الخسوفات الثلاثة

من العلامات الكبرى التي أخبر الرسول ﷺ بحدوثها في آخر الزمـــان الخسوفات الثلاثة، وقد دل على هذا حديث حذيفة بن أسيد ﷺ -وقـــد ســبق ذكره- وفيه أن رسول الله ﷺ قال: (إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات) وذكر منها (ثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب، وخسف بجزيـرة العرب) (١).

ومنها حديث أم سلمه -رضي الله عنها- قال: سمعت رســـول الله ﷺ يقول: (سيكون بعدي خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف فـــي جزيـــرة العرب، قلت: يا رسول الله أيخسف بالأرض وفيها الصالحون؟ قال لها رســول الله ﷺ: إذا أكثر أهلها الخبث) (٢).

فهذه الخسوفات الثلاثة من الأشراط الكبرى التي لا تظهر إلا في آخـــر الزمان، وهي غير الخسوفات التي وقعت يف الماضي وفي أماكن متعددة؛ لأن هذه من أشراط الساعة الصغرى، أما هذه الخسوفات الثلاثة فـــهي خســوفات عظيمة.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٧٤/٤) وقال الهيثمي في المجمع (١١/٨) رواه الطبراني في الأوسط، وفيه حكيم بن نافع وثقه ابن معين وضعفه غيره، وبقية رجالــه ثقات.

قال الحافظ بن حجر -رحمه الله-: (وقد وجد الخسف في مواضع، ولكن يحتمل أن يكون المراد بالخسوف الثلاثة قدراً زائداً على ما وجد كأن يكون أعظم منه مكاناً أو قدراً) [١].

المطلب التاسع: النار التي تحشر الناس

آخر الآيات الكبرى والعلامات العظمي لأشراط الساعة وأول الآيات المؤذنة بقيام القيامة خروج نار تحشر الناس إلى محشرهم، والكلام عليها في عدة مسائل:

المسألة الأولى: الأدلة على خروجها:

جاءت الروايات بأن خروج هذه النار يكون من اليمن من قعرة عدن، وجاءت روايات أخرى بأنها تخرج من بحر حضرموت، ومن الأحاديث تبين ذلك:

١- حديث حذيفة بن أسيد في ذكر أشراط الساعة وآخره قوله ﷺ: **(وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم) وفي رواية: نار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس)** [٢].

---

(١) فتح الباري (١٣/٨٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفتن وأشراط الساعة: (٤/٢٢٢٥ - ٢٢٢٦).

٢- حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: **(ستخرج نار من حضرموت أو من بحر حضرموت قبل يوم القيامة تحشر الناس)** (١).

٣- حديث أنس ﷺ أن عبدالله بن سلام لما أسلم سأل النبي ﷺ عن مسائل ومنها ما أول أشراط الساعة؟ فقال النبي ﷺ : **(أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب)** (٢).

المسألة الثانية: الجمع بين الأحاديث الواردة في مكانها:

الجمع بين ما جاء أن هذه النار هي آخر أشراط الساعة الكبرى وما جاء أنها أول أشراطها بأن يقال: (إن آخريتها باعتبار ماذكر معها من الآيات الواردة معها في حديث حذيفة، وأوليتها باعتبار أنها أول الآيات التي لا شيء بعدها من أمور الدنيا أصلاً، بل يقع بانتهاء هذه الآيات النفخ في الصور بخلاف ما ذكر معها من الآيات الواردة في حديث حذيفة، فإنه يبقى بعد كل آية منها أشياء من أمور الدنيا) (٣).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٣٣/٧) رقم (٥١٤٦) بتحقيق أحمد شاكر، وقال عنه: إسناده صحيح، والترمذي كتاب الفتن: (٤٣١/٤)، وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح، وقد صححه الألباني. أنظر صحيح الجامع (٢٠٣/٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب أحاديث الأنبياء (٤١٧/٦-٤١٨).

(٣) أنظر فتح الباري (٨٦/١٣).

أما ما جاء في بعض الروايات بأن خروجها يكون من اليمن وفي بعضها الآخر أنها تحشر الناس من المشرق إلى المغرب فيجاب عن ذلك بأجوبة:

١- أنه يجمع الجمع بين هذه الروايات بأن كون النار تخرج من قعر عدن لا ينافي حشرها الناس من المشرق إلى المغرب وذلك أن ابتداء خروجها من قعر عدن فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها، والمراد بقوله ﷺ: **(تحشر الناس من المشرق إلى المغرب)** إرادة تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب.

٢- أن النار عندما تنتشر يكون حشرها لأهل المشرق أولا، ويؤيد ذلك أن ابتداء الفتن دائما من المشرق، وأما جعل الغاية المغرب فلأن الشام بالنسبة إلى أهل المشرق مغرب.

٣- يحتمل أن تكون النار المذكورة في حديث أنس كناية عن الفتن المنتشرة التي أثارت الشر العظيم والتهبت كما تلتهب النار وكان ابتداؤها من قبل المشرق حتى خرب معظمه وانحشر الناس من جهة المشرق إلى الشام ومصر وهما من جهة الغرب كما شوهد ذلك مرارا في عهد التتر والمغول وغيرهم، وأما النار التي في حديثي حذيفة بن أسيد وابن عمر فهي نار حقيقية، والله أعلم[1].

---

(١) أنظر فتح الباري (١٣/٨٦)

المسألة الثالثة: مكان الحشر:

المكان الذي يكون الحشر إليه في آخر الزمان هو الشام كما صحت بذلك الأحاديث الكثيرة منها:

١- حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(إنكم محشورون رجالاً وركباناً وتجرون على وجوهكم هـهنا وأومأ بيده إلى الشام)** [١].

٢- حديث أبي ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(الشام أرض المحشر والمنشر)** [٢]، إلى غير ذلك من الأحاديث.

قال الحافظ بن حجر -رحمه الله- (وفي تفسير ابن عيينة عن أبي عباس -رضي الله عنهما-: من شك أن المحشر ههنا يعني الشام فليقرأ أول سورة الحشر قال لهم رسول الله ﷺ يومئذ اخرجوا، قالوا: إلى أين؟ قال: إلى أرض المحشر) [٣].

والسبب في كون الشام هي أرض المحشر أن الأمن والإيمان حين تقع

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/٥) والترمذي في كتاب صفة القيامة (٥٣٢/٤). وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤٦٣/٦)، وابن ماجه -كتاب إقامة الصلاة (٤٥٠/١)، وأخرجه الربعي في فضائل الشام (٤)، وصححه الألباني في تخريجه له.

(٣) فتح الباري (٣٨٠/١١)، وأنظر تفسير ابن كثير (٤٣٣٠).

الفتن في آخر الزمان يكون بالشام، وقد دعا النبي ﷺ لشام بالبركة فقال: (اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا) (١).

وقد وردت أحاديث كثيرة في فضائل الشام والترغيب في سكنها لا مجال لذكرها هنا(٢)، وقد تقدم أن نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان يكون بالشام وبه يكون اجتماع المؤمنين لقتال الدجال، وهناك يقتله المسيح عليه السلام بباب لد، هذا بالإضافة إلى أن أرض الشام مهبط الأنبياء ومسرى رسول الله ﷺ.

المسألة الرابعة: زمان الحشر:

وأما عن زمن الحشر: فقد اختلف أهل العلم فيه، فذهب بعض العلماء كالبيهقي والغزالي(٣)، وغيرهما إلى أن هذا الحشر ليس في الدنيا وإنما هو في الآخرة عند الخروج من القبور(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الفتن: (٩٥/٨).

(٢) للحافظ الربعي كتاب قيم بهذا الشأن سماه (فضائل الشام) جمع فيه الأحاديث الواردة في فضل الشام وقد شرحه العلامة القاسمي وطبع بتحقيق وتخريج العلامة الشيخ الألباني بالمكتب الإسلامي فليراجع.

(٣) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، فيلسوف متصوف، له كتب كبيرة في الفقه والأصول والتفسير وغيرها، ومنها "المستصفى"، "الاقتصاد في الأعتقاد" توفي سنة ٥٠٥هـ، العبر (٣٨٧/٢)، شذرات الذهب (١٠/٤).

(٤) أنظر : المنهاج في شعب الإيمان (٤٤٢/١) وفتح الباري (٣٨٧/١١).

وذهب جماهير العلماء[1]، إلى أن هذا الحشر يكون في الدنيا قبل قيام الساعة حيث يحشر الناس أحياء إلى الشام، وأما الحشر في القبور إلى الموقف فهو على خلاف الصورة الواردة في حشر الناس إلى الشام حيث جاء في وصف حشر الدنيا ما رواه أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا)[2]، إلى غير ذلك من الأحاديث التي تدل على أن المراد حشر الموجودين في آخر الدنيا من أقطار الأرض إلى محلة المحشر بأرض الشام، وقد ورد في هذا الحديث وغيره الركوب والأكل والنوم وإماتة النار من يتخلف، ولو كان هذا بعد نفخة البعث لم يبق موت ولا ظهر يركب ويشتري ولا أكل ولا لبس في عرصات القيامة، وأيضاً: فإن احشر الآخرة قد جاءت به الاحاديث تبين بأن الناس مؤمنهم وكافرهم يحشرون حفاة عراة لا عاهات فيهم، ففي الصحيح عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً بمواعظة فقال: (يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلاً[3]،

---

(١) شرح مسلم للنووي (١٧/١٩٤-١٩٥) فتح الباري (١١/٣٨٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق (٧/١٩٤)، ومسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها (٤/٢١٩٤).

(٣) جمع أغرل، وهو من بقيت غرلته وهي الجلدة التي يقطعها الخاتن من الذكر.: النهاية في غريب الحديث (٣/٣٦٢).

﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [١].

وألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام[٢]، فمن اين للذين يبعثون بعد الموت حفاة عراة حدائق يدفعونها في الشوارف، أو أبعرة يركبها من يساق من الموقف إلى الجنة؟! إن هذا في غاية البعد[٣].

وبهذا يتبين أن الحشر الوارد في الأحاديث السابقة إنما يكون في الدنيا قبل يوم القيامة، أما حشر يوم القيامة فقد بينه حديث ابن عباس السابق، فمن ذهب إلى خلاف ذلك فقد اخطأ وجانب الحق والصواب -والله اعلم.

قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله-: (فأما شرار الخلق فتخرج نار في آخر الزمان تسوقهم إلى الشام قهراً حتى تجمع الناس كلهم بالشام قبل قيام الساعة) [٤].

وقد سبق التنبيه إلى أن هذه النار غري النار التي خرجت في المدينة والتي تعد من الأشراط الصغرى والله أعلم.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٠٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق: (١٩٤/٧)، ومسلم في صحيحه كتاب الجنة وصفه نعيمها (٢١٩٤/٤).

(٣) أنظر: النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (٢٣٠/١-٢٣١)، وفتح الباري لابن حجر (٣٨٤/١١).

(٤) لطائف المعارف لابن رجب (٩٠).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فقد انتهيت -بعون الله تعالى وتوفيقه- من إتمام هذا البحث وإكماله، وقد بحثت فيه جهدي وطاقتي، وأستفدت منه فوائد كثيرة وخرجت بنتائج طيبة وذلك من خلال قراءتي لكثير من كتب العقيدة والتفسير والحديث والتراجم وغيرها من مختلف العلوم المتعلقة بهذا البحث.

هذا، ويمكن أن أمل أهمَ النتائج والفوائد التي توصلت إليها في الأمور التالية:

١- إن بحث أشراط الساعة ودراستها وتعلمها وتعليمها من أهم الامور في الوقت الحاضر لإقبال الناس على الدنيا والجري ورائها، مما جعل الكثير منهم ينسى الحياة الآخرة، والاستعداد لها، فالبحث في أشراط الساعة ودراستها وعرضها على الناس يقوي الإيمان في القلوب ويحثهم على الإكثار من الأعمال الصالحة، والاستعداد لقدوم على الدار الآخرة.

٢- أهمية الإيمان بالغيب ومكانته في الإسلام، فهو صفة المؤمنين المتقين، وكل من يدعي علماً بشيء من الغيب من تلقاء نفسه يكون ضالاً مكذباً لخبر الله تعالى، ونصوص الكتاب والسنة التي تبين أن علم الغيب من خصائص الله تبارك وتعالى.

٣- يجب على كل مسلم طاعة نبيه ﷺ واتباعه واقتفاء أثره والسير على هديه،وعدم مخالفة أمرة ونهيه، فعبادة الله سبحانه وتعالى لم تترك للأهواء والأفكار، بل هي مقيدة باتباعه ﷺ فيما شرعه لأمته.
٤- من خلال النظر في بعض المؤلفات المستقلة في أشراط الساعة يتبين أن التأليف في هذا الموضوع على وجه الإستقلال بدأ في وقت مبكر مع بداية حركة التأليف.
٥- أن أشراط الساعة الصغرى ظهر كثير منها ولم يبق منها إلى القليل.
٦- إنه يجب الإيمان بكل الأحاديث والأخبار التي ثبتت عن الرسول ﷺ في أشراط الساعة سواء كانت متواترة أم آحاداً.
٧- إن المراد بأشراط الساعة هي العلامات التي تسبقها، ولا دليل في ذلك على كون شيء منها محرماً أو ممنوعاً، وإنما وقوعه دليل على قرب الساعة ودنو قيامها، ومنها بعثته ﷺ من علامات الساعة الصغرى، وهي كذلك نور وخير للبشرية.
٨- إن النار التي ظهرت في الحجاز وأضاءت لها أعناق الإبل ببصري، من أشراط الساعة الصغرى، وقد ظهرت وانتهت، وأما النار التي تحشر الناس وتقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، فهي من أشراط الساعة الكبرى التي لم تأت بعد.
٩- أن اشراط الساعة وعلاماتها التي ظهرت ووقعت هي من معجزات الرسول ﷺ حيث إنها وقعت كما أخبر بها ﷺ.

١٠- أن كثيراً من الدجالين الكذابين المدعين للنبوة والمثيرين للفتنة قد ظهروا قديماً وحديثاً، ولا يزال هذا الظهور حتى يكون آخرهم المسيح الدجال الأعور الكذاب.

١١- إن أشراط الساعة الكبرى إذن خرجت تتابعت كتتابع الخرز في النظام.

١٢- إن الراجح في أمر ابن صياد أنه دجال من الدجاجلة، وليس هو الدجال الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان.

١٣- أن عيسى بن مريم عليه السلام عندما ينزل يقتل الدجال، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويقضي بشريعة النبي محمد ﷺ.

١٤- إن طلوع الشمس من مغربها هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحول العام العلوي، وإنه بطلوعها يقفل باب التوبة.

١٥- إن آخر أشرط الساعة الكبرى هو خروج النار التي تحشر الناس إلى أرض المحشر، والذي يكون بعده قيام الساعة.

وأخيراً أحمد الله تعالى وأشكره أن أعانني على إتمام هذا البحث وإخراجه بهذه الصورة التي أرجو أن أكون قد وفقت في عرضه، وبيان أهم جوانبه على الوجه المطلوب، ولا شك أن الإنسان معرض للخطأ في عمله والكمال لله وحده.

وإنني أعترف هنا بالتقصير، إذن كان ما ذكرته في بحثي هذا وما عرضته فيه حقاً وصواباً فهذا فضل الله وحده وله الحمد والشكر أولاً وأخراً،

وما كان فيه من خطأ وزلل فهو مني ومن الشيطان، واستغفر الله وأتوب إليه من ذلك.

وفي الختام أسأل الله تبارك وتعالى أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل واتباع كتابه وسنة نبيه ﷺ اتباعاً نقيا خالياً من البدع والأهواء، كما كان عليه سلف هذه الأمة، وأن يجنبنا الزلل ومزالق الأهواء، وأن يأخذ بنواصينا لما فيه رضاه وسعادتنا في الدارين، وان يثبتا على الحق حتى نلقاه به، وأن يغفر لي ولوالدي ولجمع المسلمين إنه سميع مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مسئولية الآباء
تجاه الأولاد
الجزء الثاني
للدكتور/ عبدالرب نواب الدين آل نواب

المبحث الثالث

التنشئة على مستلزمات العقيدة

العقيدة الإسلامية على ما سبق بيانه من مراتب الدين، تستلزم أموراً كثيرة، وتقضي لوازم هي ثوابت الدين، وهي أسس التربية الإسلامية وقواعد التنشئة على حب الله وحب رسوله ﷺ.

ولعل من أهم وأبرز لوازم التربية على الإيمان ما أجمله في الفقرات التالية:

أ- العمل الصالح:

من أصول أهل السنة والجماعة أن العمل الصالح يدخل في مسمى الإيمان، فلابد مع الإيمان من العمل الصالح، وعليه فالإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، وعلى هذا المفهوم ينبغي أن تكون تربية الآباء وتنشئتهم للأولاد، توخياً لمنهج السلف في الاعتقاد ووقاية من الانحراف العقدي.

تأمل قول الله تعـالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ (١) وقولـه: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ (٢)، وقـال: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ (٣)، وقـال: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ﴾ (٤)، فذكر في هذه الآيات البينات الإيمان الذي ينتفع به صاحبه مقترناً بالعمل الصالح.

ومن أسس التربية الإيمانية التي ينبغي أن تقوم عليها تنشئة الأولاد، تعميق الوعي بمفاهيم الإيمان، ومن ذلك:

- إن الإيمان كما يشمل العمل الصالح على نحو ما سبق تقريره، فإن العمل الصالح يشمل العبادات كما يشمل المعاملات، أما العبادات فكما في قوله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ (٥).

---

(١) سورة طه: الآية ٨٢.

(٢) سورة النحل: الآية ٩٧.

(٣) سورة الإسراء: الآية ١٩.

(٤) سورة الأحقاف: الآية ١٩.

(٥) سورة الحجر: الآية ٩٩.

وأما المعاملات فكما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **(أتدرون من المفلس)؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، قال: (إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته! فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار)** [١].

- والمعاملات لا تنحصر في التعامل مع بني الإنسان بل تتجاوزه إلى البهائم والعجماوات كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **(دخلت النار امرأة في هرة حبستها لا أطعمتها ولا سقتها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض)** [٢].

وكذلك تتضمن كل ما في وسع الإنسان عمله لخير الغير مما حوله من مظاهر الكون، ومن الأمثلة عليه حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **(بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره فشكر الله له فغفر**

---

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة (٢٥٨١) والفظ له، والترمذي في كتاب صفة القيامة (٢٣٤٢) وأحمد في مسند المكثرين (٧٦٨٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب بدء الخلق حديث (٣٣١٨)، ومسلم في كتاب السلام حديث(٢٢٤٢).

له)[١]. وإن تربية الناشئة على هذا يجعلهم أعضاء صالحين في المجتمع ليكثر خيرهم ويقل شرهم ويعم النفع بهم.

ب- حب الله تعالى ورسوله ﷺ:

وهو مطلب تربوي في غاية الأهمية لا سيما وقد أصبح الأولاد في عصرنا هدفاً للغزو الفكري الشرس الذي يرمي إلى اجتثاث الإيمان من قلوب الناشئة بشتى الوسائل والأساليب ببث الشبهة وتزيين الشهوة، بالإغواء والإغراء! حتى يصبحوا رويداً رويداً من الكارهين للدين الصادين عن سبيل الله الراغبين عن هديه والعياذ بالله!

وكما حذرنا الله تعالى من ذلك فقال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٢]، وبعد أن حذر من مكر اليهود والنصارى وأساليبهم في إغواء المسلمين، أمر بأعظم ما يحصن المسلم من نزعات الشياطين وهو إقامة

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الآذان (٦٥٤)، ومسلم في كتاب الإمارة (١٩١٤).

(٢) سورة البقرة: الآية ١٠٩.

الصلاة وإيتاء الزكـــاة فقـــال: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (١).

فالولد ينبغي أن يربى على حب الله ورسوله ﷺ، كي يكـــون قـــوي الإيمان صلب الإرادة لا يتزعزع في الفتن ولا يضطرب إبان المحن، وحب الله ورسوله ﷺ الحب الحق يقتضي الاستمساك بـــالدين، بـــالإخلاص لله تعـــالى والاتباع لنبيه ﷺ وهما شرطا قبول العمل والعاصم بإذن الله من الزلـــــل، لا يتوانى في ذلك ولا يغفل عنه قال تعـــالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ ﴾ (٢).

والاتباع هو اقتفاء هدى القرآن والاقتداء بسيد الآنام والحذر من الابتداع في الإسلام وفي حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت قـــال النبـــي ﷺ: **(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)** (٣).

قال ابن حجر: هذا الحديث معدود من أصـــول الإســـلام وقـــاعدة مـــن قواعده، فإن معناه: من اخترع في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله فـــلا يلتفت إليه(١).

---

(١) سورة البقرة: الآية ١١٠.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٣١.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الصلح (٢٦٩٧)، ومسلم فـــي كتـــاب الأقضيـــة (١٧١٨).

إن الإيمان بالله ورسوله واتباع هدي الإسلام وحبه وبغض ما يناقضه يورث الاعتزاز بالدين والتضحية في سبيله والحياة من أجله! وحب الله تعالى يقتضي كثرة ذكره وشكره آناء الليل وأطراف النهار، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [٢].

وكذلك الإكثار من الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [٣] وإيثار لأقواله وأفعاله على قول كل أحد وفعله، والتمسك بذلك والعض عليه بالنواجذ، واعتقاد أنه سبيل المتقين وطريق الفوز برضوان رب العالمين والنجاة من عذاب الجحيم، فإن حب الله ورسوله مبدأ إيماني عقدي وهو كذلك مقصد تربوي جليل به يكمل الإيمان، فعن أنس رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين) [٤].

وفي أثر هذه المحبة الإيمانية ما رواه أنس رضي الله عنه أن أعرابيا قال لرسول

---

(١) الفتح ٥/٣٠٢.
(٢) سورة الأحزاب: الآيتان ٤١ – ٤٢.
(٣) سورة الأحزاب : الآية ٥٦.
(٤) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الإيمان (١٥)، ومسلم في كتاب الإيمان (٤٤).

الله ﷺ: متى الساعة؟ قال له رسول الله ﷺ: (ماذا أعددت لها)؟ قال: حب الله ورسوله. قال: (أنت مع من أحببت) [١].

قال النووي: قال ابن بطال: ومعنى الحديث أن من استكمل الإيمان علم أن حق النبي ﷺ آكد عليه من حق أبيه وابنه والناس أجمعين لأن به ﷺ استنقذنا من النار وهدينا من الضلال. قال القاضي عياض: ومن محبته ﷺ نصرة سنته والذب عن شريعته وتمني حضور حياته فيبذل ماله ونفسه دونه، قال: وإذا تبين ما ذكرناه تبين أن حقيقة الإيمان لا يتم إلا بذلك، ولا يصح الإيمان إلا بتحقيق إعلاء قدر النبي ﷺ ومنزلته على كل والد وولد ومحسن ومفضل[٢].

وهو من مقتضيات الإيمان، وحبهم من محبة الله ورسوله، لا سيما الصحابة الكرام رضوان الله عليهم الذين شرفهم الله بصحبة نبيه ﷺ وعن طريقهم وبجهادهم وجهودهم بعد فضل الله تعالى وصلت إلينا رسالة الإسلام.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الأدب (٦١٦٧)، ومسلم في كتاب البر والصلة (٢٦٣٩).

(٢) المنهاج للنووي ٢/٣٧٥.

ولقد زكاهم الله تعالى حيث قال: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (١)

وقال في صفاتهم الحميدة وخصالهم الفريدة: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ (٢).

وكما مدحهم الله تبارك وتعالى لسبقهم إلى الخير وما اتصفوا به من خصال الخير، فقد مدح الخلف الذين جاؤوا من بعدهم وأحبوهم لله تعالى فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ

---

(١) سورة التوبة : الآية ١٠٠.

(٢) سورة الفتح: الآية ٢٩.

سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[1].

وأفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ هو أبو بكر الصديق ﷺ خليفة رسول الله وصاحبه في الهجرة ووزيره الأول، والفاروق عمر أمير المؤمنين الخليفة الثاني والإمام الملهم ﷺ، وعثمان ذو النورين الخليفة الثالث ﷺ، وأبو السبطين علي ﷺ، وإن تربية الولد على حب هؤلاء الخلفاء الأربعة بقصص قصص إسلامهم وجهادهم في سبيل الله وسابقتهم في الإسلام وما خصهم الله به من المناقب والفضائل لمن واجبات الآباء نحو الأبناء وكذا باقي الصحابة رجالا ونساء وأمهات المؤمنين رضوان الله عليهم جميعا.

وكيف لا يحبهم مسلم وقد شهد الله لهم بالسبق والفضل ورضي عنهم من فوق سبع سماوات فقال: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[2].

---

(١) سورة الحشر: الآية ١٠.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٠٠. وأنظر تفسير القرطبي في موضع الآية: ٢٣٥/٨ فقد ذكر مسائل جليلة تتعلق بعقيدة المسلم في الصحابة وفضلهم وسابقهم وما يجب علينا تجاههم.

د- التوسط والاعتدال:

وهو من مستلزمات العقيدة، إذ الإسلام دين الوسطية حيث لا غلو ولا تهاون، بين الإفراط والتفريط، وبين التساهل والتنطع، والأمة المحمدية وهي خاتمة الأمم وأفضلها هي أمة وسط كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (١).

ولئن كان الشرع قد نهى عن التشدد في الدين والغلو فيه والمبالغة في تطبيق تعاليمه كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **(هلك المتنطعون)** (٢). فإنه جعل في المقابل التخاذل والتكاسل في الدين مذموما أيضا وجعله من النفاق إذ قال عن المنافقين: ﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٣).

والمسلم المقصر في أمور دينه لا يخرج عن مسمى الإيمان مالم يأت بما يناقض أصل الإسلام، فلا يكفر بكبيرة، ولا يفسق أو يبدع إلا ببينة وتثبت، وبالطرق المشروعة، ولا يفتات المسلم على ولاة الأمر في إقامة الحدود ولا فيما هو من اختصاصاتهم بحكم ولاياتهم ومسئولياتهم من التحري والإدانة.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

(٢) رواه مسلم في كتاب العلم حديث (٢٦٧٠) وأبو داود في كتاب السنة حديث (٤٦٠٨)، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة حديث رقم (٣٤٧٣).

(٣) سورة النساء: الآية ١٤٢.

وليس من أهداف التربية الإسلامية أن يحب الأولاد الدين ويرغبوا فيه فحسب، بل أن يتمسكوا به على النهج الراشد في اعتدال وتوسط وإلا كانت نتائج التربية عكسية سلبية..!! فالتدين المشوب بالغلو لا ينتج إلا التطرف والخروج عن منهج الإسلام بتأويلات فاسدة ومبالغات ممجوجة، وكذلك التهاون والتخاذل لا ينهض من بلي به بعزائم الأمور.

يقيم المسلم علاقاته بإخوانه المسلمين، وبغيرهم على أساس الدين، فيوالي ويعادي لله تعالى وفي الله، وعلى هذا المبدأ ينبغي أن يكون مربى الولد كي يبقى محافظاً على كيانه صيناً لمعالم دينه من الانحلال والذوبان، عارفاً بمعايير المفاضلة بين الناس، مدركاً لمقاييس القبول والرفض لما يسمع ويرى ويدرك.

والدين الحنيف يرفع وشيجة الدين وعروته الوثقى فوق كل الوشائج والعلاقات الأخرى، ويجعل رابطة الدين مقدمة على رابطة الدم والنسب والمصالح، وحتى العلاقات بين الآباء والأبناء ليست ترتقي إلى مستوى الرابطة الدينية.

ولنتأمل ذلك في النصوص التالية:

في قصة نبي الله نوح عليه السلام لما دعا ابنه وقد أشرف على الغرق ناداه كما قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب

﴿مَعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [(١)]، فلما لم يستمع إلى الأب الشفيق وآثر الكفر على الإيمان وكان من المغرقين نادى نوح ربـــه: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿45﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [(١)]، فولاية الإيمان فوق كل ولاية، ذكر الإمام الطبري بسنده عن سعيد بن جبير أنه جاء إليه رجل فسأله فقال: أرأيت ابن نوح ابنه؟!

فسبح طويلاً ثم قال: لا إله إلا الله، يحدث الله محمداً ﷺ: (ونادى نوح ابنه) وتقول ليس منه؟ ولكن خالفه في العمل فليس منه من لم يؤمن[(٢)].

- قـــول الله تعـــالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [(٣)]، فللوالدين البر والإحســـان حتـــى وإن كانـــا كافرين، وللأولاد حق الرعاية والتربية وتعليم أمور الدين، لكن لا تعلوا علاقـة الأبوة والبنوة ولا ترتقي إلى مستوى علاقة الدين.

---

(١) سورة هود: الآية ٤٢.

(٢) تفسر الطبري ١٥/٣٤٤.

(٣) سورة التوبة: الآية ٢٣

- قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ ﴾ [١]، ففي هذه الآية أن ولاية الكفار لا تجوز، لأن المودة إذا حصلت تبعتها النصرة والموالاة فخرج العبد من الإيمان وصار من جملة أهل الكفران كما يقول العلامة بن سعدي[٢].

ولموالاة الكفار في عصرنا صور كثيرة، قد يقع فيها الناشئة وهم لا يشعرون! كالافتتان بحضارتهم وما فيها من مساوئ وأوضار، وكالتعلق بمن يسمونهم نجوم الفن والألعاب الرياضية، والتشبه بهم وتقليدهم وتمني مؤخاتهم ونحو ذلك مما قد يبتلى به الفتى المسلم أو الفتاة المسلمة، وهو راجع -كما ترى- إلى ضعف التربية الأسرية على مستلزمات العقيدة الإسلامية.

هذا وللتنشئة على العقيدة القويمة مستلزمات أخر، كحب الجهاد في سبيل الله لا سيما في بلاد المسلمين المنكوبة كفلسطين وتركستان وبورما والشيشان وغيرها، وأيضاً حب الدعوة إلى الله تعالى والرغبة في الأمر بالمعرف والنهي عن المنكر بالحكمة، والاهتمام بأمور المسلمين، والعمل على إسعاد البؤساء والمحرومين.. وغير ذلك كثير، مما تسكبه العقيدة الإسلامية في قلوب الآباء ووجدانهم، فيربون عليه الأبناء، ويؤدون بذلك الأمانة التي ائتمنهم الله عليها.

---

(١) سورة الممتحنة: الآية ١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٨/١١٠.

- قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ ﴾ [١]، ففي هذه الآية أن ولاية الكفار لا تجوز، لأن المودة إذا حصلت تبعتها النصرة والموالاة فخرج العبد من الإيمان وصار من جملة أهل الكفران كما يقول العلامة بن سعدي[٢].

ولموالاة الكفار في عصرنا صور كثيرة، قد يقع فيها الناشئة وهم لا يشعرون! كالافتتان بحضارتهم وما فيها من مساوئ وأوضار، وكالتعلق بمن يسمونهم نجوم الفن والألعاب الرياضية، والتشبه بهم وتقليدهم وتمني مؤخاتهم ونحو ذلك مما قد يبتلى به الفتى المسلم أو الفتاة المسلمة، وهو راجع -كما ترى- إلى ضعف التربية الأسرية على مستلزمات العقيدة الإسلامية.

هذا وللتنشئة على العقيدة القويمة مستلزمات أخر، كحب الجهاد في سبيل الله لا سيما في بلاد المسلمين المنكوبة كفلسطين وتركستان وبورما والشيشان وغيرها، وأيضاً حب الدعوة إلى الله تعالى والرغبة في الأمر بالمعرف والنهي عن المنكر بالحكمة، والاهتمام بأمور المسلمين، والعمل على إسعاد البؤساء والمحرومين.. وغير ذلك كثير، مما تسكبه العقيدة الإسلامية في قلوب الآباء ووجدانهم، فيربون عليه الأبناء، ويؤدون بذلك الأمانة التي ائتمنهم الله عليها.

---

(١) سورة الممتحنة: الآية ١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٨/١١٠.

فليست العقيدة إيمانا يقر في القلب فحسب، بل عملا يصدق ما وقر، ويكون أمارة عليه.

وفي حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: **(الإيمان بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)** وفي رواية: **(والحياء شعبة من الإيمان)** [١].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الإيمان حديث رقم (٩) ومسلم في كتاب الإيمان حديث رقم (٣٥).

المبحث الرابع

أثر التنشئة على العقيدة في حياة الأولاد وسلوكهم

لا جرم أن للعقيدة في حياة الإنسان الأثر الأكبر في توجهه وسلوكه وأسلوب تفكيره وجميع أنماط حياته، بل وفي تقرير مصيره.

ولقد نوه الشرع بأثر التنشئة على العقيدة في حياة الأولاد وسلوكهم، وذلك في حديث أبي هريرة ﷺ قال قال النبي ﷺ: **(ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء)** [١].

فبحسب تربية الأبوين ينشأ الولد إما مسلماً أو يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً، وما يلحق بهذا الاعتبار من قوة التدين أو ركاكته، ومن عمق التأثير أو ضعفه، وآثار العقيدة في حياة المسلم كثيرة لعل من أهمها ما أذكره مما يقتضيه المقام ملخصاً:

نشأته من جهة الإيمان بالله تعالى بين الخوف والرجاء، بين خشيته تبارك وتعالى والخوف من عذابه وغضبه وبين رجاء رحمته وعفوه ولطفه، وهذا هو الذي يتوخاه المسلم وهو الصراط المستقيم فمن كان الرجاء فقط غايته زل كالمرجئة، ومن كان الخوف فقط غايته ضل كالخوارج، والمنهج الوسط هو

(١) متفق عليه، وقد تقدم ص ٢.

الجمع بين الخوف والرجاء كما في قول الباري جل ذكـره: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ (١).

وقال في موضع آخر: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ (٢).

وقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ (٣).

والجمع بين الخوف والرجاء تتحقق به التقوى وهي ترك المعاصي وفعل الطاعات، فمن خاف الله ترك محارمه ومن رجا رحمته اجتهد في الصالحـلت، وكان مرهف الحس وقاد الضمير لا يبيت في غفلة ولا يتوانى عـــن تحقيـق التقوى وهذا ما يتوخاه المتقون وهو هدف التربية السوية.

وتأمل حرص عبدالله بن العباس رضي الله عنهما على الخير وهو شاب يافع حفزه الورع على اقتفاء سنة رسول الله ﷺ حتى وهو في بيته بين أهلـه، قال رضي الله عنه: **(بت في بيت خالتي ميمونة بنت الحارث زوج النبـــي ﷺ وكــان**

---

(١) سورة الزمر: الآية ٩.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٥٧.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٩٠.

النبي ﷺ عندها في ليلتها فصلى النبي ﷺ العشاء ثم جاء إلى منزله فصلى أربع ركعات ثم نام ثم قام، ثم قال: نام الغليم أو كلمة تشبهها، ثم قام فقمت عن يساره فجعلني عن يمينه فصلى خمس ركعات، ثم صلى ركعتين ثم نام حتى سمعت غطيطه أو خطيطه ثم خرج إلى الصلاة) (١).

- معرفة حقيقة الدنيا والتعلق بالآخرة، وهذه سمة المؤمنين إذ هم يسعون للدار الآخرة ويجعلون ذلك أكبر همهم أما الدنيا فيكتفون منها بالكفاف ويجعلونها مطية لما بعدها، والقرآن العظيم يرسخ هذا في نفوس المؤمنين في غير موضع مثل قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴾ (٢).

وقال في موضع آخر: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ (٣).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب العلم (١١٧) واللفظ له، ومسلم في كتاب بصلاة المسافرين حديث رقم (٧٦٣).

(٢) سورة الرعد: ٢٦.

(٣) سورة الإسراء: الآيتان ١٨-١٩.

- تزكية النفس بالطاعات وهو للتربية السوية، إذ تصبح النفس خيرة زاكية تحب الخير والطاعات وتسارع فيها وتكره الكفر والفسوق والعصيان وتنفر منه، ففي أثر الصلاة على سبيل المثال قال تعالى: ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (١)، وقال في موضع: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ (٢)، فللصلاة أثرها في تهذيب السلوك وتقويم الأخلاق، ولها أثرها في رفع الدرجات وتكفير السيئات.

وفي أثر الصوم وأنه يكسر الشهوة ويهذب الأخلاق حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: **(يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)** (٣).

- معرفة حقوق الخالق جل وعلا وحقوق الخلق، فحق الله تعالى أن يعبد وأن لا يشرك به شيئا، وحقوق الخلق أن يسلموا من اللسان واليد فلا يطالبهم

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤٥.

(٢) سورة هود: الآية ١١٤

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب النكاح حديث رقم (٥٠٦٥) ومسلم في كتاب النكاح حديث رقم (١٤٠٠).

بشيء من ذلك، وهذا من الآثار العظيمة للعقيدة الإسلامية، ومن النصوص الكثيرة في توحيد الله تعالى قوله سبحانه: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [(١)].

وفي تقرير حقوق الناس حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: **(المسلم من سلم المسلمون من لسان ويده، والمؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأعراضهم)** [(٢)].

وفي حق الأخوة الإسلامية قوله تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [(٣)]، وهكذا لو تتبعنا سلسلة الحقوق التي يقوم بها المسلم بدافع إيمانه بالله ويقينه بموعوده لا لشيء آخر لطال بنا المقام وحسبنا هذا القدر إذ أردت مختصر الإشارة لا تفصيلي العبارة وبالله تعالى التوفيق.

- التوازن النفسي: وهو ما ينعم به المؤمنون بالله الواثقون بمعيته وتأييده، وهو أثر من آثار الإيمان ونعمة من نعم الله على عباده المؤمنين، فمن لاذ

---

(١) سورة الزمر: الآية ٦٦.

(٢) المقطع الأول من الحديث متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الإيمان حديث (١٠) ومسلم في كتاب الإيمان حديث (٤٠) وأما المقطعان معا كما هو في المتن فرواه الترمذي في كتاب الإيمان حديث رقم (٢٦٢٧) والنسائي في كتاب الإيمان وشرائعه حديث رقم (٤٩٩٥)، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة حديث (٨٥٧٥).

(٣) سورة الحجر: الآية ٨٨.

بحمى الله وفر إليه ولجأ ببابه وقاه وكفاه، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ (١).

وقال: ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ﴾ (٢).

ففي هذه الآيات البينات وصف لطبيعة الإنسان، وينبغي للآباء معرفته لأنه من خصائص البشرية، ويشترك فيها الأولاد الصغار وكذلك البالغون الراشدون، فمن ذلك الهلع: وهو أشد الحرص وأسوأ الجزع وأفحشه كما يقول

---

(١) سورة الرعد: الآية ٢٨.

(٢) سورة المعارج : ١٩-٣٥.

القرطبي(١).

ولا سبيل إلى الخلاص من هذه الصفات الذميمة التي تتأصل في الإنسان مع دواعي الكفر وهوى النفس فينقلب كالبهيمة لا هم لـــه إلا شـــهوة البطـــن والفرج، إلا بالتقوى ولا سيما الأخلاق التي ذكرها الله لوقاية الإنسان من أدواء الهلع والجزع حين الضراء ومنع الخير حيـــن الســـراء، لا ســـيما العبـــادات والأخلاق المنصوص عليها هنا وهي :

- الصلاة بإقامتها والمداومة عليها والمحافظة على أركانـــها وشـــروطها وواجباتها.
- سخاوة النفس بإيتاء الزكاة والصدقات وكل أنواع البر والمواساة.
- الإيمان بيوم الحساب والخوف من الكبير المتعال.
- حفظ الفرج عن كل محرم من زنا ولواط وسحاق واســـتمناء وأســـبابه ودواعيه من مسموع ومشاهد.. وتحقيق العفة والصون عن هذه البلايـــا والرزايا على الدوام.
- أداء الأمانات كلها الحسية والمعنوية دون تردد ولا تقصير. ومنها الوفاء بالعهود وبالعقود والالتزامات، فلا يصح التلاعب بها ولا التهاون فيها.
- القيام بالشهادة لله تعالى، حفظا للحقوق ودفعا للظلم.
- المحافظة على الصلاة فهي المبتدأ والمختتم وهي عمود الإسلام.

وهذه العبادات يصح أن تكون دستور التربية والإصلاح وتزكية النفـــس للصغار والكبار على السواء، فهي وسائل التربية ومقاصدها.

---

(١) الجامع لاحكام القرآن ٢٩٣/٨١.

الفصل الثالث
مسئوليات الآباء
الأسرية والاجتماعية

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: واجبات الأم.
(سد حاجات الطفل الأساسية)

- المبحث الثاني: واجبات الأب
(سد حاجات الأولاد الفطرية والمعاشية).

- المبحث الثالث: (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخل نطاق الأسرة وبين أفرادها).
لمحة عن المجالات والأساليب والوسائل مع ضرب الأمثلة من السـنة العملية للنبي ﷺ .

المبحث الأول

مسئوليات الأم (سد حاجات الطفل الأساسية)

الطفل كغيره من الكائنات الحية لـــــه جملـــة مـــن الحاجـــات والجوعات ترتبط حياته ومعيشته بسدها وتلبيتها، فلابد له مـــن كـــــافل وراع يقوم بذلك بحكم عجز الطفل وحاجته المستمرة إلى من يقوم عليه ويرعاه علـى حد قول الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ (١). وقوله عـــن مريم عليها السلام إبان صغرها: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ﴾ (٢).

وقد أوجب الإسلام رعاية الولد وسد حاجاته وتلبية رغباته الفطرية حال طفولته وصباه على الوالدين بالأصالة كل فيما يخصه.

فكما حرم قتل الولد بأي وسيلة كما كان يفعله أهل الجاهلية حيث قال: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ﴾ (٣).

وقـــــال: ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ (٤).

فكذلك أوجب رعاية حاجاته وتنشئته التنشئة السليمة السوية من كافة الجوانـــب

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٢٤.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٣٧.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٥١.

(٤) سورة الأنعام: الآية ١٤٠.

البدنية والعاطفية والنفسية كي يترعرع مكتمل الملكات سليم الحواس موفور البنيان، والأب والأم مشتركان متضامنان في تحمل هذه المسئولية.

والأم تضطلع -بعد ذلك- بالدور الأول والأساس في رعاية الطفل وسد حاجاته وتلبية جوعاته المتنوعة لوفور عطفها وتمام تأهلها واتساق جملة تكوينها للقيام بهذا الواجب وتحقيق هذه الغاية السنية وذاك الدور الأساس، لذا نوه القرآن العظيم بقيمة الأم الوالدة وما تتضمنه الأمومة والوالديه من خصائص فريدة لا تتوفر لغير الأم، قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ ﴾ [1]. وقال عن موسى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ ﴾ [2]

وقال النبي ﷺ موضحا جانبا من هذه الخصائص وهو جانب العطف والشفقه والحنان: (**خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش أحناه على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده**) رواه أبو هريرة رضي الله عنه [3].

وألخص في ما يلي أبرز واجبات الأم تجاه طفلها الوليد الناشئ:

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٣٣.

(٢) سورة القصص: الآية ٧.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في كتا بالنكاح (٥٠٨٢) ومسلم في كتاب فضائل الصحابة (٢٥٢٧).

١ – الرعاية الصحية قبل الولادة:

أثناء كونه جنيناً في أحشائها، بحسن التغذية وتجنب كل ما يضره كشرب الدخان وتعاطي الحقن الضارة والجهاد المؤثر، والانفعالات النفسية والإضطرابات وغيرها مما يذكره الأطباء من واجبات الأم نحو الولد، وبحسن تعهد الأم وليدها الدارج في الرحم تقيه بإذن الله من كثير من السلبيات كالإعاقة والتشوه ونقص الوزن وضعف البنية.وفترة الحمل مشحونة بالمتاعب والمصاعب كما قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ ﴾ [1]. وقال في موضع: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾ [2]. لذا يجب على الأبوين العمل على أن تمر هذه الفترة بأمن وأمان دون مشكلات أو منغصات وقد أباح الشارع للحامل أن تفطر في رمضان إذا خشيت العنت من الصوم قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ ﴾ [3].

قال الحسن وإبراهيم في المرضع أو الحامل: إذا خافتا على أنفسهما أو ولدهما تفطران ثم تقضيان[4].

---

(١) سورة الأحقاف: الآية ١٥.

(٢) سورة لقمان: الآية ١٤.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٨٤.

(٤) صحيح البخاري ٨/١٧٩ كتاب التفسير/ باب قوله تعالى (أياماً معدودات).

٢- الإرضاع :

وهو من خصائص الوالدة الأصلية أو البديلة، ومدته عامان كاملان كما ورد في الآية الكريمة الآنفة مع قوله تعالى: ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾[1].

ومن التدابير الشرعية التي قررها الإسلام لضمان الإرضاع وأن لا يتضرر الولد بترك إرضاعه لسبب من الأسباب:

- أوجب على الأم إرضاع الولد فلا يحل لها أن تمتنع من ذلك رفاهية أو أنفة، ولا يكون إمتناعها إلا لعذر شرعي قال تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا ﴾[2]. قال يونس عن الزهري: نهى الله أن تضار والدة بولدها وذلك أن تقول الوالدة لست مرضعته وهي أمثل له غذاء وأشفق عليه وأرفق به من غيرها، فليس لها أن تأبى..، وليس للمولود له أن يضار بوالده والدته فيمنعها أن ترضعه ضرارا لها إلى غيرها[3].

---

(١) سورة الأحقاف: الآية ١٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٣٣.

(٣) صحيح البخاري ٥٠٤/٩ كتاب النفقات/ باب قول الله تعالى: (والوالدات يرضعن أولادهن) مختصرا.

- أوجب على الأب نفقة الإرضاع ومنعه من أن يمنع الأم من إرضاع الولد لسبب من الأسباب، ففي النفقة يقول تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ ، وفي موضع: ﴿ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ۞ ﴾ [1]. وهي نفقه واجبة بحسب العرف، قال ابن تيمية: والصواب المقطوع به عند جمهور العلماء أن نفقة الزوجة مرجعها إلى العرف وليست مقدرة بالشرع، بل تختلف باختلاف أحوال البلاد والأزمنة وحال الزوجين وعاداتهما فإن الله تعالى قال: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [2]. وقال النبي ﷺ لهند بنت عتبة رضي الله عنها: **(خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف)** [3][4].

وفي تحريم منعه الأم من الرضاع في حالة الطلاق أو المشاحنة أو غيرها من الأسباب يقول تعالى:﴿ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ﴾ .الآية.

---

(١) سورة الطلاق: الآية ٦.

(٢) سورة النساء: الآية ١٩.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب النفقات حديث (٣٥٦٤) ومسلم ف يالأقضية (١٧١٤).

(٤) مجموع الفتاوى ٨٣/٣٤.

- أوجب على الأب في حالة تعذر الإرضاع من قبل الأم أن يرضع ولده من أخرى مقابل أجر أو بغيره فمصلحة الولد لا يصح أن تضيع في حال من الأحوال وكيف والرضاعة هي قوامه وبها حياته قال تعالى: ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ [١].

- رخص للمرضع أن تفطر في رمضان كما سبق قريباً، ووضحه حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **(أن الله تعالى وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة، وعن الحامل والمرضع الصوم)**[٢].

وقد ذكر الحكماء الكثير من أحكام الرضاع ومتعلقاته وحكمه مما يدل على أهمية الرضاع وعميق أثره في إنبات الوليد وتكامل بنيانه، من مثل ما ذكره ابن القيم إذ قال: (ينبغي أن يكون رضاع الولد من غير أمه بعد وضعه يومين أو ثلاثة وهو الأجود، لما في لبنها ذلك الوقت من الغلظ والأخلاط، بخلاف لبن من قد استقلت على الرضاع وكل العرب تعتني بذلك حتى تسترضع أولادها عند نساء البوادي، كما استرضع النبي ﷺ في بني سعد)[٣].

---

(١) سورة الطلاق: الآية ٦.

(٢) رواه أصحاب السنن: ابو داود في كتاب الصوم (٢٤٠٨)، والترمذي في كتاب الصوم (٧١٥). والنسائي في كتاب الصيام (٢٢٧٤)، وابن ماجة في كتاب الصيام (١٦٦٧) وأحمد في مسند الكوفيين (١٨٢٧٠).

(٣) تحفه المودود، ص ١٤٠.

٣- الحضانة وعدم الإهمال:

للطفل -كما هو معلوم- حاجات أخرى كثيرة غير الرضاعة، إذ لابد له من رعاية شاملة لساعات نومه ويقضته، ولأوقات جوعه وريه، ولنظافته ومداعبته والحنو عليه ودفع الأذى عنه، ولقد كانت لنبي ﷺ حاضنة مشفقة هي أم أيمن وكانت من الحبشة وهي أم أسامة بن زيد رضي الله عنهما[١]، وكانت قد حضنته أيضاً السعدية وكان ﷺ يقول: **كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر**[٢].

والحضانة جزء من الكفالة والنصح كما في قوله تعالى في شأن أخت موسى عليه السلام: ﴿ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[٣].

وفي تغذية الطفل بعد الفطام يقول الإمام ابن القيم: وينبغي تدريجهم في الغذاء، فأول ما يطعمونهم الغذاء اللين، فأطعموهم الخبز المنقع في الماء الحار، واللبن والحليب، ثم بعد ذلك الطبيخ، والأمراق الخالية من اللحم، ثم بعد ذلك ما لطف جداً من اللحم بعد إحكام مضغه أو رضه رضا ناعماً[٤].

---

(١) أنظر مناقبها في الصحيحين: البخاري في كتاب المناقب، حديث رقم (٣٧٣٧)، ومسلم في كتاب الجهاد حديث رقم (١٧٧١).

(٢) رواه أحمد يف مسند الشامين (١٦٩٩٠).

(٣) سورة القصص: الآية ١٢.

(٤) تحفة المودود، ص ١٤٠.

ومن مسئوليات الأبوين لا سيما الأم حين بلوغ الطفل عاماً ونحوه وبدئه بالحركة والمشي وقايته من الأخطار التي قد يقع فيها كاقترابه من لهب النار واختناقه بالوسادة ولعبه بسكين المطبخ واقترابه من فوهة خزان المياه وخروجه إلى الشارع حيث خطر السيارات ونحو ذلك كثير معروف، والمسئول الأول عن ذلك الأم بحكم مكثها مع الولد في البيت أكثر من الأب وللصوقه بها في سني عمره الأولى.

ولقد وجه النبي ﷺ إلى الأخذ بمبدأ الوقاية والحيطة قبل وقوع الخطر مما هو من مبادئ الرعاية الأسرية، ففي حديث جابر رضي الله عنه قال قال ﷺ: **(أطفئوا المصابيح إذا رقدتم وغلقوا الأبواب وأوكوا الأسقية وخمروا الطعام والشراب -وأحسبه قال- ولو بعود تعرضه عليه)** [١]. وفي حديث آخر عنه: **(لا ترسلوا مواشيكم وصبيانكم إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء فإن الشياطين تنبعث إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء)**[٢].

وفي حديث سالم عن أبيه مرفوعاً: (لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون) [٣].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الأشربة (٥٦٢٤)، ومسلم في كتاب الأشربة (٢٠١٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب بدء الخلق (٣٢٨٠)، ومسلم في كتاب الأشربة (٢٠١٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الإستئذان (٦٢٩٣)، ومسلم في كتاب الأشربة (٢٠١٥).

فهذه النصائح النبوية وهي نصائح ذهبية تقي بـإذن الله مـن مصـارع السوء ومن مواطن الخطر: فإطفاء المصابيح حين الإستغناء عنـها، وإغـلاق الأبواب والنوافذ ساعة النوم وقاية من الأخطار، وإيكاء الأسقية أي إحكام غلقها وتغطية الأطعمة والأشربة، وقاية لها من الشيطان فإنه لا يكشف غطـاء ولا يحل وكاء، وفيه كذلك كما يقول النووي صيانته من النجاسة والمقذرات، ومـن الحشرات والهوام فربما وقع شئ منها فيه فشربه وهو غـافل أو فـي الليـل فيتضرر به[1].

وكف الصبيان والجواري الصغار عن الخروج والبروز إلـى خـارج البيت ساعات الليل أو ساعات النهار لا سيما وقت القيلولة كي يكون في رعاية الأم وفي كنفها وملء سمعها وبصرها.

ففي التوجيه النبوي الكريم وقاية وصيانة ضد الأمراض والأخطار التـي قد يكون الصبيان فريسة سهلة لها لقلة خبرتهم وكثرة فضولهم ولعبهم.

٤- الرعاية الصحية:

يحض الدين الحنيف على الرعاية الصحية، وأن يكون المسلم قوياً فـي بدنه وعقله كقوته في إيمانه ويقينه، وفي هذا حديث أبي هريرة ﵁ عن النبـي ﷺ: **(المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيـف وفـي كـل خير)**[2].

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٣/١٩٥.

(٢) رواه مسلم في كتاب القدر حديث رقم (٢٦٦٤) وابن ماجة في المقدمة حديث (٧٩).

وتشمل توجيهات الإسلام في هذا جانب الوقاية، وجانب العلاج، فالولد أمانة ووديعة عند والديه لا يجوز تركه وإهماله دون رعاية صحية وتغذية سليمة كي يكون قوي البنيان سليم الحواس وافر العقل.

- في جانب الوقاية:

ينبغي أن تكون الأم من حيث الوعي الصحي والدراية بمبادئ الوقاية الصحية في مستوى مرض، وكما تقدم في الحديث النبوي الشريف من تغطية الأطعمة والأشربة وإيكاء الأسقية وقاية من الأمراض وأسبابها كوقوع الذباب والحشرات وغيرها، وأيضاً فقد وجه النبي ﷺ وأرشد إلى منع أفراد الأسرة من الشرب من أفواه القرب أو ما في حكمها كالأواني الكبيرة التي إن استعملها الجميع بالشرب من أفواهها دون استعمال الأكواب كانت وسيلة للعدوى، **(فلقد نهى ﷺ عن الشرب من فم القربة أو السقاء)** رواه أبو هريرة رضي الله عنه [١]، وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: **(نهى النبي ﷺ عن اختناث الأسقية أن يشرب من أفواهها)** [٢].

وفي حديث أبي قتادة عن أبيه رضي الله عنه مرفوعاً: **(إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء، وإذا بال أحدكم فلا يمسح ذكره بيمينه، وإذا تمسح أحدكم فلا**

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأشربة (٥٦٢٧).

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأشربة (٥٦٢٦)، ومسلم في كتاب الأشربة (٢٠٢٣).

يتمسح بيمينه)[١].

ومن الحكم في النهي عن التنفس في الإناء كما يقول ابن حجر: لأنه ربما حصل له تغير من النفس إما لكون المتنفس كان متغير الفم بمأكول مثلاً، أو لبعد عهده بالسواك والمضمضة، أو لأن النفس يصعد ببخار المعدة، والنفخ في هذه الأحوال كلها أشد من التنفس[٢].

وفي الحث على النظافة والوضوء وإسباغه والاغتسال وموجباته والتطيب واستخدام السواك عند كل وضوء نصوص شرعية متضافرة لا يتسع المقام لإيرادها، وهي بمثابة القواعد الصحية الوقائية في نظافة وطهارة البدن والثوب وكل ما يتعلق بحياة المسلم.

ومن الوقاية ما استحدث في عصرنا من التطعيمات التي يأخذها الولدان منذ الولادة وإلى دخول المدارس تقيهم بإذن الله كثيراً من الأوبئة والأمراض والإعاقة والقيام بتطعيمهم من واجبات الآباء.

ومن الوقاية -أيضاً- التحصن بالأوراد الشرعية ضد الأمراض النفسية والعقلية كالصرع، وضد مس الجان ومن ذلك أن النبي ﷺ كان إذا دخل

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الأشربة (٥٦٣٠) واللفظ له، ومسلم في كتاب الطهارة (٢٦٧).

(٢) الفتح ٩٢/١٠.

الخلاء قال: (**اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث**) رواه أنس ﷺ[١]. والخبث ذكور الجن والخبائث إناثه[٢].

أما جانب العلاج والاستشفاء: فليس يقل أهمية عن الوقاية، فالولد المريض لا يجوز إهماله وتعريضه للهلكة، والاستشفاء من جملة الأسباب التي أمر بها الشرع بعد تعلق القلب بالله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [٣].

وفي حديث أنس ﷺ قال قال النبي ﷺ: (**إن أمثل ما تداويتم به الحجامة والقسط البحري، وقال: لا تعذبوا صبيانكم بالغمز من العذرة وعليكم بالقسط**) [٤].

قال ابن الأثير: القسط: عقار معروف في الأدوية طيب الريح يبخر به النفساء والأطفال[٥].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الدعوات (٦٣٢٢)، ومسلم في كتاب الحيض (٣٧٥).

(٢) المنهاج للنووي ٤/٣١١.

(٣) سورة الشعراء: الآية ٨٠.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الطب حديث (٥٦٩٦)، ومسلم في كتاب المساقاة حديث رقم (١٥٧٧).

(٥) النهاية ٣/٢٨٤ باب القاف مع السين.

ووقائع الاستشفاء على عهد النبي ﷺ تدل على أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يداوون صبيانهم، ويحظون بتوجيه من النبي الكريم ﷺ.

ومن الأمثلة عليه أن أم قيس وكانت من المهاجرات الأول اللائي بايعن رسول الله ﷺ، وهي أخت عكاشة بن محصن أنها أتت رسول الله ﷺ بابن لها قد علقت عليه من العذرة، والعذرة بالضم وجع في الحلق يهيج من الدم وقيل هي قرحة تخرج في الخرم الذي بين الأنف والحلق تعرض للصبيان عند طلوع العذرة فتعمد المرأة إلى خرقة فتفتلها فتلاً شديداً وتدخلها في أنفه فتطعن ذلك الموضع فينفجر مه دم أسود وربما أقرحه، وذلك الطعن يسمى الدغر، يقال عذرت المرأة الصبي إذا غمزت حلقه من العذرة[١]، فقال ﷺ: **(اتقوا الله! على ما تدغرون أولادكم بهذه الأعلاق؟ عليكم بهذا العود الهندي فإن فيه سبعة أشفية منها ذات الجنب)** [٢].

ومن الاستشفاء الاستقراء بالرقى المشروعة، كالاسترقاء بسورة الفاتحة،وبالمعوذتين، وبآية الكرسي وبخواتيم سورة البقرة، والقرآن كله شفاء، قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [٣].

---

(١) النهاية ٨٥/٣ باب العين مع الذال.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الطب (٥٧١٨) ومسلم في كتاب السلام (٢٢١٤).

(٣) سورة الإسراء: الآية ٨٢.

وقـــال: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [(١)]. أي: أن القرآن هدى وشفاء -لكل من آمن به- من الشك والريب والأوجاع[(٢)].

والقرآن العظيم كله شفاء ورحمة من الأمـــراض الحسـية والمعنويـة "العضوية والنفسية" ومما ورد في الاستشفاء بالقرآن:

- سورة الفاتحة التي رقى بها الصحابة رجلاً لدغته عقرب فشفاه الله وقـام كأنما نشط من عقال فأقرهم النبي ﷺ كما في حديث أبـي سـعيد الخـدري رضي الله عنه[(٣)].

- سورتا الفاتحة والبقرة: وفيهما حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن جبريل عليـه السلام قال للنبي ﷺ: **(أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلـك، فاتحـة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لا تقرأ بحرف منها إلا أعطيته)** [(٤)].

- سورة البقرة وفي شأنها حديث أبي هريـرة رضي الله عنه عـن النبـي ﷺ: **(لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة**

---

(١) سورة فصلت: الآية ٤٤.

(٢) تفسير القرطبي ٥١/٣٦٩.

(٣) الحديث في ذلك متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الطـب حديـث رقـم (٥٧٤٩) ومسلم في كتاب السلام حديث رقم (٢٢٠١).

(٤) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين حديث (٨٠٦) والنسائي فـي كتـاب الافتتـاح حديث (٩١٢).

البقرة)[١].

- سورة الكهف: وفيها حديث أبي الدرداء ﷺ عنه ﷺ: **(من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال)**. وفي رواية **(من حفظ من خواتيم سورة الكهف)** [٢].

وخواتيم سورة الكهف إذا قرأها المسلم قبل النوم ونوى ساعة الاستيقاظ قام على ما نوى، وهو مجرب كما ذكره جمع من العلماء منهم الألوسي في تفسيره[٣]، وقد جربته غير مره.

- سورتا المعوذتين تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: **كان ﷺ إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت أنفث عليه وأمسه بيد نفسه لأنها كانت أعظم بركة من يدي**[٤].

ومن الأوراد المشروعة في الرقية ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول: **(إن أباكما كان يعوذ بهما**

---

(١) رواه مسلم في كتاب المسافرين حديث (٧٨٠) والترمذي في كتاب فضائل القرآن حديث (٢٨٧٧)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين حديث (٨٠٩) والترمذي في كتاب فضائل القرآن حديث (٢٨٨٦) واللفظ له، وأبو داود في كتاب الملاحم حديث (٤٣٢١) وله شاهد عند ابن ماجة في كتاب الفتن حديث (٤٠٧٥).

(٣) أنظر تفسير روح المعاني للألوسي ١٥/٢٠٠.

(٤) رواه مسلم في كتاب السلام حديث (٢١٩٢) وأبو داود في كتاب الطب (٣٩٠٢) وابن ماجة في كتاب الطب حديث (٣٥٢٩).

إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة) (١).

وقال ابن حجر: الهامة: واحدة الهوام وهي ذوات السموم وقيل كل ماله سم يقتل وأما ما لا يقتل فيقال لها السوام، وقوله (لامة) كل داء وآفة تلم بالإنسان من جنون وخبل) (٢).

ولقد رأى النبي ﷺ في بيت أم سلمة رضي الله عنها جارية في وجهها سعفة(٣)، فقال: **(استرقوا لها فإن بها النظرة)** (٤).

وإن من مسئوليات الأبوين لا سيما الأم حفظ هذه الأدعية النبوية الشريفة للتحصن بها وتعويذ الأولاد بها عند الاقتضاء حفظاً لهم من العين والحسد واستشفاء لهم من كل داء وكل ما يضير.

---

(١) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء (٣٣٧١)، وأبو داود في كتاب السنة حديث (٤٧٣٧)، والترمذي في كتاب الطب (٢٠٦٠) وقال حديث حسن صحيح، وابن ماجة (٣٥٢٥)، وأحمد في مسند بني هاشم (٢٠٠٨).

(٢) الفتح ٦/٤١٠.

(٣) سعفة: أي صفرة وشحوب.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الطب (٥٧٣٩)، ومسلم في كتاب السلام (٢١٩٧).

وكان النبي ﷺ يرقي برقيته المأثورة عنه كما يرويها أنس رضي الله عنه: **(اللهم رب الناس مذهب البأس أشف أنت الشافي لا شافي إلا أنت شفاء لا يغادر سقماً)** (١).

وقد جمع بعضهم أدعية الاستشفاء والرقى من الكتاب والسنة في كتيب وجيز نفيس يجمل اقتناؤه والاستفادة منه(٢).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الطب حديث (٥٧٤٢) ومسلم في كتاب السلام (٢١٩١).

(٢) الدعاء من الكتاب والسنة –سعيد علي القحطاني ط مؤسسة الجريسي للتوزيع – الرياض.

المبحث الثاني
واجبات الأب - سد حاجات الأولاد الفطرية والمعاشية

يقع على كاهل الأب الواجب الأكبر في سد حاجات الأولاد المتنوعة فهو الكافل والراعي والقيم والمعيل بعد توفيق الله وعونه، ودور الام في سد حاجات الطفل المعاشية دور مساند وللأب دور رائد غذ عليه أن يكد ويعمل ليعيل أسرته ويقيم أودهم ويسد حاجاتهم.

وكما حرم الدين الحنيف على الأبوين وغيرهم قتل الأولاد أو مضرتهم حيث قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾[1]، فقد الزم الأبوين كل في مجال اختصاصه بما يجب عليه تجاه الأولاد والأهل حيث قال ﷺ: (**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راعي ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول على رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته**) رواه ابن عمر رضي الله عنهما[2].

---

(١) سورة الإسرا: الآية ٣١.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب اجمعة (٨٩٣) ومسلم في كتاب الإمارة (١٨٢٩).

فمسئوليات الأب التي أجملها هذا الحديث الشريف المنيف كثيرة متنوعة، أورد فيما يلي أبرزها:

- نفقة المرضع.

وجعلها واجبة على الأب، قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ ﴾ (١).

أي يلزم الوالد باعتبار الولد منسوباً إليه بالإنفاق على الأمهات بإطعامهن وكسوتهن على قدر طاقته بلا إسراف ولا تقصير، فإنه لا يلزم إنسان إلا بما يقدر عليه ويستطيعه، ولا ينبغي أن يكون سبباً في إلحاق الضرر بأمه بأن يهضم حقها في نفقتها أو حضانة ولدها، كما لا ينبغي أن يكون الولد سبباً في الحاق الضرر بأبيه بأن يكلف فوق طاقته أو يحرم حقه في ولده، فإذا مات الأب أو كان فقيراً عاجزاً عن الكسب كانت النفقة على وارث الولد لو كان له مال(٢).

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٣٣.

(٢) تفسير المنتخب – وزارة الأوقاف المصرية، ص ٥٥.

٢- الإطعام والكسوة والسكني:

من الحاجات الضرورية البدهية الإطعام والكسوة والسكني، وهي من نوع النفقة الواجبة على الأب على حسب قدرته من يسار أو إقتار، دون إسراف ولا بخل قال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧﴾[1]

وقد تقدم إيراد النصوص الدالة على فضل الإنفاق على الأهل وإعالة الوالد من بنين وبنات وأن ذلك يكتب في موازين المسلم مع توخي النية الصالحة في ذلك، فمن خصائص الإنفاق الواجب في الإسلام أنه عبادة يثاب فاعلها ويعاقب تاركها، لذا حرم الدين الحنيف قتل الولد وجعله من الكبائر، فعن عبدالله بن مسعور رضي الله عنه قال: **سألت النبي ﷺ: أي الذنب أعظم قال: (أن تجعل لله نداً وهو خلقك)، قلت: إن ذلك لعظيم، قلت ثم أي؟ قال: (وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك)، قلت ثم أي؟ قال: (أن تزاني حليلة جارك)**[2].

وجدير بالتنوية هنا أن إنفاق الوالد المسلم على أولاده وأهل بيته من القربات إلى الله تعالى، فكل درهم ينفقه يكتب له فيه أجر مضاعف، وفي

---

(١) سورة الطلاق: الآية ٧.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن (٤٤٧٧) ومسلم في كتاب الإيمان (٨٦).

حديث ابي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: (**ألا رجل يمنح أهل بيته ناقة تغدو بعس وتروح بعس إن أجرها لعظيم!**) [١]. وهذا في الإحسان إلى بيت من بيوت المسلمين حيناً من الدهر، فكيف بمن ينفق على أهل بيته ويحسن إليهم سنوات عديدة وأزمنة مديدة وهم أولى بالرعاية والأجر فيهم أعظم!؟

من واجبات الأب تبعاً لقوامته على من تحت ولايته من زوجه وبنين وبنات وغيرهم أن يلبي حاجاتهم الصحية فلا يصح إهمالهم حال المرض ولا التقتير في علاجهم بخلاً وشحاً أو أنفة وبغضاً، قال النبي ﷺ: (**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**) وذكر من ذلك (**والرجل راع في أهله وولده ومسئول عن رعيته**) رواه ابن عمر رضي الله عنهما[٢].

وما من داء إلا وله شفاء فعن أبي هريرة ﷺ قال قال ﷺ: (**ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء**) [٣]، والاستشفاء متعلق بالحقوق التي لابد من أدائها كغيره من الحقوق النفقة والكسوة فوق أنه من مقومات الإنسانية.

ومن الرعاية الصحية:

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الهبة حديث (٢٦٢٩) ومسلم في كتاب الزكاة (١٠١٩) واللفظ له.

(٢) متفق عليه:

(٣) رواه البخاري في كتاب الطب (٥٦٧٨) وابن ماجة في كتاب الطب (٣٤٣٩).

- ملاحظة تغيرات النمو الجسمي للمواليد:

ففي فطامهم يراعى التدرج، وإذا حضر وقت نبات الأسنان فينبغي -كما يقول ابن القيم- أن يدلك لثاهم كل يوم بالزبد والسمن ويمرخ خرز العنق تمريخا كثيرا، ويحذر عليهم كل الحذر وقت نباتها إلى حين تكاملها وقوتها من الأشياء الصلبة، ويمنعون منها كل المنع لما في التمكن منها من تعريض الأسنان لفسادها وتعويجها وخللها(١).

وفي التغذية الصحية يراعى الإعتدال فلا يمكنون من الشبع المفرط ولا يتركون جواعا، (فمن سوء التدبير للأطفال أن يمكنوا من الطعام وكثرة الأكل والشرب، ومن أنفع التدبير لهم أن يعطوا دون شبعهم ليجود هضمهم وتعتدل أخلاطهم وتقل الفضول في ابدانهم وتصح أجسامهم وتقل امراضهم لقلة الفضلات في المواد الغذائية) (٢).

وفي التدريب على المشي: ينبغي أن يحذر أن يحمل الطفل على المشي قبل وقته لما يعرض في أرجلهم بسبب ذلك من الانفتال والاعوجاج بسبب ضعفها وقبولها لذلك.

وفي الرعاية العامة: يراعى في الطفل وقت نومه وراحته وساعات

---

(١) تحفه المودود، ص ١٤١.

(٢) المرجع السابق، ص ١٤٣-١٤٤.

استرواحه ولعبه، وأن لا يهمل علاجه وإعتلاله، ولا يحبس عنه قوتـــه وأن لا يظل محتقناً ببول أو غائط فإن ذلك من المضرات.

وفي العلاج: والإستشفاء يسلك به أبواه كل مسلك مشروع كما تقدمـــت الإشارة إليه.

٤- التعليم العام :

من حقوق الولد على ابويه أن يعلماه دينه وأن يفقـــهاه أحكـــام الديـــن لاسيما ما يحتاج إليه كأحكام الطهارة والعبادات المفروضة وجملـــة الحقـــوق والآداب والأخلاق وهو ما لايسع المسلم جهله ولا يعذر بذلك والتعليـــم العـــام على ما هو متاح في هذا العصر لكل أحد نعمة من الله وفضل، فبالتعليم تمحـى رزية الامية وتزول الضعة ويرتفع شأن المتعلم، قـــال تعـــالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ﴾ (١).

وقـــال: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ (٢).

---

(١) سورة المجادلة: الآية ١١.

(٢) سورة الزمر: الآية ٩.

ومن السنة حديث أنس ﷺ عن النبي ﷺ: (طلب العلم فريضة على كل مسلم) [١]، فالدين الحنيف دين علم يحث عليه ويأمر به وينوه بقيمة العلماء وفضلهم.

وتأمل كيف نوه القرآن العظيم بقيمة وأهمية مصادر التلقي والتعليم وهي السمع والبصر والفؤاد، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ﴾ [٢].

ثم أنظر كيف اهتم النبي ﷺ بتعليم الصبيان القراءة والكتابة وهو ما يسمى اليوم بمحو الأمية وهو أقل الواجب في مجال العلم والتعليم قال ابن عباس ﷺ: (كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة)، قال فجاءهم غلام يوماً يبكي إلى ابيه فقال: ما شأنك؟ قال: ضربني معلمي! قال: الخبيث يطلب بذخل بدر؟ والله لا تأتيه أبداً![٣].

والذحل العداوة، وطلل المكافأة بجناية كما يقول الأثير.

---

(١) رواه ابن ماجة في المقدمة حديث رقم (٢٢٤).

(٢) سورة النحل: الآية ٧٨.

(٣) رواه أحمد في مسند بني هاشم (٢١٠٦) وانظر النهاية لأبن الأثير ٢/٤٥.

وبقاء الولد جاهلاً أمياً محروماً من نعمة العمل، وتعطله عن مواصلة المشوار التعليمي إنما يكون بتقصير الأبوين من جهتين: آما بإهمال أمره والغفلة عن الحاقه بإحدى المدارس، والتعليم العام في عصرنا مجاني كما هو في المملكة بلد العلم وموئل طلابه ومنارة بثه، أو يكون برسوم رمزية كما هو الحال في كثير من بلاد العام، فحرمان الولد من العلم ليس له تفسير سوى تقصير الأبوين وهو تقصير شنيع، وإما بإهمال متابعة الولد في دروسه وحضوره وانتظامه في المدرسة ومراقبة جلسائه ونحو ذلك مما يعد من المهام التربوية المساندة لدور المعلم والمربي.

ورب إهمال من الأبوين أو من أحدهما جر شقاوة على حياة الولد فلا عرف دينه ولا نعم بالحياة الكريمة، بل عاش أمياً أو في حكم الأمية، وفتن بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل.

ومعظم مسالك الحياة الاجتماعية في عصرنا تؤسس على ركيزة التربية والمعرفة والمؤهلات العلمية! والحياة السوية لا تكون بغير معرفة العبد ربه ودينه ونبيه ﷺ، والقيام بمستلزمات تلك المعرفة.

إن التعليم العام حق للولد ينبغي للآباء أن لا يفرطوا فيه وأن لا يتهاونوا في تحصيله له، فإن عصرنا عصر العلوم والمعارف، وقد غدت الحياة المعاصرة مؤسسة على إشاعة المعرفة وتسهيل متعلقات التعليم.

٥- الترفيه :

وحاجة الأولاد إليه لا سيما الأطفال تكاد تكون أساسية، وكذلك الأولاد المراهقون، ولقد كان النبي ﷺ وهو قدوة المؤمنين يداعب الأولاد ويوفر لهم كل أسباب ومتطلبات الترفيه والترويح المباح، قال الإمام البخاري رحمه الله: باب الإنبساط إلى الناس وقال ابن مسعود رضي الله عنه: خالط الناس ودينك لا تكلمنه والدعابة مع الأهل: عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ وكان لي صواحب يلعبن معي فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه! [١]، فيسربن إلى فيلعبن معي[٢].

والترويح مطلوب في المناسبات والأعياد والأنكحة ونحوها.

وفي حديث الربيع بنت معوذ بن عفراء رضي الله عنها قالت: جاء النبي ﷺ فدخل حين بني علي فجل على فراشي كمجلسك مني فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر إذ قالت إحداهن: وفينا نبي

---

(١) ينقمعن: يغبن ويدخلن في بيت أو من وراء ستر، يستر بهن: يبعثهم ويراسلهن. (النهاية ١٦٧/٢، ٣١١/٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الأدب (٦١٣٠)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة (٢٤٤٠).

يعلم ما في غد! فقال: **(دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين)** [١].

وعليه فلا يهمل الترويح أو الترفيه بالكلية، ولا تضيع فيه جل الأوقات، ولا يحرم منه الصبيان والجواري، ولا يكون فيما ينافي الأخلاق والآداب، فالاعتدال والتوسط هو المطلوب وبالله تعالى التوفيق.

٦- الرعاية النفسية:

غدت الصحة النفسية في عصرنا هاجس المجتمعات، وأصبح الإعتلال النفسي من مظاهر المدنية، ولذلك اسبابه الكثيرة لعل من أهمها تقصير كثير من المسلمين في تزكية نفوسهم بصنوف الطاعات والقربات، وانشغال الكثيرين عن ذكر الله تعالى.

وفيما يلي أهم معالم الرعاية النفسية التي يحتاجها الولد منذ طفولته فمراهقته إلى شبابه وتكامل عقله وعواطفه وجسمه، فمن ذلك:

- تجنب الأهتمام المبالغ فيه، ومنه الحماية الزائدة والتدليل والتسلط والسيطرة، والغلو في التربية على القيم، والقسوة وكلها اتجاهات غير سوية، ينتج عنها جملة من الإنحرافات السلوكية لدى الأطفال والمراهقين مثل نقص الشعور بالأمن، والشعور بالوحدة، والخجل، وسوء التوافق، ونقص القدرة على

---

(١) رواه البخاري في كتاب المغازيحديث (٤٠٠١)، وابو داود في كتاب الآدب حديث (٤٩٢٢) والترمذي في كتاب النكاح حديث (١٠٩٠) وابن ماجه في كتاب النكاح حديث (١٨٩٧) وأحمد في مسند الانصار حديث (٢٥٧٧٩).

مواجهة الضغوط البيئية ومواجهة الواقع، والاستسلام ولخضوع والتمرد والمغالاة في إتهام الذات والتردد في اتخاذ القرار إلى غير ذلك مما يذكره علماء النمو النفسي(١).

- تجنب الإهمال، والتساهل في القيم، والنبذ، واضطراب العلاقات بين الوالدين، وانحراف الوالدين أو احدهما أخلاقياً، وكلها مؤثرات سلبية ينتج عنها لدى الأولاد: القلق والتوتر والحرمان العاطفي، والأحباط، والشعور بالنقص، واللامبالاة بالآخرين، وغير ذلك مما يعد من السلوك النفسي غير السوي(٢).

- وهناك دقائق كثيرة تخفي على أكثر الآباء والأمهات مما يعد من الرعاية النفسية للوالد، من مثل ما ذكره العلامة ابن القيم في قوله: وينبغي أن لا يشق على الأبوين بكاء الطفل وصراخه، ولا سيما لشربه اللبن إذا جاع فإنه ينتفع بذلك البكاء إنتفاعاً عظيماً، فإنه يروض أعضاءه ويوسع أمعاءه ويفسح صدره ويسخن دماغه ويحمي مزاجه ويثير حرارته الغريزية، ويحرك الطبيعة لدفع ما فيها من الفضول، ويدفع فضلات الدماغ من المخاط وغيره(٣).

وقال: وينبغي أن يوقي الطفل كل أمر يفزعه من الأصوات الشديدة الشنيعة والمناظر الفظيعة والحركات المزعجة، فإن ذلك ربما أدى إلى فساد قوته العاقلة لضعفها، فلا ينتفع بها بعد كبره، فإذا عرض له عارض من ذلك

---

(١) علم نفس النمو، ص ١٨١.

(٢) المرجع السابق، ص ١٨١ و ٣٨٩.

(٣) تحفه المودود، ص ١٤١.

فينبغي المبادرة إلى تلافيه بضده وإيناسه بما ينسيه، وأن يلقم الثدي في الحال، ويسارع إلى إرضاعه ليزول عنه ذلك المزعج له، ولا يرتسم في قوته الحافظة فيعسر زواله، ويستعمل تمهيده بالحركة اللطيفة إلى أن ينام فينسى ذلك، ولا يهمل هذا الأمر فإن في إهماله إسكان الفزع والروع في قلبه فينشأ على ذلك، ويعسر زواله ويتعذر(١).

وإذا بلغ الصبي أو الفتاة الحلم أو راهقاً البلوغ فينبغي أن تكون معاملتها على نحو أخر فيه إشعار لهما بالإستقلال مع التوجيه غير المباشر وبأسلوب المؤاخاة والمشاورة، لا باسلوب الأمر والقهر! وذلك لتغير مداركهما وتبدل إنفعالاتها عما كانا عليه في سن الطفولة، وتباين كبير بين أسلوب التعامل مع طفل يفع ومراهق كبرت لديه الأحلام وتنامت عنده المحسوسات والمدركات.

وهذه أمور يغفلها جل الآباء فتأتي آثارها وإنعكساتها سلبية على سلوكيات الولد، لذا يهتم النفسيون كثيراً بفترة المراهقة التي يمر بها الولد وهو يرى في ذات نفسه وعواطفه وجسمه تبدلات كثيرة متلاحقة، ينبغي للآباء مراعاتها كي يكون النمو النفسي والعاطفي والاجتماعي سوياً مرضياً بعيداً عن الإنحرافات السلوكية والإضطرابات النفسية.

---

(١) المرجع السابق، ص ١٤١-١٤٢.

٧- تعليم المهن والحرف والصناعات:

من ضرورات الحياة أن تكون للإنسان مهنة يقتات منها ويصون بها نفسه عن ذل السؤال والعوز، وليخدم بها دينه ووطنه وأمته فديننا دين عمل وجد وجهاد لا يحبذ الكسل ولا يرضى بالركون إلى الدعة والبطالة تشهد بذلك عامة النصوص الحاضة عليه الأمرة بالضرب في فجاج الأرض ومناكبها وعمارتها واستخراج خيراتها، مثل قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [١].

وقال: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ [٢].

ولقد كان الأنباء عليهم السلام وهم قدوة المؤمنين يأكلون من كسب أيديهم، كما قال تعالى عن نبيه داود وكان حداداً: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ (٨٠) ﴾ [٣]، وقال ﷺ: **(كان داود عليه السلام لا يأكل إلا من عمل يده)** [٤].

---

(١) سورة الملك: الآية ١٥.

(٢) سورة الجمعة: الآية ١٠.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٨٠.

(٤) رواه البخاري في كتاب البيوع حديث رقم (٢٠٧٢).

وقد حض النبي ﷺ على الكسب ونهى عن البطالة وتكفف الناس فقال: **(لأن يأخذ أحدكم أحبلاً فيأخذ حزمة من حطب فيبيع فيكف الله به وجهه خير من أن يسأل الناس أعطي أو منع)** [١].

فمن واجبات الأب في هذه المسئولية:

أ- تعليم ولده حرفه أو مهنة:

كي لا يكون عالة على غيره وقديماً قالوا (صنعة في اليد أمان من الفقر) وقال بعض الصحابة: أرى الرجل فيعجبني فإذا قيل لا صنعة له سقط من عيني!. فالحياة الكريمة الأبية أن يكون السلم غير مفتقر إلا إلى الله ، وأن يكون باذلاً لا مبذولاً له، وكثير من أخلاق الإسلام لها صلة بالاحتراف والاسترزاق كالعفاف والسخاء والعطاء والمواساة وإكرام الضيف.

ب- تبصيره بالجانب التعبدي في الصناعات:

وهو ما يغفل عنه الكثيرون، فبصلاح النية وبقصد الإستعفاف ونفع المسلمين وغيرهم تصبح المهن ولحرف والصناعات عبادة يؤجر عليها المسلم،

---

(١) رواه البخاري في كتاب المساقاة (٢٣٧٣)، وابن ماجة في كتاب الزكاة (١٨٣٦)، وأحمد في مسند العشرة (١٣٣٣).

وبفقه هذا الأصل يصبح المسلمون من أرباب الصناعات في العالم بـدلاً مـن كونهم أمة مستهلكة في الأغلب، وقد نبه إلى معنى التعبـد فـي الصناعـات علمـاء الإسلام، فهذا ابن تيمية -رحمه الله- يقول: (إذا احتاج المسلمون إلـى الصناعات كالفلاحة والنساجة والبناية، فعلى أهلها بذلها لهم بقيمتها، كما عليهم بذل الأمول التي يحتاج إليها بقيمتها إذ لا فرق بين بذل الأموال وبذل المنـافع، بل بذل المنافع التي لا يضر بذلها أولى بالوجوب والمعاوضة، ويكون بـذل هذه فرضاً على الكفاية، وقد ذكر طائفة من العلماء من أصحابنا وغـيرهم: أن أصول الصناعات كالفلاحة والحياكة والبناية فرض على الكفاية، والتحقيق أنها فرض عند الحاجة إليها وأما مع إمكان الاستغناء عنها فلا تجب) إلـى آخـر كلامه.. إلى أن قال: (ولكن أكثر الناس يفعلون هذا بحكم العـادات والطبـاع وطاعة السلطان غير مستشعرين ما في ذلك من طاعة الله ورسوله، وطاعـة أولي الأمر فيما أمر الله بطاعتهم فيه) [1].

ج- تعليمه الأحكام المتعلقة بالحرف والصناعات:

ما يباح منها وما يحرم، وما يجوز منها وما لا يجور، فـلا يجـوز - علـى سبيل المثال- بيع الخمور ولا التماثيل ولا أكل الربا، وورد النهي عـن

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٩/١٩٤.

ثمن الكلب ومهر البغي، كما ورد النهي عن الغش، والبيوع المحرمة واحتكار الطعام للإضرار بالآخرين وتصريف البضاعة بالحلف الكاذب، وتلقي الركبان، وورد الأمر بإيفاء المكاييل ولموازين وصدق المعاملة والأمانة، كما ورد فضل إقالة المسلم وفضل التاجر الصدوق، وفضل المسلم السمح في بيعه وشرائه وقضائه وإقتضائه.. إلخ.

هـ - مراعاة قدراته العقلية وميوله وملكاته:

فلا يحمل على تعلم صناعة أو حرفة هو لها كاره! قال ابن القيم: (ومما ينبغي أن يعتمد حال الصبي وما هو مستعد له من الأعمال ومهيأ له منها، فيعلم أنه مخلوق له، فلا يحمله على غيره ما كان مأذوناً فيه شرعاً، فإنه إن حمله على غير ما هو مستعد له لم يفلح فيه وفاته ما هو مهيأ له! فإن رآه حسن الفهم صحيح الإدراك جيد الحفظ واعياً فهذه من علامات قبوله وتهيئه للعلم لينقشه في لوح قلبه ما دام خالياً، فإنه يتمكن فيه ويستقر، ويزكو معاً، وإن رآه بخلاف ذلك من كل وجه وهو مستعد للفروسية وأسبابها من الركوب والرمي واللعب بالرمح وأنه لانفاذ له في العلم ولم يخلق له مكنه من أسباب الفروسية والتمرن عليها فإنه أنفع له وللمسلمين، وإن رآه بخلاف ذلك وأنه لم يخلق لذلك ورأي عينه مفتوحة إلى صنعة من الصنائع مستعداً لها قابلاً لها وهي صناعة مباحة نافعة للناس فليمكنه منها. هذا كله بعد تعليمه له ما يحتاج

إليه في دينه فإن ذلك ميسر على كل أحد لتقوم حجة الله على العبد، فإن له على عباده الحجة البالغة كما له عليهم النعمة السابغة) (١).

هذا -وكل من الأب والأم دور لا يكمل ولا يزكو إلا بتعاون صاحبه لذا جعل الشارع تربية الولد مسئولية الأبوين معاً فقال: (فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) ومهما كانت التربية حسنة أو ذميمة فإن الأبوين يتحمل كل واحد منهما كفلا من تبعاتها.

---

(١) تحفة المودود، ص ١٤٧-١٤٨.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخل نطاق الأسرة

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سـمة المؤمنيـن، قـال تعـالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [١].

وفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما أنها شعار المجتمع الإسلامي كله، إذ يجب أن تكون بين المسلمين أمة تقوم بهذا الواجب الجليل عملا بقول الباري جل ذكره: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [٢].

فإن هذه الفريضة كذلك في حق الأبوين وغيرهما من أفراد الأسرة أكد كل بحسب استطاعته وولايته، لا سيما الأب بمقتضى قوامته على من جعله الله تحت ولايته من النساء والذرية لأن الاستطاعة والقدرة في حقه متحققة في الأغلب.

---

(١) سورة التوبة: الآية ٧١.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٤.

وهذا باب عظيم الأثر كثير الجدوى والنفع، إذ لو قام كل مسلم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخل بيته وفي نطاق ولايته وأسرته لاختفت المنكرات الظاهرة من المجتمع ولأصبح مجتمعاً هو أقرب إلى التقوى والإحسان.

وأجمل فيما يلي أهم أبواب المعروف الذي يؤمر به داخل البيوت مما يغلب وقوعه وتمس الحاجة إليه:

- إحياء السنة وإماتة البدعة :

فلقد درج على هذا السلف الصالح، ونشأ عليه أولادهم وذراريهم، وهمة المسلم الصادق إتباع السنة في كل شئونه وترك البدع، وفي ذم البدع حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال النبي ﷺ: **(من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)**، وفي رواية **(من أحدث في أمرنا هذا..)** (١)، وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام وهو من جوامع كلمه ﷺ فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات.. وفيها رد كل المحدثات سواء أحدثها الفاعل أو سبق بإحداثها(٢).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الصلح (٢٦٩٧)، ومسلم في كتاب الأقضية (١٧١٨).

(٢) المنهاج للنووي ٢٥٧/١٢.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال ﷺ: (**أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة جاهلية، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه**) (١).

وفي إحياء السنة حديث جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ : (**من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيئ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شئ**) (٢).

والسنن المتروكة تختلف بإختلاف البيئة ونمط الثقافة وأسلوب الحياة وكذلك البدع فهي على درجات، والأب الحصيف يعالج المشكلة بأسلوب حكيم وسعة صدر وتدرج وتأن وهو يدرك أهمية إحياء السنن وآثار إهمال البدع، وأنه ما ظهرت بدعة إلا ونسيت مكانها سنة وتلك ثلمة في الدين يوشك إن أهملت أن تضيع معالم الدين كله.

يقول: والمرأة الحائض إذا انقطع دمها في الوقت ولم يمكنها الاغتسال إلا بعد خروج الوقت تيممت وصلت في الوقت، ومن ظن أن الصلاة بعد

---

(١) رواه البخاري في كتاب الديات (٦٨٨٢).

(٢) رواه مسلم في كتاب العلم (١٠١٧) والترمذي في كتاب العلم (٢٥٩٩) والنسائي في كتاب الزكاة (٢٥٥٤) وابن ماجة في المقدمة (٢٠٣) وأحمد في مسند الكوفيين (١٨٣٦٧).

خروج الوقت بالماء خير من الصلاة في الوقت بالتيمم فهو ضال جاهل[١].

وقال: لا يجوز لأحد أن يؤخر صلاة النهار إلى الليل ولا يؤخر صلاة الليل إلى النهار لشغل من الأشغال لا لحصد ولا لحرث ولا لصناعة ولا لجنابة ولنجاسة ولا لصيد ولا للهو ولا لعب ولا لخدمة أستاذ ولا غير ذلك بل المسلمون لكنهم متفقون على أن عليه أن يصلي الظهر والعصر بالنهار ويصلي الفجر قبل طلوع الشمس، ولا يترك ذلك لصناعة من الصناعات ولا للهو ولا لغير ذلك من الأشغال، ثم ساق "رحمه الله" حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: **(من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله)**[٢]، وحديث بريدة رضي الله عنه عنه ﷺ : **(من ترك صلاة العصر حبط عمله)**[٣].

وفي وصية أبي بكر رضي الله عنه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إن لله حقاً بالليل لا يقبله بالنهار وحقاً بالنهار لا يقبله بالليل) [٤].

وهكذا بين أهل العلم أهمية المحافظة على الصلاة والمداومة على إقامتها، وكذلك أمر الزكاة والصوم والحج وسائر الفروض والسنن لا سيما

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٥/٢٢.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة (٥٥٢) ومسلم في كتاب المساجد (٦٢٦) واللفظ لمسلم.

(٣) رواه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة (٥٩٤)، والنسائي في كتاب الصلاة (٤٧٤)، وابن ماجة في كتاب الصلاة (٦٩٤) وأحمد في مسند الأنصار (٢١٨٧٩).

(٤) مجموع الفتاوى ٢٢/٢٧-٢٨.

السنن المؤكدة كركعتي الفجر وفي حديث عائشة رضي الله عنها: (**لم يكن النبي ﷺ على شيء من النوافل أشد منه تعاهدا على ركعتي الفجر**)[١]، ولو استرسل القلم في إيرادها جميعا لطال الحديث، وحسبنا هذا القدر، والله الموفق لا إله غيره ولا رب سواه.

- منكرات تتعلق بالنساء:

وهي كثيرة متنوعة، تختلف بإختلاف البيئة والثقافة، أذكر منها:

أ- الإختلاط بين الرجال الأجانب والنساء:

وهو محرم سواء كان داخل البيت أو خارجه، وصوره كثيرة منها النظر ومنها المصافحة، ومنها الخلوة، ومنها الكلام غير البرئ، ومنها التساهل بالرجال الأقارب كابن العم وابن الخال وأخ الزوج وهو الحمو (**والحمو الموت**) كما قال النبي ﷺ رواه عقبه بن عامر رضي الله عنه[٢].

وفي تحريم الخلوة حديث ابن عباس رضي الله عنهما عنه ﷺ: (**لا يخلون رجل بامرأة ولا تسافرن امرأة إلا ومعها محرم**)[٣].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الجمعة (١١٦٣)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين (٧٢٤).

(٢) متفق عليه رواه البخاري في كتاب النكاح (٥٢٣٢)، ومسلم في كتاب النكاح (٢١٧٢).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الجهاد (٣٠٠٦) ومسلم في كتاب الحج (١٣٤١) واللفظ للبخاري.

ومنها أيضاً التبرج والسفور وهو خروج المرأة من بيتها متبرجة متعطرة فاتنة مفتونة تظهر ما أمر الله بستره من زينتها وعورتها، فتخرج لغير حاجة، أو تخرج مع سائق ونحوه وليس من محارمها وقد قال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ (١).

منها الوشم والنمص والفلج ووصل الشعر وتندرج كلها في الزينة المنهي عنها، والوشم حشو الكحل ونحوه تحت الجلد في أشكال معينة ليبقى زمناً مديداً، والنمص الأخذ من شعر الحاجبين ليبدو رقيقاً والفلج استخدام المبرد بين الأسنان لتتباعد، وقد ورد في كل من هذه الأفعال التجميلية لعن، فعن عائشة رضي الله عنها قالت قال ﷺ: **(لعن الله الواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة)** (٢).

وفي حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه **(لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله تعالى مالي لا ألعن من**

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٢) رواه النسائي في كتاب الزينة حديث (٥١٠١) البخاري في كتاب اللباس حديث (٥٩٣٤) ومسلم في كتاب اللباس (٢١٢٤)، واللفظ للنسائي.

لعن النبي ﷺ)[١].

وعلى العموم فإن فتنة النساء اليوم على أشدها وعلاج هذه الفتنة يبدأ داخل البيت بحسن التربية والتأديب، وبالحكمة في أسلوب التقويم والتهذيب لتكون المسلمة مقبلة على تعاليم الدين الحنيف وأخلاقه وآدابه عن رضى وقناعة وإيمان، ولو أهمل هذا الجانب من حياة المسلمين فعمت الفتن وطمت المحن وكيف وقد قال النبي ﷺ: **(ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء)** رواه أسامه بن زيد رضي الله عنه[٢]. وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ: **(صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقرة يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا)** [٣].

وفتنة النساء اليوم على أشدها لا سيما وجيلنا يعيش عصر الإعلام المؤثر بكل صوره المقروءة والمسموعة والمرئية، وأصبحت السلامة من هذه

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب اللباس (٥٩٣١) ومسلم في كتاب اللباس حديث (٢١٢٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب النكاح (٥٠٩٦)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء (٢٧٤٠).

(٣) رواه مسلم في كتاب اللباس حديث (٢١٢٨)، وأحمد في مسند المكثرين حديث (٨٣١١).

الفتنة أمراً عسيراً إلا من رحم الله، واستغل لذلك أعداء الإسلام فتفننوا في تزيين الشهوات بكل صور الإغراء والإغواء لتفكيك الأسرة المسلمة وإضعاف المجتمع الإسلامي، ومن ثم لتقويض صرح الإسلام، والله بما يعملون محيط.

لذا كان قيام أفراد الأسرة المسلمة -كل بحسب قدرته وموقعه ومسئوليته- بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمناصحة والتذكير والتواصي بالحق والتواصي بالصبر أمراً لا مندوحه عنه، سلوكاً لنهج المسلمين ودرءاً للأخطار الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية والثقافية المدمرة التي تحيق بالأسرة فالمجتمع فالأمة إن تواني المسلمون في إقامة هذه الشعيرة الإسلامية الجليلة..

- ومن منكرات البيوت مما يتعلق بالأخلاق والآداب:

أ- الإنشغال باللهو:

وقد أضحى اللهو في عصرنا (فناً) ينال كل أحد! واللهو منه المحرم ومنه المكروه ومنه المباح لكن بقدر، ولئن كان الدين الحنيف لم ينه عن اللهو المباح والترفيه والترويح في حدود الشرع، إلا أنه يحرم الخلود إليه والإشتغال به إشتغالاً تضيع معه الصلوات وينغمس المرء في الشهوات في فيصبح كمدمن خمر أو عابد وثن! لا يكترث بالمصير ولا الجزاء ولا يعرف موتاً ولا حياة ولا نشوراً، كما قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّبَعُوا

ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾﴾ (١).

والخلف: هم كل من كان بعد النبي ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم إلى يوم القيامة، وإضاعة الصلاة تأخيرها عن وقتها وقيل تركها وقيل الإخلال بشروطها(٢)، وهذا كله يحصل بالإنغماس في اللهو والشهوات والإفتتان بزخارف الدنيا.

فمن مسئوليات الوالدين لا سيما الأب العمل الدائب على وقاية الأولاد مساوئ الإنغماس في اللهو وإدمانه وهو ما يصير إليه الولد إن أهمل في نشأته ولم يبصر بالصالح والطالح مما يفد إلينا عبر قنوات الإعلام من المجتمعات غير الإسلامية، الأمر الذي يؤدي بالتدريج إلى الإنسلاخ من الدين كما أشارت الآية الشريفة بإضاعة الصلوات أولاً وباتباع الشهوات والإنغماس فيها بعد ذلك.

وقد أصبح منع هذا العزو الفكري المقنن بالكلية غير مقدور عليه، فلم يبق معه إلا التربية الإسلامية السوية بدءاً من داخل البيت مما هو من مسئوليات الأباء تظافراً مع المؤسسات التربوية الأخرى، وإلا فإن عاقبة الإهمال وخيمة وقد أشار إليها حديث أبي مالك الأشعري ﷺ قال قال النبي

---

(١) سورة مريم: الآية ٥٩.

(٢) النكتب والعيون ٣/٣٧٩.

ﷺ: **(ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر (أي الفرج) والحرير والخمر والمعازف، ولينزلن أقوام إلى جنب علم -أي جبل- يروح عليهم بسارحة لهم -يعني الراعي بغنمهم- يأتيهم -أي الفقر- فيقولون إرجع إلينا غدا، فيبيتهم الله ويضع العلم ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة)** [١].

ب- ومن المنكرات قطيعة الرحم وهجر الأقارب:

وقد تمضي أشهر دون أن يعرف عنهم شيئا فضلا عن أن يتفقد حاجاتهم ويصلهم، وقد يكون ذلك على مستوى الأفراد أو الأسر، وقد قال النبي ﷺ: **(لا يدخل الجنة قاطع رحم)** رواه جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه[٢].

ج- ومنها آفات اللسان:

وصورها كثيرة، كالسب واللعن والغيبة والكذب والطعن في النسب أو المهنة ونحو ذلك كثير، وكل ذلك فسق في حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **(سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)** [٣].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأشربة: باب فيما جاء فيمن يستحل الخمر ١٠/٥١.

(٢) مسلم يف كتاب البر والصلة (٢٥٥٦).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الإيمان حديث (٤٨) ومسلم في كتاب الإيمان (٦٤).

وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال النبي ﷺ: **(المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)** [١].

ومن آفات اللسان التي تعد من أوخم المنكرات الكذب وهو من صفات المنافقين، ولا يكون المسلم الصادق الإسلام كاذبا أبدا، ولهذا لما سئل النبي ﷺ: **(أيكون المؤمن جبانا؟ قال: (نعم) قيل: أيكون المؤمن بخيلا؟ قال: (نعم)، قيل أيكون المؤمن كذابا قال: (لا)!)** رواه صفوان بن سليم رضي الله عنه[٢].

إن تربية الذرية على فضيلة الصدق وتقويم أخلاقهم عليها، وتحذيرهم من منكر الكذب –وهو جامع القبائح والخسائس– من أهم مسئوليات الأباء نحو الأبناء وفي حفظ اللسان حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: **(ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت)** [٣].

وما من ريب في أن الأبوين هما القدوة العملية المباشرة للأولاد في حسن التأني في القول وفي تجنب آفات اللسان كلها، فالطفل يرى الأخلاق والمثل والقيم وكل المعاني الشريفة من خلال أبويه فيحاكيه ويقلده ويتعلم منه

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الإيمان حديث (١٠) ومسلم في كتاب الإيمان حديث (٤٠).

(٢) رواه مالك في الموطأ كتاب الجامع حديث (١٥٧١).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الأدب الحديث (٦٠١٨)، ومسلم في كتاب الإيمان (٤٧).

ويرى أن ما عليه أبواه هو الصواب الذي لا محيد عنه، لذا وجب على الأبوين أن يقوما بدورهما التربوي هذا خير قيام وأن يحترزا من الوقوع في زلل كي لا يتابعا عليه، وتصور أن ولدا سمع أباه يلعن ويسب بأقبح الأسماء كالكلب والحمار، وجرب عليه كذبا كيف ينشأ سليم النفس قويم اللسان؟!

وقديما قالوا:

وينشأ ناشئ الفتيان فينا   على ما كان عوده عليه أبوه

وسيأتي حديث آخر عن أخلاق وآداب البيوت في الفصل التالي إن شاء الله.

د- ومن منكرات البيوت إهمال النظافة :

والمسلم الراشد نظيف البدن طاهر الثياب نقي القلب تقي حفي! والإسلام وهو دين النظافة شرع سلسلة من التدابير الشرعية التي تجعل المسلم طاهرا ودودا منها الوضوء للصلاة وفيه غسل الأعضاء الظاهرة التي هي مظنة الأوساخ ونقل الجراثيم، كما أوجب الغسل من الجنابة ومن الحيض والنفاس قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ ﴾ (١).

(١) سورة المائدة: الآية ٦.

وأرشد ووجه ورغب في غسل يوم الجمعة كما في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال قال النبي ﷺ: **(غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم، وأن يستن أن يمس طيبا)** (١). والاستنان هو السواك الذي هو مطهرة للفم مراضاة للرب وفي أهميته حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: **(لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة)** (٢).

فالمسلم طيب الريح نظيف الثياب طاهر القلب يجمع بين الطهارة الحسية والمعنوية، إن نسي شيئا من ذلك ذكر فتذكر وإن تركه تهاونا أنكر عليه بالأسلوب الحكيم وبالتالي هي أحسن، وتأسيس هذا المفهوم التربوي يبدأ -ولا ريب- من داخل البيت المسلم الراشد.

هـ- ومن المنكرات الإغلاظ في معاملة الخدم ومن في حكمهم: وكذلك التواصي بالشدة عليهم وهو ما يحصل غالبا بين النساء ربات البيوت، وتأخير مستحقاتهم والمماطلة فيها وهو ينافي أخلاقيات المسلم الواعي المستبصر، فالاستخدام لا يكون إلا لحاجة وضرورة، ولابد من التعامل الحسن بالتلطف والرفق إقتداء بالنبي ﷺ، وقد قال أنس ﷺ: (خدمت النبي ﷺ عشر سنوات

(١) متفق عليه رواه البخاري في كتاب الجمعة (٨٨٠) واللفظ له، ومسلم في كتاب الجمعة (٨٤٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الجمعة (٨٨٧) والفظ له، ومسلم في كتاب الطهارة (٢٥٢).

فما قال لشيء صنعته ألا صنعت كذا ولا لشيء لم أصنعه ألا صنعت كذا)[١].

ومن منكرات الإستخدام استقدام خدم غير مسلمين وتقديمهم على المسلمين سواء كانوا خدم منازل أو سائقين أو مربيات ونحو ذلك وهذا خلاف الأولى.

ويتأكد النهي إن كان في جزيرة العرب التي حض الدين الحنيف على أن تظل أبد الدهر طاهرة من المشركين لا يقطنونها ولا يستوطنونها إلا لحاجة وإلى أجل قال النبي ﷺ: **(أخرجوا المشركين من جزيرة العرب)** رواه ابن عباس رضي الله عنهما[٢].

وفي حديث عمر ﷺ مرفوعا **(لا يجتمع دينان في جزيرة العرب)**[٣]، وقد تساهل الناس في هذا، وتساهل كثير منهم في الاختلاط بالخدم والسائقين والمربيات، فقد تخرج المرأة العفيفة المصون مع سائق الأسرة في سيارة بمفردها وهذه خلوة لا يقرها الشرع ولا المروءة، وقد يختلي رجل بخادمة

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الأدب حديث (٦٠٣٨) ومسلم في كتاب الفضائل حديث (٢٣٠٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الجهاد حديث (٣٠٥٣) ومسلم في كتاب الوصية حديث (١٦٣٧) وهو جزء من حديث.

(٣) رواه مالك في الموطأ في كتاب الجامع حديث (١٣٨٨) وأصله في الصحيحين البخاري في كتاب الشروط حديث (٢٧٣٠) ومسلم في كتاب المساقاه حديث (١٥٥١).

الأسرة أو بالمربية، وقد يتورط مراهق في مغازلة خادمة ونحوها وهذه كلها من منكرات البيوت التي يجب على الأبوين إنكارها والعمل على إزالتها وتوقيها قبل استفحال خطرها.

وتأمل كيف منع النبي ﷺ مخنثا من الدخول على النساء كما في حديث أم سلمة رضي الله عنها أنه ﷺ كان عندها وفي البيت مخنث، فقال المخنث لأخي أم سلمة عبدالله بن أمية: إن فتح الله عليكم الطائف غدا أدلك على ابنة غيلان فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان! فقال النبي ﷺ: **(لا يدخل هذا عليكن)**[١].

- ومن منكرات البيوت مما يتعلق بالجانب الاقتصادي:

أ- الإسراف في المطعم والمشرب والملبس والمركب والأثاث، والإسراف والتبذير منهي عنه في كل شيئ، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾[٢].

وقال: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾[٣].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب النكاح (٥٢٣٥)، ومسلم في كتاب السلام (٤٠٦٩).
(٢) سورة الإسراء: الآيتان ٢٦-٢٧.
(٣) سورة الأعراف: الآية ٣١.

ودعا إلى التوسط والإعتدال في الإنفاق فقال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [١]

ومن صور الإسراف: الإسراف في ولائم الزواج، وفي حفلات التكريم، وفي الموائد اليومية، وفي مائدة الإفطار في شهر رمضان، وفي تغيير أثاث البيت كل عام، ونحو ذلك، وفي تغيير (موديل) السيارة دون حاجة معتبرة سوى التجديد، وفي اتخاذ النمارق والستور التي فيها تصاوير وفي استخدام عدد من الخدم والسائقين دون حاجة إليهم بل للمباهاة، وصور الإشراف عديدة لو رحنا نعددها ونضرب عليها الأمثلة لطال بنا المقام.

ولئن كان النبي ﷺ كره ستراً يذكره بالدنيا ودعتها فكيف بما هو أشد في ذلك، تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: **(كان لنا سترة فيه تمثال طائر وكان الداخل إذا دخل إستقبله، فقال لي رسول الله ﷺ : حولي هذا فإني كلما دخلت فرأيته ذكرت الدنيا)**[٢].

هذا ومنكرات البيوت كثيرة تختلف بحسب البيئة ونمط الحياة ودرجة التأثر بروافد الغزو الثقافي، كما يختلف أسلوب تغيير تلك المنكرات والنهي عنها بحسب المدارك الثقافية وأنماط المؤثرات اليومية التي يتعرض لها الناشئة وقوة الإيمان الذي ينعم به الأبوان.

والتوفيق من الله الكبير المتعال لا راد لفضله ولا معقب لحكمه وهو العليم الخبير.

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٢٩.

(٢) رواه مسلم في كتاب اللباس، حديث (٢١٠٧).

الفصل الرابع

مسؤوليات الآباء التربوية والأخلاقية

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول:

إلزام الأولاد أداء العبادات المفروضة والمسنونة بدءاً بأركان الإسلام.

المبحث الثاني :

البدء بتعليم الأولاد القرآن العظيم وتحفيظهم إياه وآثر ذلك.

المبحث الثالث:

التنشئة بأسلوب القدوة العملية والتعويد والترغيب والترهيب على مكارم الاخلاق.

المبحث الرابع:

تحصين الأولاد ضد الغزو الفكري، وبيان أهم مبادئ الإسلام في ذلك.

المبحث الخامس:

مسئولية الآباء تجاه الأولاد بعد سن البلوغ والرشد.

المبحث الأول
إلزام الأولاد أداء العبادات المفروضة والمسنونة بدءاً بأركان الإسلام

الإسلام دين الله الخالد الذي لا يقبل ديناً غيره، وهو في مفهومه الأشمل يتضمن الإيمان والعمل، العقيدة والشريعة، الأخلاق والمعاملات، وأحكامه كما بينها العلماء متنوعة بين الوجوب والاستحباب في جانب الطاعات، وبين التحريم والكراهية في جانب المنهيات.

والأبوان من حيث ولايتهما على الأولاد دون سن البلوغ -لاسيما الأب باعتبار قوامته على من في البيت- من واجباتهما الشرعية إلزام الأولاد بالعبادات تعويداً وتعليماً، وتربية وتقويماً، وتعاوناً وتعاضداً، أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر، أداءً للأمانة وقياماً بالواجب.

وهنا أفرد الحديث عن واجب الأباء في هذا المضمار من حيث (الإلزام) فأقول:

يعطي الإسلام الأباء مقومات الإلزام من منطلق الولاية والرعاية التي يتحملونها تجاه الأولاد فالأولاد أمانة في أعناق الوالدين، والأمانة حقها الأداء لا الإضاعة.

ومن الأداء للأمانة إلزام الولد بأداء فرائض الدين وأداء الحقوق لأهلها، تربية وتقويماً، وتعليماً وتهذيباً، يتبين ذلك من خلال النصوص الآتية:

– قول الباري جل ذكره: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (١).

– قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾ (٢).

– قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ (٣).

– حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: **(لقد هممت أن أمر بحطب ثم أمر بالصلاة يؤذن لها، ثم أمر رجلاً فيؤم الناس ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم! والذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقاً سميناً أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء)**(٤).

قوله: (عرقاً سميناً) العرق بالسكون العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم(٥).

---

(١) سورة طه: الآية ١٣٢.

(٢) سورة مريم: الآية ٥٤-٥٥.

(٣) سورة الحج: الآية ٤١.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الأحكام (٧٢٢٤) واللفظ له، ومسلم في كتاب المساجد حديث (٦٥١).

(٥) النهاية لابن الأثير ٣/٩٩ وأيضاً ٢/١١٣.

قوله: (عرقاً سميناً) العرق بالسكون العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم[١].

وقوله: (مرماتين حسنتين) المرماة ظلف الشاة وقيل ما بين ظلفيها، وقيل المرماة السهم الصغير الذي يتعلم به الرمي وهو أحقر السهام وأدناها، أي لو دعي إلى مرماتين لأجاب وهو لا يجيب إلى الصلاة[١].

- حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: **(لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا! ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه! ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا)** [٢].

ومعنى قوله استهموا: أي لو يعلم الناس فضل الأذان والصف الأول ولم يقدروا عليه إلا بالاقتراع لاقترعوا وأخذ كل واحد نصيباً بطريق إجراء القرعة، والحبو المشي على اليدين والركبتين كما يفعل الأطفال الرضع!

يؤخذ من هذه النصوص وأمثالها في مضمار إلزام الأولاد أداء العبادات:

أ- أن المسلم يحرص على أن لا يفوته الخير والفضيلة مما يعد من الفروض التي لا يصح التفريط فيها ولا التكاسل عنها، فهو يحافظ على شعائر الدين في نفسه وولده ومن تحت رعايته وولايته، وأن المسلم يلزم أولاده ذكوراً وإناثاً كل بحسبه بالعبادات لا سيما أصولها وهي: الصلاة والصيام وقراءة القرآن،

---

(١) النهاية لابن الأثير ٩٩/٣ وأيضاً ١١٣/٢.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الشهادات (٢٦٨٩)، ومسلم في كتاب الصلاة (٤٣٧).

وهي التي جاء ذكرها في الصحيحين كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه لما أته النبي ﷺ وقال: (**ألم أحدث أنك قلت لأصومن النهار ولأقومن الليل ولأقرأن القرآن في ثلاث؟**) قال بلى! قال: (**فلا تفعل! فإنك إذا فعلت ذلك هجمت له العين نقهت له النفس**)[١].

ثم أمره بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وهذه العبادات هي المعروفة في حديث الخوارج: (**يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**) رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه[٢][٣].

ب- إن الغلام والجارية يؤدبان على الطهارة إذا تمت لهما عشر سنوات.

قال ابن قدامه: (يجب على ولي الصبي أن يعلمه الطهارة إذا بلغ سبع سنين ويأمره بها ويؤدبه عليها إذ بلغ عشر سنين، والأصل في ذلك حديث سبرة

---

(١) قوله (هجمت له العين) أي غارت ودخلت في موضعها، ومنه الهجوم على القوم أي الدخول عليهم: النهاية ٢٥٦/٤ قوله (نقهت له النفس) مرضت واعتلت أو لم تستصح كما ينبغي.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب استتابه المرتدين حديث (٦٩٣٠) ومسلم في كتاب الزكاة حديث (١٠٦٦).

(٣) مجموع الفتاوى ٣٩١/١٠.

الجهني عن أبيه عن جده ﷺ عن النبي ﷺ: **(علموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين واضربوه عليها ابن عشر)**(١).

ويقول الإمام العلامة ابن القيم رحمه الله: (والصبي وإن لم يكن مكلفاً فوليه مكلف لا يحل له تمكينه من المحرم فإنه يعتاده، ويعسر فطامه عنه، وهذا أصح قولي العلماء، واحتج من لم يره حراماً عليه بأنه غير مكلف، فلم يحرم لبسه للحرير كالدابة، وهذا من أفسد القياس، فإن الصبي وإن لم يكن مكلفاً فإنه مستعد للتكليف، ولهذا لا يمكن من الصلاة بغير وضوء، ولا من الصلاة عرياناً ونجساً، ولا من شرب الخمر والقمار واللواط) (٢).

وسن الإلزام هو سن العاشرة، إذ يبتدئ بتعليمه الصلاة وغيرها من العبادات في سن السابعة، ويؤدبه عليها في سن العاشرة، قال ابن القيم: فإذا صار ابن عشر ازداد قوة وعقلاً واحتمالاً للعبادات، فيضرب على ترك الصلاة كما أمر به النبي ﷺ، وهذا ضرب تأديب وتمرين، وعند بلوغ العاشرة يتجدد له حال أخرى يقوى فيها تمييزه ومعرفته، ولذلك ذهب كثير من الفقهاء إلى وجوب الإيمان عليه في هذه الحال وأنه يعاقب على تركه، وهذا إختيار أبي

---

(١) رواه ابو داود في كتاب الصلاة (٤٩٤)، والترمذي في كتاب الصلاة (٤٠٧) واللفظ له وقال حسن صحيح، وأحمد في مسند المكثرين حديث (٦٤٦٧) والدارمي في كتاب الصلاة حديث رقم (١٣٩٥)، واللفظ للترمذي والدرامي.

(٢) تحفه المودود، ص ١٤٧.

الخطاب وغيره، وهو قول قوي جداً، وإن رفع عنه قلم التكليف بالفروع، فإنه قد أعطى آله معرفة الصانع والإقرار بتوحيده وصدق رسله وتمكن من نظر مثله واستدلاله كما هو متمكن من فهم العلوم والصنائع ومصالح دنياه، فلا عذر له في الكفر بالله ورسوله، مع أن أدلة الإيمان بالله ورسوله أظهر من كل علم وصناعة يتعلمها[١].

وإذا بلغ الفتى أو الفتاة سن الخامسة عشرة أو قريباً منها وظهرت عليهما إمارات البلوغ فقد بلغا مبلغ الرجال والنساء، وصار إلزامهما بالفرائض أكد وجرت عليهما أحكام البالغين الراشدين.

---

(١) المرجع السابق، ص ١٧٥.

المبحث الثاني
البدء بتعليم الأولاد القرآن العظيم وتحفيظهم إياه وأثار ذلك

القرآن العظيم كتاب الله يهدي للتي هي أقوم وإلى صراط مستقيم قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (١).

والقرآن العظيم كما أنه كتاب هداية وإصلاح هو كذلك كتاب تربية وتهذيب، يتضمن منهاج الحياة السوية، بل لا منهج تربوي كامل في مضامينه شامل في مقاصده كالمنهج القرآني الجليل!

ولقد كان النبي ﷺ منذ فجر الإسلام يربي أصحابه على القرآن العظيم تلاوة وحفظاً وتدبراً وعملاً وتطبيقاً، يقول الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (٢).

ومن معطيات الآية الشريفة أن الأمة كي تزكو وترشد إنما تؤسس كافة أنماط حياتها على أسس التربية الإسلامية وهي تلاوة الكتاب بمعنى القراءة

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٩.

(٢) سورة الجمعة: الآية ٢.

والعمل، وعلى تزكية النفس بصنوف الطاعات والقربات، وتعلم الحكمة وهي السنة.

وإنه لمن خصائص الأمة المحمدية أنها أمة القرآن، تحمله في قلوبها وتطبقه في حياتها وترجع إليه في كافة شئونها، فالقرآن العظيم متلوا على الألسن محفوظ في الصدور وعلى السطور، قال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾[١].

وهم المؤمنون الذين حملوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ وحملوه بعده، وإنما أعطي الحفظ هذه الأمة، وكان من قبلهم لا يقرؤون كتابهم إلا نظرا فإذا أطبقوه لم يحفظوا ما فيه سوى الأنبياء[٢].

ولو تأملنا سيرة النبي ﷺ وسيرة أصحابه رضوان الله عليهم لرأينا أنهم كانوا يتلون القرآن العظيم ويتخذونه عملا يوميا لا ينفكون عنه فكانوا يحزبون القرآن أي جزؤونه ليسهل ترداده وحفظه وكانوا يحفظونه وهم أمة أمية تلقيا ومشافهة من النبي ﷺ في صلواته وغيرها، فالقرآن روح الأمة الإسلامية ومصدر عزها وسبب فلاحها في الدنيا والآخرة، والمسلمون تقاس استقامتهم بمقدار تمسكهم بكتاب ربهم عز وجل:

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤٩.

(٢) زاد المسير في علم التفسير ٦/٣٧٨.

- ففي حديث عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة إنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي**) [١].

وقال ابن حجر: يعرض -بكسر الراء- من العرض وهو بفتح العين وسكون الراء، أي يقر، ولمراد: يستعرضه ما أقرأه إياه، والمعارضة مفاعلة من الجانبين، كأن كلا منهما كان تارة يقرأ والآخر يستمع [٢].

- ويقول أوس بن حذيفة رضي الله عنه: لقد أبطأ علينا رسول الله ﷺ ذات ليلة، قال: (**إنه طرأ عليَّ حزبي من القرآن فكرهت أن أخرج حتى أتمه**) قال أوس: فسألت أصحاب النبي ﷺ كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: ثلاث سور وخمس سور وسبع سور وتسع سور واحدى عشرة سورة وثلاثة عشرة سورة، وحزب المفصل من قاف حتى يختم [٣].

- ويقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: لقد تعلمت النظائر التي كان النبي ﷺ يقرؤهن اثنين اثنين في كل ركعة: عشرون سورة من أول المفصل أخرهن

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب المناقب (٣٦٢٤) ومسلم في كتاب فضائل الصحابة حديث رقم (٢٤٥٠).

(٢) الفتح ٩/ ٤٣.

(٣) رواه أبو داود في كتاب الصلاة (١٣٩٣)، وابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة (١٣٤٥)، وأحمد في مسند المدنيين (١٥٥٧٨) واللفظ له.

الحواميم حم الدخان وعم يتساءلون)[١].

- ويقول عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ﷺ: ما من المفصل سورة صغيرة ولا كبيرة إلا وقد سمعت رسول الله ﷺ يؤم الناس بها في الصلاة المكتوبة[٢]، وهذا غيض من فيض.

ولقد كان هذا هو دأب الصحابة رضوان الله عليهم في أنفسهم وفي أولادهم، وهم أكرم الأجيال وأخيرها وأفضلها، يحفظون القرآن ويحفظونه أولادهم تلقياً عن رسول الله ﷺ في صلواته وغيرها حتى كان حفظ القرآن وتلاوته وتلقيه جزءاً من حياتهم اليومية.

وفيما يلي نماذج كريمة لأبناء الصحابة رضوان الله عليهم وكيف كان تعليمهم وتربيتهم مؤسسة على القرآن العظيم وكيف كان تنافسهم في حفظه وتلاوته، وذلك جزء من المنهاج النبوي في التربية:

- **يقول البراء ﷺ :**

أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، فجلعا يقرئاننا القرآن، ثم جاء عمار وبلال وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين، ثم جاء النبي ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن حديث (٤٩٩٦)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين حديث (٨٢٢).

(٢) رواه أبو داود في كتاب الصلاة (٨١٤).

فرحهم به حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون هذا رسول الله ﷺ قد جاء فما جاء حتى قرأت سبح اسم ربك الأعلى في سورة مثلها[١].

- ويقول عبدالله بن العباس رضي الله عنهما: (توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم) قال سعيد بن جبير: قلت له وما المحكم؟ قال: المفصل [٢][٣].

- ولقد كان جل الصحابة يحزبون القرآن أحزاباً يقرأون الحزب بحسب استطاعتهم وقدرتهم كما سبق في حديث أوس ﷺ وفيه أن أصحاب النبي ﷺ كانوا يحزبون القرآن ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدى عشر سورة، وثلاثة عشرة سورة، وحزب المفصل من قاف حتى يختم[٤].

وهذا التحزيب للقرآن هو أعدل ما يلزم به المسلم نفسه لاسيما إن أراد حفظ القرآن وتعاهده خشية التفلت، وبه يختم القرآن العظيم كل أسبوع مرة، وقد ذكر العلماء أوجها لتحديد هذا الحزب القرآني أوفقها ما ذكره الحافظ ابن كثير -رحمه الله- قال: إذا عددت ثمانيا وأربعين سورة فالتي بعدهن سورة ق

---

(١) رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن (٤٦٥٧)، وأحمد في مسند الكوفيين (١٧٧٧٩٩).

(٢) المفصل: السور التي يكثر الفصل فيها وه يعند الجمهور من سورة ق إلى آخر القرآن.

(٣) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن (٥٠٥٣) وأحمد في مسند بني هاشم (٢١٦٩).

(٤) رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد وقد سبق قريباً، ص ١٦٢.

وبيانه: ثلاث: البقرة وآل عمران والنساء، وخمس: المائدة والأنعام والأعراف والأنفال وبراءة.

وسبع: يونس وهود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر والنحل. وتسع: سبحان والكهف ومريم وطه والأنبياء والحج والمؤمنون والنور والفرقان. وإحدى عشرة: الشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والروم ولقمان وآلم السجدة والأحزاب وسبأ وفاطر ويس. وثلاث عشرة: الصافات وص والزمر وغافر وحم السجدة وحم عسق والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف والقتال والفتح والحجرات. ثم بعد ذلك الحزب المفصل كما قاله الصحابة رضي الله عنهم(١).

- وكانوا يرتلون القرآن آناء الليل وآناء النهار، وكان أكثر تلاوتهم بالليل بعد فراغهم من المشاغل والمهن، ولأن ناشئة الليل أشد وطأ وأقوم قيلاً، وكانت بيوتهم تعرف في ظلمة الليل بأصواتهم من القرآن! كما في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (**إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار**) (٢).

---

(١) تفسير ابن كثير ٢٣٢/٤.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب المغازي حديث (٤٢٣٢)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة حديث (٢٤٩٩).

وبلغ من اهتمامهم بتعلم وتعليم القرآن أن كان أحدهم قد لا يملك من حطام الدنيا شيئا لكنه يحفظ سورا من القرآن يرددها ويتدبر فيها ويعتز بها والأمثلة عليه أكثر من أن تحصر، كما في قصة الواهبة نفسها لما خطبها أحد الصحابة فقال له ﷺ: **(إلتمس ولو خاتما من حديد)** فما وجد ثم قال له: ماذا معك من القرآن؟! فراح يعدد السور فقال له: **(ملكتكها بما معك من القرآن)** رواه سهل بن سعد رضي الله عنه[١].

وهناك مسائل تتعلق بهذا الموضوع مثل الترتيل والتجويد والتلقي عن مقرئ ومراجعة المحفوظ وتعهده خشية التفلت وتحين الأوقات المناسبة للترتيل والمراجعة يجمل بالأب الذي يود أن ينشأ ولده في رياض القرآن الإلمام بها[٢].

وجدير بالتنوية هنا في ختام هذا المبحث الإشادة بحفظه القرآن الكريم وطلابه في المملكة العربية السعودية مهبط الوحي ومأرز الإيمان، وما يحظون به من تشجيع وتكريم وذلك من خلال مدارس تحفيظ القرآن الكريم التابعة لوزارة المعارف، وحلقات تحفيظ القرآن التي تشرف عليها وزارة الشئون الإسلامية.

وكذلك مدارس تحفيظ القرآن الكريم التابعة للأزهر الشريف في مصر،

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن حديث (٥٠٣٠) ومسلم في كتاب النكاح حديث (١٤٢٥).

(٢) أنظر كيف تحفظ القرآن الكريم للمؤلف.

وغيرها من بلاد المسلمين، وهذا من عناية الله بعباده وحفظه وصونه لكتابه المبين وتوفيقه لعباده الصالحين.

هذا- ولئن كانت الناشئة عماد الأمة وأمل المستقبل فحري أن تنشأ على مائدة القرآن وأن تنهل من معينه الذي لا ينضب، وأن يكون القرآن العظيم وهو كلام الله جل ذكره الهاجس الأكبر للولد يقرؤه ويردده غدوا وعشياً وفي الخلوة والجلوة، يتلوه تدبراً وتفكراً وقراءة وعملاً، حتى إذ شب عن الطوق شب وقد امتلأ صدره بنور القرآن وشغف قلبه بحبه فكان تقياً نقياً عالماً عاملاً، وأي سعادة يحصلها الإنسان بعد هذه!

المبحث الثالث
التنشئة بأسلوب القدوة العملية والتعويد
والترغيب والترهيب على مكارم الأخلاق

الأخلاق هي لب الإسلام وجوهره، لأن الإسلام في حقيقته إنما هو دعوة إلى مكارم الأخلاق كما في حديث أبي هريرة ﷺ قال قال النبي ﷺ: (**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**) [١]. فمفتتح الأخلاق ومبتدؤها الإخلاص لله تعالى، وهو مقصد التربية الإسلامية وهدفها الأجل.

والأبوان المسلمان الواعيان ينبغي قبل كل شيء أن يحققا الإخلاص لله تعالى، وأن يتحليا بمكارم الأخلاق ليكون تعليمهم الأولاد ذلك وتربيتهم عليها بأسلوب القدوة العملية التي هي أعمق تأثيراً من الأسلوب الخطابي أو التلقين أو التذكير أو غيرها من أساليب التعليم.

ولقد أمر القرآن العظيم عموم المسلمين التحلي بمكارم الأخلاق ومجامعها ونهاهم عن رذائلها قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [٢].

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسند المكثرين حديث رقم (٨٥٩٥).

(٢) سورة النحل: الآية ٩٠.

كما شنع على الذين يقولون مالا يفعلون، الذين تخالف أقوالهم أفعالهم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (١).

ونوه بقيمة الكلمة التي يتبعها عمل وقدوة صالحة يراها الولد في أبويه أو أحدهما، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ (٢).

إن تربية الأولاد على الأخلاق الإسلامية مهمة جليلة، بل هي المهمة الأساس التي تناط بالآباء ليس أحد أقدر من الوالدين على ترسيخ الأخلاق في فؤاد الولد وتحويرها على النمط المتوخى وحمايته من المؤثرات السلبية.

قال الإمام أبن القيم -رحمه الله-: (ومما يحتاج إليه الطفل غاية الاحتياج الاعتناء بأمر خلقه فإنه ينشأ على ما عوده المربي في صغره من حرد(٣)، وغضب ولجاج، وعجله، وخفة مع هواه، وطيش، وحدة وجشع فيصعب عليه في كبره تلافي ذلك، وتصير هذه الأخلاق صفات وهيئات راسخة له فلو تحرز منها غاية التحرز فضحته ولابد يوماً ما ولهذا تجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم

---

(١) سورة الصف: الآيتان ٢-٣.

(٢) سورة مريم: الآية ٢٨.

(٣) الحرد: سرعة الغيظ، قال في المعجم الوسيط ١٦٥/١: حرد اغتاظ فتحرش بالذي غاظه وهم به.

وذلك من قبل التربية التي نشأ عليها!.

وكذلك يجب أن يتجنب الصبي إذا عقل مجالس اللهو والباطل والغناء وسماع الفحش والبدع ومنطلق السوء، فإذا علق بسمعه عسر عليه مفارقته في الكبر وعز على وليه استنقاذه منه! فتغيير العوائد من أصعب الأمور يحتاج صاحبه إلى استجداد طبيعة ثانية، والخروج على حكم الطبيعة عسر جدا.

وينبغي لوليه أن يجنبه الأخذ من غيره غاية التجنب، فإنه متى إعتاد الأخذ صار له طبيعة، ونشأ بأن يأخذ لا بأن يعطي! ويعوده البذل والإعطاء، وإذا أراد الولي أن يعطي شيئا أعطاه إياه على يده ليذوق حلاوة الإعطاء!.

ويجنبه الكذب والخيانة أعظم مما يجنبه السم الناقع فإنه متى سهل له سبيل الكذب والخيانة افسد عليه سعادة الدنيا والآخرة وحرمه كل خير.

ويجنبه الكسل والبطالة والدعة والراحة، بل يأخذه بأضدادها،ولا يريحه إلا بما يجم نفسه وبدنه للشغل، فإن للكسل والبطالة عواقب سوء ومغبة ندم، وللجد والتعب عواقب حميدة إما في الدنيا وإما في العقبى وإما فيهما، فأروح الناس أتعب الناس وأتعب الناس أروح الناس، فالسيادة في الدنيا والسعادة في العقبى لا يوصل إليها إلا على جسر من التعب، ويعود الإنتباه آخر الليل فإنه وقت قسم الغنائم وتفويق الجوائز، فمستقبل ومستكثر ومحروم، فمتى إعتاد ذلك صغيرا سهل عليه كبيرا) [١].

---

(١) تحفه المولود، ص ١٤٦.

وقال: (ويجنبه فضول الطعام والكلام والمنام ومخالطة الأنام، فإن الخسارة في هذه الفضلات تفوت على العبد خير دنياه وآخرته، ويجنبه مضار الشهوات المتعلقة بالبطن والفرج غاية التجنب، فإن تمكينه من أسبابها والفسح له فيها يفسده فساداً يعز عليه بعده صلاحه، وكم ممن أشقى ولده وفلذه وكبده في الدينا والآخرة بإهماله وترك تأديبه وإعانته له على شهواته، ويزعم أنه يكرمه وقد أهانه، وأنه يرحمه وقد ظلمه! ففاته إنتفاعه بولده وفوت عليه حظه في الدنيا والآخرة، وإذا إعتبر الفساد في الأولاد رأيت عامته من قبل الآباء).

هذا ولا يخفى أهمية إبراز جانب القدوة العملية في أخلاق الوالدين إذ طبع الوالد على حب المحاكاة والتقليد، فهو يرى العالم من خلال ما يلقنه الأب والأم، وتمثل أخلاقهما المعيار الأصدق والأسمى في نظر الطفل، لذا نوه الحديث الشريف بتأثير الوالدين العميق في (تدين) الولد وتوجهه الفكري والعقدي كما أشار إلى ذلك حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: **(ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاً هل تحسون فيها من جدعاء)** [١].

وعليه فينبغي للأباء توخي الصدق وعفة اللسان والإلتزام بسائر الخصال الشريفة التي يأمر بها الدين الحنيف، والتزامهم بذلك جزء أساس في صلاح البيت وأسلوب رشيد بالغ التأثير في تربية الأولاد على الخلق الفاضل والسمت الكريم.

---

(١) متفق عليه، وقد سبق ص ٢.

وفيما يلي بعض النماذج المقتبسة من الكتاب العزيز وسنة النبي ﷺ يستضاء بها في هذا المضمار:

الإخلاص:

الإخلاص لب الدين وحقيقته، وكلمة الإخلاص (لا إله إلا الله) أساس الدين وأصله الأصلي، وهو ما اتفقت عليه جميع رسالات الله قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ (١).

وتربية الولد على الإخلاص في الأقوال والأعمال والمقاصد يبدأ منذ سن التمييز كما سبقت الإشارة إليه، ليستشعر غايته في كل عمل يؤديه وهي إبتغاء وجه الله، وبهذه النية الصالحة يرشد مسلكه فيتخلص من أدواء النفس وتتأسس أخلاقه على أساس وطيد ويكتب له ولوليه بذلك الأجر.

قال تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾ (٢)، فمن أخلص فابتغي وجه ربه رضي عنه وأرضاه بالجزاء الأوفى.

إن للإخلاص في حياة المسلم القيمة العليا والأثر الأكبر، وإن تربية الولد على هذه الخصلة الشريفة والخلق الأصيل أفضل ما يقدمه والد لولده وفلذة كبده بل هو أجل ما يسديه إليه وينشئه عليه.

---

(١) سورة البينة: الآية ٥.

(٢) سورة الليل: الآية ١٩-٢٠.

الصدق :

هو مطابقة القول العمل، وموافقة الكلام الواقع، قال في مفردات القرآن: الصدق مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معاً، ومتى إنخرم شرط في ذلك لم يكن صدقاً تاماً[١].

والصدق من أمهات الأخلاق، وهو من خصائص المؤمنين، يهدي إلى الخير وإلى جنات النعيم كما أن الكذب من صفات المنافقين يهدي إلى الشر وإلى عذاب الجحيم، وفي حديث عبدالله بن مسعود ﵁ قال: قال النبي ﷺ: **(إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكن عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً)** [٢].

وفي حديث أبي هريرة ﵁ قال قال ﷺ : **(آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أئتمن خان)** [٣].

وتربية الولد على فضيلة الصدق يكون في المقام الأول بالقدوة بأن يلتزم الأبوان وسائر من في البيت بالصدق في القول والعمل، في الجد والهزل،

---

(١) مفردات القرآن مادة (صدق) ص ٢٧٧.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الأدب (٦٠٩٤)، ومسلم في كتاب البر والصلة (٢٦٠٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الإيمان (٣٣)، ومسلم في كتاب الإيمان (٥٩).

ليرى الولد ذلك تطبيقاً عملياً فينشأ عليه ويراه خلقاً حياً فلا ينفك عنه طيلة حياته بعد أن تربى عليه واشتد عوده به.

لقد حرص الدين الحنيف على أن تكون سمة الصدق جلباباً يتحلى به البيت المسلم حتى في أسلوب التعامل مع الأطفال الصغار الذين قد لا يتفطن لنباهتهم ودقة تلقيهم من خلال سلوك الأباء.

وفي حديث عبدالله بن عامر ﵁ قال: **دعتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا فقالت: ها تعال أعطيك! فقال لها رسول الله ﷺ: (وما أردت أن تعطيه)؟! قالت: أعطيه تمراً، فقال لها رسول الله ﷺ: (أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبه)**[١].

والأبوان يحتاجان إلى ترغيب الولد في المحاسن وتحبيبها إليه، فعليهما أن لا يعداه بشيء إلا بنية التحقيق وإن كان من الأمور المحقرة، وإن كان على سبيل المزح، وقد كان النبي ﷺ يمازح أصحابه لكنه كان لا يقول إلا حقاً.

ومن الصدق في القول الإقتصاد في الكلام والإقتصار على النافع منه وهو ما ينبغي ملاحظته في تربية الناشئة وفي حديث حفص بن عاصم ﵁ مرفوعاً: **(كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع)** [٢].

إن الصدق كما أنه سمة البيت المسلم الرشيد، هو -كذلك- سبيل إلى

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الأدب (٤٩٩١)، وأحمد في مسند المكيين (١٥١٤٧).

(٢) رواه مسلم في المقدمة برقم (٥)، وأبو داود في كتاب الأدب (٤٩٩٣).

التحلي بسلسلة لا يستهان بها من مكارم الأخلاق المرتبطة بـالصدق كالعفـة والأمانة والوفاء، بل لا تكاد تجد خلقاً فاضلاً إلا وله عري تتداخل مع الصـدق وفي وشائج متلاحمة، وتأمل حديث صفوان ﷺ وفيه قول النبي ﷺ لما سئل أيكذب المؤمن قال (لا)! [١]، فجعل الصدق أمارة الإيمان.

عفة اللسان :

اللسان آلة النطق والبيان، وهي نعمة تميز بها الإنسان عن سائر البهائم، وللسان محاسنه بل لا تجاريه في المحاسن جارحه أخرى! وللسان -أيضـاً- آفاته الموبقة ومزالقه المهلكة، وعليه فإن مصير الإنسان يتقرر من لسانه! وفي حديث أبي هريرة ﷺ قال قال ﷺ: **(إن العبد ليتكلم بالكلمة ينزل بـها فـي النار أبعد ما بين المشرق والمغرب)** [٢].

ومما يستهين به كثير من الأباء حال الغضب الدعوة علـى الولـد فقـد يوافق ساعة إجابة فيتسبب في شقاوة ولده وفلذة كبده ولا سيما وفي حديث أبـي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: **(ثلاث دعوات مستجابات دعوة المظلوم ودعـوة المسافر ودعوة الوالد على ولده)**[٣].

---

(١) جزء من حديث رواه مالك في موطأه في كتاب الجامع حديث رقم (١٥٧١).

(٢) متفق عليه رواه البخاري في كتاب الرقائق حديث (٦٤٧٧) ومسلم في كتـاب الزهـد حديث (٢٩٨٨).

(٣) رواه الترمذي في كتاب الدعوات حديث (٣٤٤٨) وحسنه، ابن ماجة في كتاب الدعـاء (٣٨٦٢)، وأبو داود في كتاب الصلاة حديث (١٥٣٦)، وأحمد فـي مسـند المكـثرين (٧١٩٧).

وفي حديث أبي اليسر ﷺ مرفوعا: (**لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله تبارك وتعالى ساعة نيل فيها عطاء فيستجيب لكم**) [١].

ومما يعين الأباء على الإلتزام بالكلمة الموفقة المسددة شعورهم بقيمتها وأثرها وتباعاتها كما سبق في حديث من يزل بكلمته في النار أبعد ما بين المشرق ولمغرب، وأيضا التورط في لعن الوالدين وقد حذر منه النبي ﷺ كما في حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: (**إن أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه قال يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه**) [٢].

وفي اتخاذ السب عادة جرأة عظيمة فلئن كان سب المسلم فسقا لو سبه لمرة واحدة فكيف بمن يتخذ ذلك عادة! جاء في حديث عبدالله بن مسعود ﷺ قال قال النبي ﷺ: (**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**) [٣].

---

(١) رواه مسلم في كتاب الزهد حديث (٣٠١٤) وأبو داود في كتاب الصلاة حديث (١٥٣٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الإيمان حديث (٥٩٧٣) واللفظ له ومسلم في كتاب الإيمان (٩٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الإيمان حديث (٤٨) ومسلم في كتاب الإيمان حديث (٦٤).

ومع ذلك إدراك قيمة الكلمة الطيبة وآثارها في النفس وفي الحياة، وقد جاء في حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: **(الكلمة الطيبة صدقة)**[1].

ومن هنا فإن ترويض اللسان على محاسن الأقول وإلجامه بلجام العفلف والتقوى يبدا من سن مبكرة ويتحمل الأبوان مسئولياتهما التربوية يف تهذيب السنة الأولاد.

وأسلوب القدوة من أقوم الأساليب وأن جعلها في تربية الناشئة على عفة اللسان، فإذا كان الولد يسمع من أبويه أو أحدهما بذاءة اللسان من السب والعن والطعن والتنقص والكذب والنميمة وكثرة الحلف والحلف الكاذب، قلده في ذلك وجاراه وظن أن هذا من الذكاء والكياسة وترسخ ذلك لديه حتى يصبح ملكه على مر الأيام فيصعب تغييره وتحويره!

وأما إذا سمع منه قولا كريما ورأي هديا قويما تأسى به فصار له طبعا فسعد وأسعد غيره!.

إن المسلم يتميز عن غيره بعفة اللسان وسداد القول وهو مظهر من مظاهر سلامة الطوية وتكامل الرشد، قال الله تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾[2].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الجهاد حديث (٢٩٨٩) ومسلم في كتاب الزكاة (١٠٠٩).

(٢) سورة الإسراء : الآية ٥٣.

وقـــال: ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾ [١]. وقال: ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [٢]. وقـــال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [٣]. أي قصداً وحقاً صواباً، مـــأخوذ مـــن تسديد السهم ليصاب به الغرض، والقول السديد يعم الخيرات فهو عام في جميع ما ذكر وغير ذلك[٤].

ومن هدي النبي ﷺ قول أنس ﷺ: (**لم يكـــن النبـــي ﷺ ســـباباً ولا فاحشاً ولا لعاناً كان يقول عند المعتبة ما له ترب جبينه**) [٥].

وقوله ترب جبينه: كلمة تقولها العرب ولا تقصد معناها، وهو أصابـــه التراب ولصق به، وقيل تضمن الدعاء له بالطاعة والصلاة.

ومما يدخل في عفة اللسان الاعتدال في الكلام ويلزم منه ترك المدح بغير علم والمدح المبالغ فيه، كما في حديث عبدالرحمن بن أبي بكرة عن أبيـــه ﷺ قال: أثنى رجل على آخر عند النبي ﷺ قال له: (**ويلك! قطعـــت عنـــق**

---

(١) سورة النساء: الآية ٤٨.

(٢) سورة البقرة: الآية ٨٣.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٧٠.

(٤) تفسير القرطبي ٢٥٣/١٤.

(٥) رواه البخاري في كتاب الأدب حديث (٦٠٣١)، وأحمد في مســـند المكـــثرين حديـــث (١١٨٢٦).

أخيك -ثلاثاً- من كان منكم مادحاً لا محالة فليقل أحسب فلاناً والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحداً عن كان يعلم)[١].

فلا يمدح إلا بما يعرف، ولا يمدح إلا إذا وثق من أنه لا يخشى عليه من فتنة الإعجاب بنفسه لكمال تقواه ورسوخ عقله كما يقول النووي[٢].

فلا يمدح إلا بما يعرف، ولا يمدح إلا إذا وثق من أنه لا يخشى عليه من فتنة الإعجاب بنفسه لكمال تقواه ورسوخ عقله كما يقول النووي[٣].

وهذه الآداب ضرورية للولد منذ تمييزه بين الخير والشر، لأنها تنمي لديه ملكة الموازنة بين المصالح والمفاسد وإدراك عاقبة البر ومساوئ الفحش، فينشأ نشأة سوية بإذن الله.

إفشاء السلام :

الإسلام دين السلام والرحمة والوئام والسلام أمارة المسلم قال تعالى:

﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾[٤].

وهو من الأعمال الجليلة ومن أسباب دخول الجنة ففي حديث ابي هريرة ﷺ مرفوعاً: **(ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام**

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الأدب حديث رقم (٦١٦٢)، ومسلم في كتاب الزهد حديث رقم (٣٠٠٠).
(٢) المنهاج للنووي ١٨/٣٣٦.
(٣) المنهاج للنووي ١٨/٣٣٦.
(٤) سورة النساء: الآية ٩٤.

بينكم)[١].

ولو تأملنا سيرة النبي ﷺ لوجدناها حافلة بتعليم الصغار السلام وتربيتهم وتعويدهم عليه، تأمل الحديث ابي هريرة رضي الله عنه عنه ﷺ: **(يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير)** [٢].

وفي هذا الأمر والتوجيه النبوي الكريم إشعار للأولاد الصغار بمكانتهم الاجتماعية وأنهم أهل لمبادلة التحية مع من يكبرونهم سناً أو مقاماً، وان الصغير يحترم الكبير ويبدؤه بتحية السلام، هذا من الجانب النظري.

أما الجانب التطبيقي فكذلك هو متمم لجانب التلقين والتعليم، ولقد مر أنس رضي الله عنه على صبيان فسلم عليهم وقال: **(كان النبي ﷺ يفعله)** [٣].

وأحواله ﷺ في هذا أكثر من أن تحصى.

ومن آداب السلام التي ينبغي تربية الأولاد عليها:

- تعليمه صيغ السلام المشروعة بدءاً ورداً، أما البدء به فهو فضيلة كما

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان حديث (٥٤). والترمذي في كتاب الاستئذان حديث (٢٦٨٨) وابو داود في كتاب الأدب حديث (٥١٩٣)، وابن ماجة في المقدمة حديث (٦٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الاستئذان حديث (٦٢٣١) واللفظ له، ومسلم في كتاب السلام حديث (٢١٦٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الاستئذان حديث (٦٢٤٧)، ومسلم في كتاب السلام حديث (٢١٦٨).

سبق فيسلم الصغير على الكبير، فيقول السلام عليكم. ولما في إفشاء السلام ن تعزيز لأواصر المحبة والألفة والمودة بين المسلمين.

- والصيغة الأكمل وهي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
- وأن رد السلام واجب وبدؤه سنة وفي وجوب الرد قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾ [١].
- وأن السلام ينبغي أن يفشى بين أفراد المجتمع على إختلاف درجاتهم فلا يقتصر على المعرفة ولا يكون بين الكبار فقط، ولا يكون عند الحاجة أو لغرض فإذا انقضت الحاجة فلا سلام!! فإن هذا كله من الجهل والسفه وقلة الخير..

ففي حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال: سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أي الإسلام خير؟ قال: (**تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**)[٢].

- وأن هجر المسلم لا يجوز فوق ثلاث. ففي حديث ابي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم: (**لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**) [٣].

---

(١) سورة النساء: الآية ٨٦.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الإيمان (١٢) ومسلم في كتاب الإيمان (٣٩).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الأدب حديث (٦٠٧٧) ومسلم في كتاب البر والصلة حديث (٢٥٦٠).

آداب الإستئذان :

الأولاد الصغار -كما هو معروف- يكثر منهم الفضول وتكثر مع ذلك حاجتهم إلى التهذيب والتوجيه، وأدب الاستذان من الآداب الإسلامية التي ينشأ عليها المسلم منذ صباه، ولقد تنزلت آيات من القرآن العظيم تحض المسلمين على إلزام الأولاد قبل بلوغ الحلم بهذا الأدب في ثلاثة أوقات، فإذا بلغوا وصاروا مكلفين استأذنوا في سائر الأوقات التي يجب فيها الاستئذان، قال الله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١).

ثم قال منوهاً بأن وجوب الاستذان يسري على البالغين جميعاً: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٩) ﴾ .

وعليه فإن هاتين الآيتين ليستا بمنسوختين ولا ناسختين كما زعمه بعض المفسرين، وهذا هو اختيار أماثل المفسرين كابن كثير.

---

(١) سورة النور: الآيتان ٥٨-٥٩.

وقال ابن الجوزي: وأكثر علماء المفسرين على أن هذه الآية محكمة ثم علل ذلك فقال: لأن معنى هذه الآية: وإذا بلغ الأطفال منكم أو من الأحرار الحلم فليستأذنوا في جميع الأوقات في الدخول عليكم (كما استأذن الذين من قبلهم) يعني كما استأذن الأحرار الكبار الذين هم قبلهم في الوجود، وهم الذين أمروا بالاستئذان على كل حال، فالبالغ يستأذن في كل وقت، والطفل والمملوك يستأذنان في العورات الثلاث.

فالأولاد يؤمرون بالاستئذان في الأوقات الثلاثة قبل البلوغ، وفي قوت بعد البلوغ، عملاً بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[1].

ومن الآداب المتعلقة بالاستئذان مما يربى عليه الولد تعليمهم بحرمة البيوت وأن لها عوراتها المصونة، فلا يجوز النظر إلى داخل بيوت الغير لا من ثقب الباب ولا من غيره، ففي حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: إطلع رجل من جحر في حجر النبي ﷺ ومع النبي ﷺ مدرى يحك بها رأسه فقال: **(لو أعلم أنك تنتظر لطعنت به في عينك إنما جعل الاستئذان من أجل البصر)**[2].

---

(١) سورة النور: الآية ٢٧.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الاستئذان حديث (٦٢٤١) ومسلم في كتاب الآداب حديث (٢١٥٦).

وعليه فقد قال لفيف من العلماء لو طعن صاحب البيت في عين المتلصص عليه لم يضمنه ولكان هدراً لأنه أهدر حرمة البيت وخالف آداب المسلمين، فعن أبي هريرة ﷺ قال قال النبي ﷺ: **(لو اطلع في بيتك أحد ولم تأذن له حذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك جناح)** [١].

ومن آداب الاستئذان أنه لو استأذن وقيل له من؟ فلا يقول أنا بل يسمى نفسه أو كنيته أو صناعته بما يعرف به، وتعريف الولدان هذا الآدب أكد لكثرة وقوعهم في ضده وجهلهم بحكمه وغفلتهم عنه وفي حديث جابر ﷺ قال: **أتيت النبي ﷺ في دين كان على أبي فدققت الباب فقال: (من ذا)؟ فقلت: أنا. قال: (أنا أنا)!! كأنه كرهها**[٢].

وإذا لم يؤذن له بعد ثلاث مرات فليرجع طيب النفس دون إزعاج ولا صراخ كما يفعل السفهاء والسفلة، وفي حديث أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ: **(إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع)** [٣].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الديات حديث (٦٨٨٨)، واللفظ له، ومسلم في كتاب الآداب حديث (٢١٥٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الاستئذان (٦٢٥٠) ومسلم في كتاب الأداب حديث رقم (٢١٥٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الاستئذان حديث (٦٢٤٥) ومسلم في كتاب الأداب حديث (٢١٥٣).

هذا ومن صور الاستئذان التي ينبغي أن لا يغفلها الأباء الاستئذان المتضمن بيان الحكم كما في حديث سهل بن سعد ﷺ قال: (**أتي النبي ﷺ بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ فقل للغلام: (أتأذن لي أن أعطي هؤلاء)؟ فقال الغلام: والله يا رسول الله! لا أوثر بنصيبي منك أحداً!! قال: (فتله رسول الله ﷺ في يده)** [١].

وإنما فعل ذلك تطييباً لقلبه ولبيان الحكم وأن السنة تقديم الأيمن فالأيمن ولو كان مفضولاً بالنسبة إلى من على اليسار كما يقول النووي.

وقد ذكر ابن حجر تعليلات أخرى يتعلم منها الأكياس أساليب الدعوة وتأليف القلوب فليرجع إليه من شاء[٢].

وقد بسطت الكلام في هذه المسالة وما يتعلق بها من آداب وآثار في كتابي أدب الاستئذان فليراجعه من أراد[٣].

وبالله التوفيق،،

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب المساقاة (٢٣٥١) ومسلم في كتاب الأشربة (٢٠٣٠).

(٢) أنظر الفتح ٨٦/١٠.

(٣) أدب الاستئذان للمؤلف ط ١٤٠٩هـ دار المجتمع جدة.

صدق الوعد:

صدق الوعد لون رفيع من صدق اللسان، وهو من أمارات الإيمان، كما أن الكذب وخلف الوعد من أمارات النفاق، فعن أبي هريرة ﷺ قال قال النبي ﷺ : **(أية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان)** [(١)].

وتربية الولد على صدق الوعد تبدأ من خلال تعامله مع الوالدين الصادقين، الذين إذا وعداه وفياه! فهو يتربى على هذا بطريق القدوة العملية التطبيقية التي هي أنجح وسائل تربية الأولاد لاسيما في سن التمييز وما يليها من مراحل عمر الإنسان.

وتبدوا أهمية التربية على هذا الخلق الإسلامي الجليل -إضافة إلى ما سبق التنويه عنه من أمارات الإيمان- من خلال سلسلة أخلاقية تتعاظم في درجاتها مما يطالب بها المسلم، فمن ذلك الوفاء بأعظم العهود وهو عهد الله تبارك وتعالى قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [(٢)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الإيمان حديث رقم (٣٣)، ومسلم في كتاب الإيمان حديث (٥٩).

(٢) سورة النحل: الآية ٩١.

وقال: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [(١)].

والعهد هنا يشمل الإيمان بالله وما يستلزمه من توحيده والإخلاص له وأداء الفرائض... وغير ذلك من أمور الدين، كما يشمل عهود الناس وعقودهم التي يتعاملون بها بينهم[(٢)].

وفي الوفاء بالعهود التي بين العباد يقول تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ﴾ [(٣)]. ويقول سبحانه : ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَـٰقَ ﴿٢٠﴾﴾ [(٤)].

وكل هذه العهود والمواثيق المناطة بذمة المسلم إنما ينتهض لها أولوا العزم ممن كان مرباه منذ الصغر على خلق الوفاء بالعهد بعد توفيق الله ومشيئته، لأن ما تعود عليه الإنسان منذ الصبا وصار له طبعاً يكون أثبت في فؤاده وأسهل في أسلوب تعامله وجاري أخلاقه، والوفاء بالعهد من مستلزمات الإيمان بالله وباليوم الآخر، وعليه فإن تربية الأولاد على عقيدة الإيمان بالله وتوحيده وما يستتبع ذلك من لوازمه كالخوف والخشية والرجاء وتعلق القلب به سبحانه مما يندرج في أوليات اهتمامات الوالدين بتربية الأولاد، كي ينشأ نشأة إسلامية سوية.

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٣٤.

(٢) أنظر تفسير القرطبي ٣٣٢/١ وتفسير ابن كثير ٤٥/٣.

(٣) سورة المائدة: الآية ١.

(٤) سورة الرعد: الآية ٢٠.

رحمة الضعيف:

الرحمة في ذاتها من سمات أهل الجنة! كما في حديث أسامة بن زيد ﷺ عن النبي ﷺ: **(وإنما يرحم الله من عباده الرحماء)**[١]

فغرس الرحمة في فؤاد الوالد منذ نعومة أظفاره ليكون رقيق القلب غزير الدمع شفقة وحنوا، فياض المشاعر مرهف الحس، يتأثر بأحوال المساكين والبؤساء والمحرومين... هو مطلب شرعي وخلق إسلامي نبيل يؤمر به الوالدين والمربون والمعلمون.

والرحمة بمفهومها الواسع تأخذ أبعاداً أخلاقية متعددة، فالأمة الإسلامية أمة رحمة والمسلمون دعاة سلام ورحمة وبر، والبر بالضعفاء ورحمتهم من أخلاق المسلمين الأصيلة لأنهم يتراحمون وتتدرج التربية على الرحمة على عدة درجات منها:

- رحمة الولد والحنو عليه والشفقة به، وإحاطته بمشاعر المحبة والرقة والحنان والرعاية منذ تدرجه في مدارج الطفولة الأولى، فلقد كان النبي ﷺ وهو نبي الرحمة يقول كما في رواية أنس ﷺ: **(إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد أن أطيلها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه عليه)**[٢].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الجنائز حديث (١٢٨٤) ومسلم في الجنائز (٩٢٣).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري في كتاب الآذان حديث (٧٠٩) ومسلم في كتاب الصلاة (٤٧٠).

وكانت الرحمة بالصبيان والصبايا الصغار تجري منه ﷺ مجرى الدم من العروق، فهو ﷺ مع قيامه بأعباء الرسالة يخصص وقتاً من عمره الشريف للأطفال يداعبهم ويحنو عليهم ويدعو لهم، ومما تزخر به كتب السنة في هذا الجانب التربوي الهام حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: **(كان النبي ﷺ يؤتى بالصبيان فيدعوا لهم، فأتي بصبي فبال على ثوبه فدعا بماء فأتبعه إياه ولم يغسله)** [١]. **ويقول أبو موسى ﷺ: (ولد لي غلام فأتيت به النبي ﷺ فسماه إبراهيم فحنكه بتمرة ودعا له بالبركة ودفعه إلي)** وكان أكبر أولاد أبي موسى[٢].

وكان ﷺ مع أسلوبه العملي هذا يوجه إلى الرحمة بالأطفال والمساكين كما في حديث أبي هريرة ﷺ: **(الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وكالذي يصوم النهار ويقوم الليل)**[٣].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قبل رسوله الله ﷺ الحسن أو الحسين وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الدعوات حديث (٦٣٥٥) ومسلم في كتاب الطهارة (٢٨٦).

(٢) رواه البخاري في كتاب العقيقة حديث رقم (٥٤٦٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الآدب حديث (٦٠٠٦) واللفظ له ومسلم في كتاب الزهد والرقاق حديث رقم (٢٩٨٢).

أحداً منهم، فنظر إليه النبي ﷺ فقال: **(من لا يرحم لا يرحم)** [(١)].

- تعريف الولد بحق القريب الضعيف فإن حقه مقدم على المسكين غير القريب، قال تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ ﴾ [(٢)].

- تعليمه هذا الأدب وتمرينه عليه ليعلم أن الكبير يحترم ويوقر سواء كان كبير سن أو مقام، وأن الصغير يرحم، وأن هذا من آداب المسلمين وأخلاقهم التي لا يصح التهاون بها أو التفريط فيها، فعن أنس رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ: **(من لم يرحم صغيرنا ويعرف كبيرنا فليس منا)** [(٣)].

وهذا التراحم إذا استشعره كل مسلم وأدى ما عليه فيه كان عاملاً مهماً من عوامل ترابط الأمة الإسلامية وتكامل وتساند بنيانها كما في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ: **(ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكي عضوا تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمى)** [(٤)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الأدب حديث (٥٩٩٧) ومسلم في كتاب الفضائل حديث رقم (٢٣١٨).

(٢) الإسراء : الآية ٢٦.

(٣) رواه أبو داود في كتاب الآداب حديث (٤٩٤٣) واللفظ له، والترمذي في كتاب البر والصلة حديث (١٩١٩) وقال حديث غريب، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة حديث (٦٧٧٦).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الآدب حديث (٦٠١١) ومسلم في كتاب البر والصلة حديث (٢٥٨٦).

ويبدأ ذلك من البيت المسلم بتعليم الأولاد خلق الرحمة والتراحم بكل صوره الممكنة نظرياً وعملياً ليتعلمها ويتمرس عليها.

قال ابن حجر قال ابن أبي جمرة: الذي يظهر أن التراحم والتوادد والتعاطف وإن كانت متقاربة في المعنى لكن بينها فرق لطيف، فأما التراحم فالمراد به أن يرحم بعضهم بعضاً بأخوة الإيمان لا بسبب شيء آخر، وأما التوادد فالمراد به التواصل الجالب للمحبة كالتزاور والتهادي، وأما التعاطف فالمراد به إعانة بعضهم بعضاً كما يعطف الثوب عليه ليقويه[١].

وهذه المعاني المنبثقة من الرحمة والراجعة إليها، تشملها كلها التربية الأبوية التي ينبغي أن ينشأ عليها الولد منذ صباه، كي يكون عارفاً بمرامي الرحمة واعياً مستوعباً لمستلزماتها قائماً بها.

الرفق بالحيوان:

تعيش البهائم والعجماوات بين الناس وقد سخرت لهم، وهيأ الله عز وجل للإنسان سبل تطويعها وتسخيرها لمنافعه، وأوجب عليه مراعاة الجوانب الإنسانية والضوابط الأخلاقية في التعامل معها ومن ذلك الرفق واللين وتجنب العنف والغلظة، وجعل ذلك من جملة المعروف الذي يؤمر به وتركه من المنكر الذي ينهي عنه.

---

(١) الفتح ٤٣٩/١٠.

عن ابن عمر ﷺ قال قال النبي ﷺ: (**دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض**) (١).

وعليه فلا يجوز تجويع البهائم ولا حبسها لغير حاجة ولا تعذيبها ولا التلهي والتسلية بإيذائها كما يفعل السفهاء فيما يسمى بمصارعة الديكة ومصارعة الثيران وتناطح الكباش ونحو ذلك مما ليس من أخلاق المسلمين، ولا هو من عوائدهم بل إنما يعرف في بلاد الكفرة من الإفرنج وغيرهم.

والولد -كما هو مشاهد معروف- كثير الشغف بالحيوانات لاسيما الصغيرة منها كالطيور والقطط وما شابهها، ويجب تعليمه الرفق بها وتجنب مضارتها وليكون ذلك جملة من التربية التي ينشأ عليها، سواء ما يكون في بيته أو في الحدائق العامة أو في أي مكان.

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يراعون غرس هذا الخلق في أولادهم فيأمرونهم بالرفق وينهونهم عن ضده، ومن ذلك أن أنساً ﷺ رأي غلماناً نصبوا دجاجة يرمونها فقال: (**نهى النبي ﷺ أن تصبر البهائم**) (٢)، وصبر البهائم: حبسها وهي حية لتقتل بالرمي ونحوه، وما رواه سعيد بن جبير -رحمه الله- قال كنت عند ابن عمر ﷺ فمروا بفتية نصبوا دجاجة يرمونها

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب بدء الخلق حديث (٣٣١٨) واللفظ له، ومسلم في كتاب السلام حديث رقم (٢٢٤٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الذبائح حديث (٥٥١٣) ومسلم في كتاب الصيد (١٩٥٦).

فلما رأوا ابن عمر تفرقوا عنها، وقال ابن عمر: (من فعل هذا إن النبي ﷺ لعن من فعل هذا).

وقال ابن عمر: **(لعن النبي ﷺ من مثل بالحيوان)** [١].

والبر وبالوالدين خلق يربى عليه الولد منذ الصغر لاسيما البر بالأم وحقها أعظم وأكد، وذلك من خلال مظاهره الكثيرة كخفض الصوت عند مخاطبة الوالدين وتقبيلها واستئذانهما عند الخروج من البيت، ومناداتهما بسمة الأبوة والأمومة، ونحو ذلك مما يستوعبه عقل الطفل المميز.

ثم ومع تقدم السنين يربى على سمات البر بهما بتبصيره بحقوقهما ومكانتها في الدين، وأن البر بهما أفضل الأعمال بعد الصلوات المفروضة وأنه مقدم على جلائل الأعمال كالجهاد في سبيل الله كما في حديث النبي ﷺ: لما سأله عبدالله بن مسعود ﷺ **أي عمل أحب إلى الله؟ قال (الصلاة على وقتها) قال ثم أي؟ قال: (ثم بر الوالدين) قال ثم أي؟ قال: (الجهاد في سبيل الله)** [٢].

وتعريفهما بعد ذلك بالعقوق وصوره وشناعته وقبحه وأنه ليس من أخلاق المسلمين.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الذبائح حديث (٥٥١٥) ومسلم في كتاب الصيد (١٩٥٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الأدب حديث (٥٩٧٠)، ومسلم في كتاب الإيمان حديث (٨٥).

وحتى إذا راهق الولد الحلم عرف حق والديه واستقر ذلك في نفسه وتمرس على أدائه والقيام به، وكلما تقدمت به السن إزداد بره بوالديه وكثر دعاؤه لهما كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ [1].

وكثير من الأباء الذين يتجرعون غصص العقوق من أولادهم إنما يذوقون وبال أمرهم بإهمالهم التربية في الصغر، ومنه قول قائلهم يا أبت أهملتني صغيرا وعققتك كبيرا!

مراعاة حقوق الجيران:

للجار حق عظيم في الإسلام، وهو حق لا يستهان به، وحسبنا في تعظيمه قول الله تعالى: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [2].

ففي هذه الآية الشريفة نوه تعالى عن ثلاثة أنواع من الجيران:

---

(١) سورة الأحقاف: الآية ١٥.

(٢) سورة النساء: الآية ٣٦.

١- (الجار ذي القربى) وهو الذي بينك وبينه قرابة وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، أو هو الجار المسلم، وتكون القرابة قرابة الإسلام.

٢- (الجار الجنب) وهو الغريب مسلماً كان أو يهودياً أو نصرانياً وهو اختيار الطبري، أو هو الجار عن يمينك وشمالك وبين يديك وخلفك وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

٣- (الصاحب بالجنب) وهو الزوجه أو الرفيق في السفر(١).

وهذا يدل على أن للجار في الإسلام مكانة عالية بينها النبي ﷺ بقوله كما في حديث عائشة رضي الله عنها: **(ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)** (٢)، أي يأمر الله بتوريث الجار جاره قال ابن حجر: واسم الجار يشمل المسلم والكافر والعابد والفاسق والصديق والعدو والغريب والبلدي والنافع والضار والقريب والأجنبي والأقرب دارا والأبعد وله مراتب بعضها أعلى من بعض ثم شرع يفصلها(٣).

ولعل من أهم أساليب تربية الأولاد على مراعاة حقوق الجيران بعد تعليمهم وتبصيرهم بها، الممارسة العملية كالزيارة وتفقد الأحوال والمواساة والإهداء والإتحاف والعون المادي والمعنوي، فالابن إذا اصطحب أباه في

---

(١) زاد المسير ٢/٧٩.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الأدب حديث (٦٠١٤) ومسلم في كتاب البر والصلة حديث (٢٦٢٤).

(٣) أنظر الفتح ١٠/٤٤١.

زيارة أو ناول جاره هدية، وبصره والداه من قبل ذلك بحق الجيرة بأسلوب القصة وغيرها تعود على ذلك وأحبه ورسخ في قلبه.

ولقد كان النبي ﷺ يتبع هذا الأسلوب العملي فلقد كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقال: (أسلم) فأسلم. رواه أنس رضي الله عنه[١].

وقال ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه في الإهداء وتعهد الحاجات **(يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك)**[٢].

وقال في حض المسلم على أن يكون طويل البال واسع الصدر مع جاره لا سيما فيما يتعلق بالأمور المعاشية: **(لا يمنع أحدكم جاره أن يغرز خشبة في جداره)** قال أبو هريرة رضي الله عنه مالي أراكم عنها معرضين والله لأرمين بها بين أكتافكم[٣].

وسلسلة الحقوق المتعلقة بالجيرة أكثر من أن تحصى في مثل هذا المقام،

---

(١) رواه البخاري في كتاب المرضى حديث رقم (٥٦٥٧) وأبو داود في كتاب الجنائز حديث (٣٠٩٥).

(٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة حديث (٢٦٢٥)واللفظ له، والترمذي في كتاب الأطعمة حديث (١٧٥٦) وابن ماجة في كتاب الأطعمة حديث (٣٣٦٢) وأحمد في مسند الأنصار حديث (٢٠٤١٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب المظالم حديث (٢٤٦٣) واللفظ له، ومسلم في كتاب المساقاة حديث رقم (١٦٠٩).

ولعل في هذا القدر كفاية وبالله التوفيق.

التسامح :

التسامح والعفو والحلم والأناة، أخلاق إسلامية جليلة بعضها يرادف البعض الآخر، وكلها تعود بالنفع والخير العميم على المجتمع بأسره.

والتسامح خصلة عزيزة على النفس لأن الطبيعة البشرية مفطورة على الشح والأنانية وحب الذات والرغبة في الإنتقام.. فالتسامح وهو البلسم الشافي لعلل النفوس يتطلب تربية مبكرة كي يسهل على الإنسان إبان كبره وهو يواجه أصناف الناس وطبائعهم المتباينة، وفي روح التسامح التي يتصف بها الصالحون يقول تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾ [١].

وأسلوب القدوة والتربية الرفيقة اللينة البعيدة عن العنف وعن الغلظة تغرس في الولد روح التسامح وتترعرع شجرته في فؤاده مع حسن التوجيه، ولنتأمل هذا الأسلوب الرفيق من سنة النبي ﷺ، قال أنس **كان النبي ﷺ من أحسن الناس خلقا، فأرسلني يوما لحاجة فقلت والله لا أذهب وفي نفسي أن أذهب لما أمرني رسول الله ﷺ فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق فإذا رسول الله ﷺ وقد قبض بقفاي من ورائي، قال فنظرت إليه**

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٦٣.

وهو ضحك!! فقال: (يا أنيس! اذهبت حيث أمرتك)؟ قال قلت نعم أنا أذهب يا رسول الله، قال أنس: (والله لقد خدمته سبع سنين ما علمته قال لشيء صنعته لم فعلت كذا وكذا أو لشيء تركته هلا فعلت كذا وكذا) [١].

والإعتدال في التسامح هو المعنى الذي تقضيه الحكمة، وهو الذي لا يضيع معه حق ولا يترك في النفس مذلة أو شعورا بالظلم ولا يكون معه إهدار لقيم أو مبادئ.

الحشمة والحياء :

الحياء خلق إسلامي نبيل، والحياء من الإيمان، و(**الحياء لا يأتي إلا بخير**) كما في رواية عمران بن حصين ﵁ مرفوعا[٢].

(ولقد كان النبي ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها فإذا رأي شيئا يكرهه عرف في وجهه) كما يقول ابو سعيد الخدري ﵁[٣].

قال الراغب: الحياء انقباض النفس عن القبائح وتركه لذلك[٤].

---

(١) رواه مسلم في كتاب الفضائل حديث (٢٣١٠) وأبو داود في كتاب الآدب حديث (٤٧٧٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الآدب حديث (٦١١٧) ومسلم في كتاب الإيمان حديث (٣٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الآدب حديث (٦١٠٢) ومسلم في كتاب الفضائل حديث (٢٣٢٠).

(٤) مفردات القرآن ص ١٤٠ كتاب الحاء.

وقال ابن حرج رحمه الله تعالى: الحياء في اللغة تغيير وإنكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به، وفي الشرع خلق يبعث على إجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق[(١)].

ومن مستلزمات التربية على خلق الحياء إيقاف الولد على مساوئ ما هو ضده من الفحش والبذاءة وسوء العشرة، والنبي ﷺ لم يكن فاحشاً ولا مفتحشاً وقال: **(إن من أخيركم أحسنكم أخلاقاً)** رواه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما[(٢)].

ولعل البنت أحوج من الإبن إلى التربية على خلق الحشمة والحياء لما يكتنف الأنثى من واجب التستر والحجاب والعفاف، وما الحياء إلا متمم لهذه الخصال التي أكرم بها الدين الحنيف المؤمنات.

ففي عالم الألبسة والأزياء ينبغي للابوين إختيار اللباس المحتشم للفتاة منذ صغرها، وحتى وهي إبنة أربع سنين ونحو ذلك لتتعود عليه وتألفه ولا تأنفه حال كبرها، فإن الملاحظ أن الفتيات اللاتي تهاون أهاليهن في تربيتهن على الحشمة والتستر حال صغرهن لأنهن -كما يقولون- لسن عورات ولم يبلغن مبلغ النساء وليس فيهن دواعي الإثارة والفتنة.. وجدن صعوبة في

---

(١) الفتح ٥٣/١.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الأدب حديث (٦٠٢٩) واللفظ له، ومسلم في كتاب الفضائل حديث (٢٣٢١).

التستر حال البلوغ، بل وتتثاقل إحداهن إذا لبست الحجاب السابغ، والله عز وجل يقول للمؤمنات: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٩﴾ ﴾[1].

وأكثر ما يتورط فيه الآباء في موضوع الحشمة تهاونهم في أزياء الأولاد من البنين والبنات، وتساهلهم في إسداء التوجيه والنصح بالإعتزاز بزي المسلمين المحتشم السابغ، وقد قال عمر ﷺ محذرا من أزياء الكفار: (.. وذروا التنعم وزي العجم وإياكم والحرير، فإن رسول الله ﷺ نهى عنه)[2].

والحرير في شريعتنا الغراء إنما يباح للنساء دون الرجال.

العفو والحلم:

الغريزة الغضبية متأصلة في الإنسان على إختلاف مراحل عمره، وللغضب المذموم عواقبه السيئة في نفسية الغاضب وعقله وتصرفه، وفيمن حوله، لذا ورد في حديث أبي هريرة ﷺ لما سأل رجل النبي ﷺ فقال

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٥٩.

(٢) رواه أحمد في مسند العشرة حديث (٢٨٤).

أوصني. قال: **(لا تغضب)** فردده مراراً[١].

ولقد دعا الإسلام إلى كظم الغيظ والعفو عن الناس واحتمال جهلهم وسفههم ومقابلتهم بالعفو والحلم والصبر إيثاراً للسلامة ودفعاً لغوائل السوء، ووعد على ذلك الأجر العظيم.

ومن أنجع الأساليب التي تزرع في الأولاد هذا الخلق الفاضل (الحلم والعفو) بعد غرس الإيمان بالله في نفوسهم ورجاء رحمته والخشية منه ومن عقابه، تعليمهم بطريق الممارسة والمتابعة كبح جماح النفس والتسامي على نوازع الشر فيها، وترويضها على الحلم والأناة والبصر بالعواقب فإن هذا هو الأسلوب الأمثل لمعالجة أدواء النفس، وإليه أشار حديث أبي هريري ﷺ عن النبي ﷺ وهو المربي الأول ﷺ قال **(ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)** [٢].

ومن تهذيب النفس وترويضها معاملتها بما يناسب الغلط الحاصل منها كما في كفارة من لطم خادمه ولم تطاوعه نفسه على الحلم والعفو، وذلك في قصة من عجل فلطم خادماً له فقال له سويد بن مقرن ﷺ : **(عجز عليك إلا حر وجهها لقد رأيتني سابع سبعة من بني مقرن ما لنا خادم إلا واحدة لطمها**

---

(١) البخاري في كتاب الأدب حديث (٦١١٦) وأنظر الفتح ٥٢٠/١٠.

(٢) متفق عليه رواه البخاري في كتاب الأدب حديث (٦١١٤) ومسلم في كتاب البر والصلة (٢٦٠٩).

أصغرنا فأمرنا رسول الله ﷺ أن نعتقها) [١].

إن التربية على الحلم والعفو غاية عظمى من غايات التربية الإسلامية ذلك لأنه يسهم بشكل كبير في إيجاد الإنسان الصالح والمواطن الصالح والمسلم المسالم، الذي يؤثر العافية ليس جبنا، بل أخذا بالحكمة والفطنة في تغليب الخير والأخذ بدواعيه وقطع الشر وأسبابه! وفي حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ: **(أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم)** [٢].

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان حديث (١٦٥٨) وأبو داود في كتاب الأدب حديث (٥١٦٧)، والترمذي في كتاب النذور حديث (١٥٤٢) وقال حسن صحيح.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري ي كتاب الأحكام حديث (٧١٨٨) ومسلم في كتاب العلم حديث (٢٦٦٨).

المبحث الرابع

تحصين الأولاد ضد الغزو الفكري وبيان اهم مبادئ الاسلام في ذلك

نعيش في عصراً تتماوج فيه الإتجاهات الفكرية وتتباين، ويشهد جيلنا اضطراباً فكرياً يأخذ مدى بعيداً في توجيه الشباب والناشئة وجهات شتى تنأى به عن الجادة التي هدى إليها ديننا القويم!

بل إن الساحة الإسلامية يحتدم فيها النزاع وتشتد فيها المنافسة بين القنوات الإعلامية المتعددة – مقروءة ومسموعة ومرئية – وتحمل الغث والسمين مما هو مبثوث من داخل المجتمعات الإسلامية أو ما يفد إليها من مجتمعات شتى، وهذا ما يؤكد ما ذهب إليه المختصون في دراسة الغزو الفكري من أن (الفكر والثقافة والأيدلوجيات) هي محور الصراع الذي تخطط له القوى العالمية الغازية، التي تهدف فيما تهدف إليه العمل الدائب على (تحويل) التوجه الفكري الثقافي لدى شباب المسلمين إلى الوجهات العلمانية والمادية التي تسود الفكر العالمي بعيداً عن معطيات الإسلام، كي ينشأ الشباب الإسلامي مبتوت الصلة بدينه القويم، مفتوناً بحضارة الغرب وعوائدها، مشرباً بالروح المادية متطلعا إليها، وأن يظل على هذا الحال لا يملك الفكاك منه ولا الحيد عنه!!.

وعلى هذا فإن حماية الناشئة وصيانتهم من آفات هذا المد الإعلامي الثقافي وأوضاره وخبثه مسئولية تقع على كامل الأبوين ثم رجال التربية بالمقام الأول..

ولقد أخذ الغزو الثقافي إمتداداً عميقاً في أوساط الشباب، وأحدث شروخاً كثيرة في بنيان المجتمع الإسلامي، الأمر الذي يعطي دلالات على تقصير الكثير من الآباء والتربويين في النهوض بواجباتهم ومسئولياتهم التربوية نحو الأولاد، وأن جهودهم لم تكن في المستوى المواكب المكافئ للغزو الفكري المقنن ولنختر إختصاراً- ثلاثة أخطار هي في بؤرة الغزو الثقافي الذي يعاني من أوضاره عامة الأولاد في البلاد الإسلامية، ويتحتم على الآباء إدراك أبعادها والعمل على تحصين الشباب منها ووقايتهم:

خطر المخدرات، والبطالة، الافتتان بحضارة الغرب.

- أما المخدرات فسموم حرمها ديننا الحنيف على إختلاف أنواعها وصور تعاطيها ودرجات تأثيرها، عن عائشة رضي الله عنها قال قال ﷺ: **(كل شراب اسكر فهو حرام)** [1]، ولئن كان المسكر حراماً فكيف بما هو أعظم منه تأثيراً وأخطر عاقبة، وفي حديث أم سلمة **(نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر)** [2]، وفي تحريم مقداره أياً كان حديث عمرو بن شعيب رضي الله عنه مرفوعاً: **(ما أسكر كثيره فقليله حرام)** [3].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الوضوء حديث (٢٤٢) ومسلم في كتاب الأشربة حديث رقم (٢٠٠١).

(٢) رواه أبو داود في كتاب الأشربة حديث (٣٦٨٦) وأحمد في مسند النصار حديث (٢٥٤١٦).

(٣) رواه النسائي ي كتاب الأشربة حديث (٥٦٠٧) وابن ماجة في كتاب الأشربة حديث (٣٣٩٤) وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة حديث (٦٢٧١).

وعلى الآباء أن يدركوا مدى خطورة المخدرات التي حرص أعداء الإسلام على تدمير شباب المسلمين بها، إذ تدمر في متعاطيها الإرادة وتقتل فيه العزيمة وتستنزف منه الأموال وتحيله إلى كائن كل لا أهلية له في القيام بشيء..

ودور الآباء في هذا يتناول الوقاية والعلاج، أما الوقاية بتبصير الشباب بهذه السموم والآفات المهلكة، وبملء أوقاتهم بكل مفيد نافع، وبتعليمهم امور الدين فما من شيء يحفز المرء فيقيه الآفات مثل قوة الديانة، وأما العلاج فبتخليصهم منها أن تورطوا فيها، وبالتعاون مع الجهات الأمنية المعنية بمكافحة المخدرات. وقد وفق الله ولاة الأمر في المملكة فنفذوا حكم الله تعالى في مهربي ومروجي السموم بقتلهم تعزيراً وبلادنا على هذا من أقل البلاد التي تشكو من داء المخدرات ولله الحمد، ودور الأبوين في تجنيب الأولاد هذه السموم دور غير يسير لاضطلاعهما بالمسئوليات التربوية منذ سن مبكرة، ولقيامها بتلك المسئوليات برغبة تدفعها الفطرة والجبلة، وبباعث الديانة والأمانة وهذا مالا يتوفر في غير الوالدين المسلمين.

- الخطر الثاني: الباطلة، وهي في مفهومها العام الفراغ مما يملأ الوقت ويشبع الرغبات والميول، ولقد أعطى الإسلام الإنسان مقومات الحياة وحضه على إستغلال خيرات الأرض والنهوض بعمارتها والضرب في مناكبها، وأن يعمر أوقاته بذكر الله وعبادته، فيعمل لدنياه كأنه يعيش أبداً ويعمل لغده كأنه يموت غدا، قال تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا

تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (١).

وعلى الآباء كما سبق بيانه تعليم الأولاد أمور الدين وأحكام العبادات لا سيما الفروض، وكذلك تعرفهم بأمور المعاش بتدريبهم على مهنة أو صنعة، مع توفير سبل الترفيه والترويح في الإطار المشروع وبالقدر الضروري المعتدل، كي لا يقعوا فريسة البطالة والفراغ بكل أنواعه: الفراغ العاطفي والفراغ الثقافي والفراغ الروحي والفراغ النفسي، فإن الفراغ يجلب الهم والغم، ويورث الإنسان الكسل والعجز والتواكل ويورطه في بلاء قد يطول شره.

ولقد كان النبي ﷺ يقول كما في حديث أبي طلحة رضي الله عنه: **(اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وضلع الدين وغلبة الرجال)** (٢).

ولنا فيه أسوة حسنة بالأخذ بهذا الدعاء المسنون، وبالعمل على تجنيب الأولاد داء البطالة من كل طريق مشروع يقدر عليه.

ومن تدبر توجيهات الدين الحنيف في أهمية ملء الفراغ وبأهمية إقامة

---

(١) سورة القصص: الآية ٧٧.

(٢) رواه البخاري في كتاب الدعوات حديث رقم (٦٣٦٣)، وابو داود في كتاب الصلاة حديث (١٥٤١) والترمذي في كتاب الدعوات (٣٤٠٦) والنسائي في كتاب الاستعاذة حديث (٥٤٥٣).

الموازنة ف يذلك وجده أتم نظام وأحكم بيان، فلقد ذم الذين لا يعرفون من الحياة إلا المتع والشهوات فيعيشون لها ومن أجلها قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ ﴾ [1].

وذم الذين لا نصيب لهم في عبادة الله والتذلل له فأرواحهم خاوية وقلوبهم ميتة قال تعالى: ﴿ بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم ﴾ [2]. وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [3].

وذم الذين يؤثرون الفانية على الباقية ويرغبون عن النهج الراشد فقال: ﴿ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۢ بَعِيدٖ ﴾ [4].

وحذر من تلقف الأفكار والثقافات الضالة المضلة التي تعبث بعقل الإنسان وترديه قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ

---

(١) سورة محمد الآية ١٢.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٤٢.

(٣) سورة الأحقاف : الآية ٣.

(٤) سورة إبراهيم : الأيتان ٢-٣.

ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [(١)].

فكل ما سوى الصراط المستقيم فهو ضلال وغي يردي بمن اعتقده في النار،وكل نظرية أو عقيدة أو ملة سوى دين الإسلام فهو ضلال.

ولعل من أخطر العوامل التي تسهم في اعتناق الأفكار الوافدة والنظريات الهدامة الفراغ النفسي والخواء الروحي، وكذلك الفراغ الوقتي الذي يعاني منه الشباب، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال قال ﷺ: **(نعمتان مغبون يفها كثير من الناس: الصحة والفراغ)** [(٢)].

الخطر الثالث: الإفتنان بالثقافات المعادية للإسلام، وهذا خطر ما حق ليس ينجو من ولايته وآثاره وتبعاته إلا من رحم الله، وتبعاته تمتد لأجيال وقد لا يتوان الخلاص منها حتى على المدى البعيد!.

ومن العوامل المساعدة على الوقوع فيه الفراغ الثقافي الذي عاشه الكثيرون من شباب المسلمين لا سيما في البلاد التي بليت بالاستعمار الغربي في القرن الميلادي الماضي وأوائل القرن الحالي، حاشاً الجزيرة العربية التي حماها الله بمنه وفضله وخفى لطفه من نس الاستعمار وكيده وخبثه!

---

(١) سورة الأنعام: الأية ١٥٣.

(٢) رواه ابخاري في كتاب الرقاق حديث (٦٤١٢) والترمذي في كتاب الزهد حديث (٢٣٠٤) وابن ماجة في كتاب الزهد حديث رقم (٤١٧٠).

ولئن رحل الاستعمار العسكري بعد أن استيقظت في الدول نوازع التحرر وصار ذلك توجهاً عالمياً فإن الغزو الثقافي هو الأخطر أثراً طفق يمتد إلى عقول وقلوب الكثيرين من أولاد المسلمين.. حتى تكونت منهم جحافل تناوئ من يكشف زيف هذا الغزو الثقافي فإذا هي تلاحي عنه وتعمل جاهدة على إرساء دعائمه في المجتمعات الإسلامية عبر مظاهره المتعددة المتغلغلة في تلكم المجتمعات كالعلمانية وغيرها مما هو معروف مشهور.

وعليه فإن من واجبات الآباء ومسئولياتهم التربوية:

إدراك هذه الأخطار الثقافية، وآثار تلكم القنوات الإعلامية التي تعمل ليل نهار لإفساد نزعة التدين في الناشئة، والهائم بالشهوات والغرائز عن معالي الأمور.

والعمل الجاد المثمر في توعية الأولاد وتبصيرهم بأعدائهم وما يكيدونهم به وما يعدونه من خطط وأساليب، وفي الوقت ذاته تبصير الناشئة بأمور دينهم على مختلف مراحل العمر لتقوم بذلك الحصانة الكافية لوقاية الأولاد وفلذات الأكباد من الخطر الثقافي الداهم والذي سيشهد تنامياً مضطرداً على مرا الأيلم على ما هو معلن من خلال مؤتمرات القوى المعادية[١].

وهذا من آكد الواجبات والأمانات الملقاة على عواتق الآباء عملاً بقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ

---

(١) ومن أخطرها مؤتمر كلورادو بالولايات المتحدة سنة ١٤١٥هـ، أنظر كتاب (التنصير) وهو خلاصة لأعمال ذلك المؤتمر التبشيري.

وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾(١).

ولعل من أنجح الحلول لتحصين الشباب ضد الغزو الفكري بعد تعليمهم معطيات الدين الحنيف وتربيتهم عل معين القرآن العظيم والسنة النبوية الشريفة، تحصينهم بالتزويج المبكر، فإن التزويج كما في كتبا الله تعالى واجب شرعي لا يتكاسل عنه إلا فاجر أو عاجز، قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ ﴾(٢).

فإن في النكاح سوى الإعفاف من الفوائد ما لا يحصى كملء الفراغ والحفز على الكد والكسب ونبذ البطالة، وتحصيل الأجر في السعي على الزوجة والأولاد وتربيتهم. والله يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد.

هذا ومن القواعد والثوابت التي هي بمثابة المحاور العقدية لإيجاد خطة الحضانة لأولادنا ذكورا وإناثا ما ذكره الله تعالى في محكم التنزيل وبينه النبي ﷺ في سنته المطهرة ومن ذلك:

- أن القوى المعادية للإسلام والمسلمين ما تود أن يكون للمسلمين خير قط فهم يعملون للكيد لهم وإلحاق الأذى بهم بأي طريق يقدرون عليه قال

---

(١) سورة التحريم: الآية ٦.

(٢) سورة النور: الآية ٣٢.

تعـــــالى: ﴿ مَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ﴾[1].

قال ابن كثير: يبين تعالى شدة عـــداوة الكـــافرين مـــن أهـــل الكتـــاب والمشركين الذين حذر الله تعالى من مشابهتهم للمؤمنين، ليقطع المودة بينـــــهم وبينهم...[2].

- أن أعداء الإسلام يعملون ليصرفوا المسلمين عن دينهم القويم بشتى الوسائل والأساليب قال تعـــالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾[3].

وليس المقصود بأهل الكتاب كعب بن الأشرف أو حي بـــن أخطـــب أو غيرهما من أحبار اليهود فحسب، وإنما الآية عاملة في كل من كان على

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٠٥.

(٢) تفسير ابن كثير ١/١٥٩.

(٣) سورة البقرة ك الآية ١٠.

شاكلتهم كما يقول ابن جرير الطبري[١].

- انهم لا يقر لهم قرار حتى يصير المسلمون على نهج الكافرين وطريقتهم بترك الإسلام -والعياذ بالله- والصيرورة إلى الإلحاد والكفر قال تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾[٢].

فالهدى إنما هو الإسلام فلماذا ينساق بعض المسلمين إلى أهواء الكافرين!، والمعنى كما يقول صاحب الكشاف: إن هدى الله الذي هو الإسلام هو الهدى بالحق، والذي يصح أن يسمى هدى، وهو الهدى كله ليس وراءه هدى، وما تدعون إلى اتباعه ما هو بهدى إنما هو هوى[٣].

وهذا أمر معلوم ليس يجهله مسلم راشد، وإنما هي المفاضلة فالملل متباينة وملة الإسلام هي الحق الذي لا ريب فيه، ومن رغب عنه خرج عن الجادة وخسر خسرانا مبينا.

- إن اقتفاء أثر الكفر والإلحاد واعتناق نظرياتهم المناوئة للإسلام والإعجاب بما عندهم من أفكار ومبادئ تخالف الدين الحنيف خروج عن منهج

---

(١) أنظر تفسير الطبري ٥٠/٢.

(٢) سورة البقرة : الآية ١٢٠.

(٣) الكشاف للزمخشري ٣٠٨/١.

المسلمين وقد يصير المسلمون بذلك من الكافرين قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾ (١).

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ (٢).

فلا موالاة بين المسلمين والكافرين مهما كانت البواعث والدوافع، ولا طاعة لكافر فإنه يردي بالمسلم في الهاوية ويصده عن سواء السبيل بكل طريق يقدر عليه، ببث الفتن تارة والتشكيك في الإسلام تارة وبإثارة الغرائز وتوجيهها نحو الشر والإفساد تارة والله من ورائهم محيط.

- إن الركون إلى الكفار والإعترار والإعتزاز بهم والأخذ من مبادئهم من سمات المنافقين، ومصير من يفعل ذلك النار والعياذ بالله قال تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (٣).

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٠.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٤٩.

(٣) سورة النساء: الآية ١٣٨-١٣٩.

وقال: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [١].

أي: فإنكم إذا ملتم إليهم ووافقتموهم على ظلمهم أو رضيتم ما هي عليه من الظلم.. مستكم النار، وفي الآية تحذير من الركون إلى كل ظالم والمراد بالركون الميل والإنضمام إليه بظلمه وموافقته على ذلك والرضى بما هو عليه من الظلم[٢].

- أن من المسلمين من يتبع الكافرين في عوائدهم ورسومهم وأفكارهم بل وعقائدهم كما أخبر بذلك النبي ﷺ في قوله: **(لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم) قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: (فمن)؟** رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه[٣].

وما أشد الإفتتان باليهود والنصارى في رسومهم وأزيائهم وعوائدهم ونظرياتهم بل ومعتقداتهم، وإن هذا لمن الجهل والسفه! وإن درء لمن مسئوليات المسلمين جميعا من الأمراء والعلماء كل بحسب مكانته ومقدرته، ويضطلع الأبوان من ذلك بالسهم الأوفر لولايتهم المباشرة على من تحت أيديهم من الولدان والأغرار الذين هم في مسيس الحاجة إلى الكلمة اللينة الواعية والأسلوب المسترشد بنور القرآن المستنير بهدى خير الأنام، والله عز وجل سائل كل مسلم بما استرعاه عليه.

---

(١) سورة هود : الآية ١١٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٢١٩/٣ بتصرف طفيف.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في كاب الاعتصام حديث (٧٣٢٠) ومسلم في كتاب العلم حديث (٢٦٦٩).

المبحث الخامس
مسئولية الآباء تجاه الأولاد بعد سن البلوغ والرشد

يتحدد سن البلوغ في أعدل الأقوال ببلوغ الصبي أو الجارية الخامسة عشر تقريباً، مع ظهور علامات كشعر اللحية والعانة واحتلام الصبي وحيض الجارية، وللفقهاء في ذلك تفصيل يرجع إليه(١).

ولعل من أظهر ما يستدل به في ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: عرضني رسول الله ﷺ يوم أحد في القتال وأنا ابن اربع عشرة سنة فلم يجزني، وعرضني يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني، قال نافع: فقدمت على عمر بن عبدالعزيز وهو يومئذ خليفة فحدثته هذا الحديث فقال: هذا الحد بين الصغير والكبير، فكتب إلى عماله أن يفرضوا لمن كان ابن خمس عشرة سنة، ومن كان دون ذلك فاجعلوه في العيال(٢).

ويستمر الأبوان في القيام بمسئولياتهما العامة تجاه الأولاد لا سيما ما لا غنية لهم عنه كالدعاء بالصلاح والتوفيق،ولقد قال إخوة يوسف عليهم السلام: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (٣).

---

(١) أنظر المغنى لابن قدامه.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الشهادات (٢٦٦٤) ومسلم في كتاب الإمارة (١٨٦٨).

(٣) سورة يوسف: الآيتان ٩٧-٩٨.

وأيضاً النصح والتوجيه للخير بالأسلوب الرفيـــق وبـــالموقف الحكيـــم وبالقدوة الحسنة والموعظة والتذكير، فإن توجيه الفتى اليـــافع ليـــس كتوجيـــه الصبي الغر، وليس كتوجيه ونصح الرجل المكتمل في قواه العقلية والفكريـــة.. وفي حديث جرري بن عبدالله ﷺ عن النبي ﷺ: **(من حرم الرفق حرم الخير ومن يحرم الرفق يحرم الخير)** [١].

وفي حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: **(إن الرفق لا يكـــون فـــي شيء آلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه)** [٢].

إن أعظم أسلوب ينبغي أن يعيه ولا يحيد عنه الأبوان في نصح الولد بعد البلوغ وفي معالجة مشكلاته وأعوجاجه الرفق والأناة وسعة الصـــدر وطـــول البال فإن الاستعجال والتشنج والغضب المذموم لا يأت بخير، والفتي والفتـــاة بعد البلوغ في حاجة إلى كلمة طيبة هادفة ونصح بناء ومن الله التوفيق.

وأيضاً التعليم والتوجيه بالتمسك بالأخلاق الفاضلة والخصال الحميدة في المظهر والمخبر، فإن ترسيخ الأخلاق ليس يقتصر على فئة مـــن الأولاد دون

---

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة حديث (٢٥٩٢)، وأبو داود في كتاب الأدب حديـــث (٤٨٠٩) وابن ماجة في كتاب الأدب حديث (٣٦٨٧) وأحمد في مسند الكوفيين حديث (١٨٤١١).

(٢) رواه مسلم في كتاب البر واصلة حديث (٢٥٩٤)، وابو داود في كتاب الجهاد حديـــث (٢٤٧٨) وأحمد في مسند الأنصار حديث (٢٣١٧١).

أخرى، ولا هو لمرحلة من عمر الإنسان دون غيرها، ومما يوجه به الشاب، بعد الاستقامة ومعها الاهتمام بالمظهر وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: **(خالفوا المشركوين وفروا اللحى واحفوا الشوارب)** [١]. وعن زيد بن أرقم ﷺ قال قال: **(لم يأخذ من شاربه فليس منا)** [٢].

وكذلك توجيه الفتاة بالحجاب الشرعي والتزام الحياء والحشمة والعفاف فإن الإستقامة على أمر الله وتقواه سبحانه والاستعداد لما بعد الموت أمر لا يعدله شيء، وكما قال تعالى: ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [٣].

وإنك مهما أنفقت من نفقة فإنها صدقة حتى اللقمة التي ترفعها إلى في امراتك) [٤].

وهكذا فالإسلام دين الوسطية والإعتدال والواقعية، يقيم موازنة بين حاجات النفس وأشواق الروح وحقوق الآخرين، فال يرضى بالضيم ولا

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب اللباس حديث رقم (٥٨٩٢) واللفظ له، ومسلم في كتاب الطهارة حديث (٢٥٩).

(٢) رواه الترمذي في كتاب الادب حديث (٢٨٦١) وقال حسن صحيح، والنسائي يف كتاب الطهارة حديث (١٣).

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٢٨.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الوصايا حديث (٢٧٤٢) ومسلم في كتاب الوصية حديث (١٦٢٨).

بالتهاون ولا بالغو والمبالغة.

وفي العدل بين الأولاد حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما وفيه يقول النبي ﷺ: **(أتقوا الله وأعدلوا بين أولادكم)** [١].

هذا وهناك حقوق عامة في الحقيقة حقوق متبادلة بين الآباء والأبناء، بل وبين المسلمين جميعا كحفظ العرض وستر الزلات والعفو والتماس الأعذار، ولئن كانت هذه الحقوق بين عموم المسلمين واجبة فإنها على الآباء الزام لما يدلون به من وشيجة الرحم، ولما تنفرد به عروة الأبوة ولحمتها من معاني الإيثار والبذل، ثم هي على الأبناء أوجب وأوجب لعظم حق الوالدين إذ قرن الله حقها بحقه جل وعز.

---

(١) متفق عليه، وقد تقدم ص ٤.

الخاتمة

هذه الدراسة المتواضعة ليست تعدو أن تكون رؤية تربويــة لموضــوع ضخم متعدد الجوانب متشابك المسالك عظيم الخطر، إنه موضــوع مسـئولية الآباء تجاه الأولاد، وهو موضوع جدير بأن تعقــد لــه النــدوات المتتابعــة، ويستكتب فيه التربويون المتخصصون، وترصد له سلســلة مــن الدراســات الإعلامية تبين أهميته وحجمه المتنامي، وأثره الضارب في جـــذور البنيــان الأسري، وقيمته في موزاين الشرع.

ولعل هذا البحث (تلخيص) للمعالم والأسس العامة للواجبات الشـــرعية المناطة بالآباء تجاه الأولاد، مما يندرج في إطار المسئوليات والأمانات التي لا يجوز بحال التفريط فيها، وإلا كان تفريطاً بالكيان الإنساني!!

ومن خلال فصول هذا البحث ومباحثه ومسائله، فإن في مكنة القـــارئ التوصل إلى الاستنتاجات التالية:

- أن حاجة الأولاد إلى رعاية الآباء وتربيتهم حاجة متنامية مضطردة وفي الوقت ذاته هي حاجة أساسية ليس لهم عنها غنية، ولا للآباء عنها محيد.
- وأن دور الآباء في تربية الأولاد دور أساس لا يضارعـــه دور آخــر لاسيما في عمق التأثير وقوة التحوير، لما للآباء من خصائص وعوامل تتوافر وتتضافر لتحقيق الأهداف التربوية.
- وأن صلاح الآباء واستقامتهم واستمساكهم بالدين القويم والهدي المسـتقيم مطلب أساس فبصلاحهم يصلح الله الولد، وصلاح الآباء أسلوب فـــي التربيــة

وهو أسلوب القدوة العملية التي ينتفع بها الولد لا سيما في مراحل الصبا الأولى بطريق المحاكاة والتقليد، وبطريق الحمية والتفاخر بمآثر الآباء، وهو نافع محمود إن كان في الفضائل.

- أن تربية الأولاد على العقيدة الإسلامية ومستلزماتها مطلب أساس ومقصد تربوي جليل، ولذلك آثاره الحميدة في حياة الولد في الدنيا والآخرة، لما يسكبه الإيمان في القلوب من مشاعر الطمأنينة والراحة النفسية والاستقامة على دين الله، فكل تربية بنيت على غير هذا الأساس فإنها ليست بشيء!

إذ لا معنى للحياة بغير العقيدة الإسلامية، وليس يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح بها أولها.

- أن النهج الأقوم في تربية الأولاد بعد تلقينهم مبادئ العقيدة، البدء بتربيتهم على مائدة القرآن العظيم، بحفظه وتلاوته وتدبر معانيه والعمل بمقتضاه، وهذا التأسيس التربوي السليم الذي عليه ومن خلاله ينهض البنيان التربوي ويتكامل ويتناسق.

- أن مهمة الآباء ومسئوليتهم تجاه الاولاد من الشمولية بمكان، إذ تنتظم أمور المعاش والمعاد، وتتوخى صلاح الدنيا والآخرة، وهذا يستدعي الفقه في الدين، والوقوف على مجريات الحياة وأنماطها ليتأهل الولد لأمور دنياه، وليقوم قبل ذلك بواجباته الدينية ويعرف حق ربه عز وجل وحقوق الخلق.

- أن تحصين الأولاد والعمل على حمايتهم من المؤثرات الثقافية الوافدة مطلب آني ملح، ويقع الجزء الأكبر من ذلك ضمن مسئوليات الآباء لما

يتمتعون به من مقومات التحصين المبكر، ولما طوقهم الشرع من أمانة الولد العمل على وقايته وتبصيره بكل ما يرديه في هاوية العطب في الفكر والسلوك وجملة العوائد، فالدين الحنيف من الكمال والشمولية بحيث يفي بكل حاجات الإنسان، ولكل العصور، ويهديه للتي هي أقوم.

- إن الآباء أول من ينعم بصلاح الولد إن أحسنوا تربيته وتهذيبه، كما أنهم تنالهم غوائل الولد إن اساؤوا تربيته، وتلك سنة الحياة.

- أن الأولاد جزء من الآباء. فهم امتداد إنساني، والتفريط فيهم وإضاعتهم إلقاء بالنفس إلى التهلكة وهو ما نهى عنه الشرع، كما أن القيام بالأمانة على الوجه الأتم من القيام بفروض الدين وواجباته، هذا، ونقول كما علمنا الله تبارك وتعالى : ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾[1].

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

(١) سورة الفرقان : الآية ٧٤.

بيان صفة الحج

الدكتور/ صالح بن فوزان الفوزان

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً، وأمرنا بطاعته والاقتداء به فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ فالاقتداء به واجب في جميع العبادات حتى تكون صحيحة مقبولة عند الله تعالى: قال تعالى: (من يطع الرسول فقد أطاع الله)، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ ، ومن ذلك الاقتداء به في أداء مناسك الحج. فقد حج ﷺ وأمر الناس أن يقتدوا به ويفعلوا مثل فعله حيث قال ﷺ: **(خذوا عني مناسككم)** أي تعلموا مني كيف تحجون وتؤدون المناسك. وذلك بأن تفعلوا مثل فعلي وهذا كلام جامع استدل به أهل العلم على مشروعية جميع ما فعله النبي ﷺ وما قاله في حجه وجوباً في الواجبات ومستحباً في المستحبات وقد لخص شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله صفة حجة النبي ﷺ فقال: وقد ثبت بالنقل المتواتر عند الصحابة وعند علماء الحديث من وجوه كثيرة في الصحيحين وغيرهما : أنه ﷺ لما حج حجة الوداع أحرم هو والمسلمون من ذي الحليفة فقال: **(من شاء أن يهل بعمرة فليفعل. ومن شاء أن يهل بحجة فليفعل. ومن شاء أن يهل بعمرة وحجة فليفعل)** فلما قدموا وطافوا بالبيت وبين الصفا والمروة أمر جميع المسلمين الذين حجوا معه أن

يحلوا من إحرامهم ويجعلوها عمرة إلا من ساق الهدي فإنه لا يحل حتى يبلغ الهدي محله. فراجعه بعضهم في ذلك فغضب وقال: (**انظروا ما أمرتكم به فافعلوه**) وكان ﷺ ساق الهدي فلم يحل من إحرامه. ولما رأى كراهة بعضهم للإحلال قال (**لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي ولجعلتها عمرة. ولولا أن معي الهدي لأحللت**). وقال أيضا: (**إني لبدت رأسي وقلدت هديي فلا أحل حتى أنحر**) فحل المسلمون جميعهم إلا النفر الذين ساقوا الهدي ومنهم رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله. فلما كان يوم التروية أحرم المحلون بالحج وهم ذاهبون إلى منى فبات بهم تلك الليلة بمنى وصلى بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر. ثم سار بهم إلى نمرة على طريق ضب- ونمرة خارج عرفة من يمانيها وغربيها ليست من الحرم ولا من عرفة فنصبت له القبة بنمرة. وهناك كان ينزل خلفاؤه الراشدون بعده- فلما زالت الشمس ركب هو ومن ركب معه وسار المسلمون إلى المصلى ببطن عرنه حيث قد بنى المسجد وليس هو من الحرم ولا من عرفة وإنما هو برزخ بين المشعرين الحلال والحرام. بينه وبين الموقف نحو ميل. فخطب بهم خطبة الحج على راحلته وكان يوم الجمعة. ثم نزل فصلى بهم الظهر والعصر مقصورتين مجموعتين.

ثم سار المسلمون معه إلى الموقف عند الجبل المعروف بجبل الرحمة - واسمه إلال- على وزن هلال- والذي تسميه العامة عرفة. فلم يزل هو والمسلمون في الذكر والدعاء إلى أن غربت الشمس فدفع بهم إلى مزدلفة

فصلى المغرب والعشاء بعد مغيب الشفق قبل حط الرحال حيث نزلوا بمزدلفة وبات بها حتى طلع الفجر. فصلى بالمسلمين الفجر في أول وقتها مغلساً بها زيادة على كل يوم. ثم وقف عند قزح وهو جبل مزدلفة الذي يسمى المشعر الحرام. وإن كانت مزدلفة كلها هي المشعر الحرام المذكور في القرآن فلم يزل واقفاً بالمسلمين إلى أن أسفر جداً. ثم دفع بهم حتى قدم منى فاستفتحها برمي جمرة العقبة. ثم رجع إلى منزله بمنى فحلق رأسه. ثم نحر ثلاثاً وستين بدنة من الذي ساقه وأمر علياً بنحر الباقي وكان مائة بدنة. ثم أفاض إلى مكة فطاف طواف الإفاضة. وكان قد عجل ضعفة أهل بيته من مزدلفة قبل طلوع الفجر فرموا الجمرة بليل. ثم أقام بالمسلمين أيام منى الثلاثة يصلي بهم الصلوات الخمس مقصورة غير مجموعة. يرمي كل يوم الجمرات الثلاث بعد زوال الشمس يفتتح بالجمرة الأولى وهي الصغرى وهي الدنيا إلى منى والقصوى من مكة ويختتم بجمرة العقبة. ويقف بين الجمرتين الأولى والثانية وبين الثانية والثالثة وقوفاً طويلاً بقدر سورة البقرة يذكر الله ويدعو. فإن المواقف ثلاث: عرفة. مزدلفة. ومنى ثم أفاض آخر أيام التشويق بعد رمي الجمرات هو والمسلمون فنزل بالمحصب فبات فيه هو والمسلمون (انتهى) وعندما أراد ﷺ السفر إلى المدينة طاف هو وأصحابه طواف الوداع سبعة أشواط بالبيت ثم سافر راجعاً إلى المدينة صلوات الله وسلامه عليه. هذه صفة حجه ﷺ وهي تشتمل على واجبات الحج وأركانه وسننه فالواجبات:

١- الإحرام من الميقات.

٢- الوقوف بعرفة إلى غروب الشمس.

٣- المبيت بمزدلفة.

٤- رمي الجمار.

٥- الحلق أو التقصير.

٦- المبيت بمنى ليالي أيام التشريق وطواف الوداع والأركان هي:

١- الإحرام.

٢- الوقوف بعرفة.

٣- طواف الإفاضة.

٤- السعي بعده.

والسنن: الخروج إلى منى والمبيت بها يوم التروية -أي اليوم الثامن. والوقوف عند جبل الرحمة والدعاء في عرفة وفي مزدلفة بعد الفجر، والدعاء عند الجمرات، والدعاء في الطواف والسعي. والبقاء في منى إلى اليوم الثالث من أيام التشريق- فالحج الكامل هو الحج المشتمل على الأركان والواجبات والسنن القولية والفعلية، والحج المجزئ هو الحج المشتمل على الأركان والواجبات.. وبالله التوفيق.

وعلى الحاج أن يخلص النية لله ويستعمل النفقة الطيبة في حجة ويكمل المناسك كما أمر الله: قال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ فإتمام الحج أداء مناسكه على الوجه المشروع قوله سبحانه وتعالى : (لله) يعني الإخلاص في القصد والنية، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

الهدي
للدكتور: صالح بن عبدالرحمن الأطرم

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فأذكر أخواني الحجاج بجزئية لها صلة بالحج وهي (الهدي) فلأهميته وما يتعلق به من أحكام جمعت ما تيسر منها من كتب الفقه مقتصراً على قول واحد، متجنباًذكر الخلاف.

نرجو من العلي القدير أن ينفع بها إخواني الحجاج فأقول مستعيناً بالله:

يستحب لمن أتى مكة أن يهدي لأن النبي ﷺ أهدى في حجته مائة بدنة، ويستحب استسمانها واستحسانها لقول الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ قال ابن عباس: هو الاستسمان والاستحسان والاستعظام.

تعريف الهدي:

الهدي في اصل اللغة الهدية وهي: ما اهديت من ذي لطف إلى ذي مودة، وإذا أطلق الهدي فالمراد به: ما أهدي من النعم إلى الحرم قربة إلى الله تعالى، والمراد بالنعم الإبل والبقر والغنم، كما قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا

ﭐلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾
ولا يقتصر الإهداء للحرم على بهيمة الأنعام فقط، فقد حكى الليث وغيره أوسع من ذلك فقال: "ما يهدى إلى مكة من النعم وغيره من مال أو متاع فهو هدي كما في لسان العرب".

وهذا التعريف اللغوي هو ما جاء عند الفقهاء إلا أنه اشتهر عند بعضهم ما يذبح بمنى من واجب أو تطوع وقد يطلق على ما يجب بترك واجب.

وأما ما يجب بترك محظور فيطلق عليه فدية كما قال الله تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ﴾ ، ومن ذبح بمنى فهو هدي ولو سمي أضحية، وما سيق من خارج حدود مكة من الحرم فهو هدي وما شري من منى وذبح بها غلب عليه اسم الهدي فهو هدي عند الجمهور.

الأدلة على مشروعية الهدي

قوله تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ﴾ ، وفعل الرسول ﷺ - حيث كان يبعث بالهدي إلى مكة وهو بالمدينة، وأهدى في حجة الوداع مائة بدنة.

أحكام الهدي

قد يكون الهدي واجباً وقد يكون تطوعاً فيكون واجباً في الحالات التالية:

١- إذا كان متمتعاً بالعمرة إلى الحج، والتمتع هو أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج أي شوال وذي القعدة وتسع من ذي الحجة ثم يحل منها ويحج في تلك السنة لقوله تعالى: ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ﴾، فلو أدى العمرة في رمضان ثم بقي في مكة فأحرم بالحج في عامه فلا هدي عليه لحصول العمرة قبل أشهر الحج، وكذا لو أحرم بالعمرة بعد انقضاء الحج فلا يعتبر متمتعاً، ومن جاء مكة قبل أشهر الحج فأحرم بعمرة في أشهر الحج فإنه يعتبر متمتعاً يلزمه الهدي لأنه ليس من أهل مكة قال تعالى:﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾.

٢- يجب الهدي على من قرن بين العمرة والحج في إحرام واحد في أشهر الحج إلحاقاً له بالتمتع.

٣- ويجب الهدي بالنذر فلو نذر هديا للحرم تقربا إلى الله تعالى وجب عليه أداؤه لقوله تعالى في سياق صفات الأبرار ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ ﴾ لحديث: (**من نذر أن يطيع الله فليطعه**) سواء جاء بالهدي من الحل أو اشتراه من الحرم فإنه

يسمى هدياً ولكن إذا عينه من خارج الحرم لزمه سوقه إلى الحرم وإذا اشتراه من الحرم تعين ووجب ذبحه.

٤- ويجب الهدي إذا ترك واجباً من واجبات الحج:

أ- كالخروج من عرفة قبل الغروب لأن من وقف فيها نهاراً وجب عليه البقاء فيها حتى تغرب الشمس.

ب- من ترك المبيت بمزدلفة، فمن أتاها أول الليل وجب عليه المبيت بها حتى منتصف الليل فإن خرج منها قبل ذلك بطوعه واختياره وجب عليه الهدي وهكذا لو بات قبل الدخول إلى المزدلفة بطوعه واختياره وجب عليه الهدي، ومن مر عليها بعد منتصف الليل فإنه يعتبر مدركاً للمبيت بالمزدلفة، ولو خرج منها قبل طلوع الفجر، والأفضل بقاؤه بها حتى يطلع الفجر، اقتداءً بفعل النبي ﷺ ويستحب الاسفار جداً.

ج- المبيت بمنى ليالي ايام التشريق فمن ترك المبيت بها من غير عذر شرعي وجب عليه الهدي.

د- ترك رمي الجمرات أو نقص شيء منها فإنه موجب للهدي.

هـ- من ترك حلق شعره أو التقصير منه وجب عليه الهدي.

و- إذا ترك طواف الوداع بعد إنتهاء أعمال الحج وجب عليه هدي.

ز- إذا تجاوز الميقات من قصد الحج أو العمرة من غير إحرام فأحرم بعد ذلك فيجب عليه الهدي.

٥- الإحصار: ويجب الهدي في الإحصار وهو ما إذا حصل له مانع يمنعه من تمام حجه أو عمرته لقوله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ فلا يحل من إحرامه حتى يذبح هديه، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ﴾.

وأما ما يجب بارتكاب محضور فإنه يطلق عليه اسم (الفدية) لقوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ وما يجب من الفدية في ارتكاب المحظورات متنوع الصفة والأحكام يطول تفصيله.

ويكون الهدي تطوعاً أن يشتريه فيعينه فيهديه للحرم فهو تطوع ابتداءً سواءً اشتراه من الحرم أو ساقه من الحل وإذا عينه وجب سوقه وذبحه في منى أو مكة.

من يتولى ذبح الهدي

ويتولى من وجب عليه الهدي هديه بنفسه شراءً وذبحاً إن كان قادراً على ذلك ولا بأس من توكيل من يعرفه ويثق به، وليحذر من توكيل من يجهله كالذين يسعون بين المخيمات والشوارع ويطلبون قيمة الهدي، فمن أعطاهم لم تبرأ ذمته من هديه لأنه لم يتحقق من ثقتهم ولا بأس بتوكيل جهة عينها الحاكم كالبنك الإسلامي لشراء الهدي وذبحه في منى وتفريقه على مستحقيه.

وإذا اشترى الهدي فليس له بيعه ولا أن يبدله إلا بخير منه لأن بيعه أو تبديله بأقل منه تفويت لحق الفقراء، وبمثله لا يحصل فيه فائدة.

وإذا اشترى المسلم هديه ثم ذبحه غيره في وقته ومكانه وهو داخل حدود مكة بدون إذنه أجزأه، لانه لا يحتاج إلى قصده، ولأنه تعين كونه هدياً، فلم يحتج إلى تعيين الذبح ولا إذن صاحبه، لأنه حيوان تعين إراقة دمه على الفور حقاً لله تعالى.

الأكل من الهدي

يجوز للمهدي أن يأكل من هديه إن كان هدي تمتع أو قران لقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ ولفعل النبي ﷺ.

ولا يأكل من منذور ولا من الكفارات ولا مما وجب عن ترك واجب ولا مما وجب فدية عن محظور ولا جزاء الصيد، لأنه كفارة فلم يجزئ الأكل منه.

والمستحب الاقتصار على اليسير من الأكل لفعل النبي ﷺ في بدنه، ليعم الإنتفاع بلحم الهدي، ويجتهد الإنسان في توزيع هديه سواء في منى أو في سكان مكة وإن قدر على شيها أو طبخها ثم وزعها على من في منى أو دعاه للأكل منها فهذه طريقة جيدة ومجربة.

ولا يصح للحاج أن يذبح هديه ثم يلقيه في الجبل أو البرية بل يبحث في طريقة توزيعه قبل ذبحه ويصبر على ما يناله من تعب في طريقة التوزيع أو تهيئة لحوم هديه للأكل.

ولا بأس بإدخاره في الثلاجات أو بتقديده وتنشيفه والخروج به من مكة، ويجوز الإهداء منه والتصدق به أو ببعضه، ولا يجوز بيعه أو شيء منه، ولا إعطاء الجازر أجرته منه لما روى عن علي ﷺ قال: (أمرني رسول الله ﷺ أن أقوم على بدنه وأن أقسم جلودها وجلالها وأن لا أعطي الجازر منها شيئاً)، وقال: **(نحن نعطيه من عندنا)** متفق عليه.

نوع الهدي

إن كان الهدي واجباً فلا يجزئ إلا بهيمة الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم وإن كان تطوعاً جاز من بهيمة الأنعام كبيرها وصغيرها ومن غير الحيوان استدلالاً بقوله ﷺ: **(من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة)** متفق عليه، إذ ذكر فيه الدجاجة والبيضة والأفضل بهيمة الأنعام لأن النبي ﷺ أهدى منها.

سن ما يجزئ في الهدي الواجب

لا يجزئ في الهدي الواجب إلا الجذع من الضأن والثني من غيره، فالجذع من الضأن ما تم له ستة أشهر والثني من المعز ما تم له سنة والثني من البقر ما تم له سنتان وهو ما يسمى (مسنة) والثني من الإبل ما كمل له خمس سنين لحديث: **(لا تذبحوا إلا مسنة فإن عسر عليكم فاذبحوا الجذع من الضأن)** رواه مسلم والمسنة هي الثنية.

ما يشترط في الهدي

ويشترط في الهدي الواجب السلامة من العيوب التي تنقص ثمنه لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وأفضل ما يجود به المهدي عالي الأوصاف سليماً من العيوب غالي الثمن.

ومن العيوب المانعة للإجزاء ما جاء في حديث البراء ﷺ قال: "قام فينا رسول الله ﷺ فقال: **(أربع لا تجوز في الأضاحي: العوراء البين عورها والمريضة البين مرضها والعرجاء البين ظلعها والعجفاء التي لا تنقى)** ويلحق بها غيرها مما نص عليه أو ألحق به وضابطه أن يكون عيباً ينقص اللحم وينقص قيمته عند الناس.

وقت نحر الهدي أو ذبحه

لقد جعل الله وقتاً للذبح قال الله تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ وهذه الأيام هي وقت الذبح في الجملة، وما يذبح أو ينحر أقسام:

١- النذر وهدي التطوع وهدي التمتع والقران فهذه الاقسام لها وقت باتفاق وقتان بخلاف.

أما المتفق عليه فابتداؤه من بعد صلاة العيد ونهايته نهاية اليوم الثاني عشر أما اليوم الثالث عشر فمختلف فيه ويترجح جوازه إن شاء الله لقوله تعالى: ﴿وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ والمراد بها أيام التشريق والراجح أنها ثلاثة أيام بعد يوم العيد بدليل ورود الأيام بلفظ الجمع ومشروعية الرمي في اليوم الثالث عشر وقد قال تعالى: ﴿۞ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ ووجهه من منع الذبح فيه أن الرمي في اليوم الثالث عشر على سبيل الجواز لا على سبيل الوجوب وأما ما أختلف فيه.

أ- ليالي أيام التشريق ويترجح كراهيته مع الإجزاء خروجاً من الخلاف والقائل بجوازه مطلقاً أو بمنعه مطلقاً يحتاج إلى دليل شرعي والمسلم يجتهد ويحتاط لعباداته.

ب- ما كان قبل العيد فالجمهور على منع الذبح قبل العيد- أي ذبح هدي التمتع والقران والنذر والأضحية -وهذا ما ظهر لي خروجاً

من الخلاف واتباعاً لما ثبت في السـنة وفعـل رسـول الله ﷺ ويبتدئ وقت الذبح يوم العيد بعد الانتهاء من صلاة العيـد، وإذا تعددت المصليات فالعبرة بما يصلي فيه الحاكم العـام سـواء كـان المذبوح أضحية أو هدياً.

٢- وقت ذبح ما وجب بترك واجب فمنذ وقت ترك الواجب، مثل الخـروج من عرفة قبل غروب الشمس، ومثل عدم المبيت بمزدلفـة، أو بمنـى ليالي التشريق.

٣- وقت ذبح ما وجب من الدماء بفعل محظور من محظـورات الإحـرام كلبس مخيط متعمداً، ومس طيب وحلق شعر وتقليم ظفر وقتـل صيـد فوقته من حين فعل المحظور، ويجوز عند العزم على فعل المحظور أن يذبح ما وجب عليه قبل ذلك.

وإن ذبح هديه قبل يوم العيد لم يجزئه وعليه بدل الواجب من هدي تمتع أو قران أو نذر.

فوات وقت الذبح

فإن فات الوقت قبل ذبح هدي التمتع والقران ذبح الواجب قضاء إذا كان بعذر، فإن فات الوقت وقد أخر الهدي بغير عذر فيلزمه هديان: أحدهما الـهدي الواجب، والثاني كفارة لفوات الوقت من غير عذر وذلك لحصـول المقصـود

بالذبح وهو الانتفاع بالمذبوح فلا يسقط بفوات وقته، كما لو ذبحها في الوقت ولم يفرقها حتى خرج الوقت.

وأما ما وجب بفعل محظور أو ترك واجب فلا وقت له محدد.

وأما هدي التطوع فلا يلزم ذبحه بعد خروج وقت الذبح، لأنه لم يلزم ابتداء فلا يجب قضاؤه ولأن المحصل للفضيلة الزمان وقد فات، فلو ذبح وتصدق به كان لحماً تصدق به.

الحكم إذا لم يجد الهدي

من وجب عليه هدي تمتع أو قران فلم يجده أو لم يجد قيمته فعليه صيام عشرة أيام لقوله تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ﴾ .

ووقت الصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله والمراد بقوله تعالى (في الحج) أي إذا أحرم بالعمرة في أشهر الحج، وقد علم أنه لا يستطيع أن يجد هدياً أو ضاعت قيمته قبل شرائه جاز له أن يصوم ثلاثة أيام ما بين إحرامه إلى آخر يوم عرفة وتكون متتابعة استحباباً ولو فرقها جاز.

وتعتبر القدرة على الهدي وعدمها في موضعه وزمنه.

وفضل بعض العلماء أن يكون صيام اليوم السادس والسابع والثامن من ذي الحجة ليتقوى بفطره يوم عرفة على الدعاء والأذكار، فإذا فات هذا الوقت

صامها أيام التشريق وهي الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر لما روى ابن عمر وعائشة -رضي الله عنهما- قالا: **(لا لم يرخص في ايام التشريق أن يصمن إلا لمن لم يجد الهدي)** ولا يصح صوم يوم العيد.

وأما السبعة الأيام فيصومها في بلده إذا رجع لقوله تعالى: ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ﴾ .

وأهل مكة لا يلزمهم هدي ولا صيام لقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ ﴾ . ولأن الصيام بدل الهدي للمتمتع والقارن.

ولا يصح التساهل في صيام ثلاثة الأيام لمن لم يجد الهدي، لأن وقتها يفوت، فلو فات وقتها فعليه هدي ويأثم إذا تساهل، ويصومها مع السبعة الأيام قضاء، ولا يلزم التفريق بين الثلاثة -والسبعة وأما السبعة ففيها سعة ويسر فيصومها عند أهله ويجوز أن يبدأ فيها بعد انتهاء أيام التشريق سواء بمكة أو في الطريق كما قال تعالى: ﴿ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ ﴾ ويستحب لصيام الثلاثة أيام أن يكون محرماً بالحج إذا كان قد حل من عمرته.

هذا ما تيسر لي جمعه مما يتعلق بالهدي من الأحكام.

نسأل الله تسديد الخطأ في الأقوال والأفعال وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الحرم الآمن

للدكتور عبدالعزيز بن حمد المشعل

امتازت منطقة الحرم على مر الزمن بالأمن والطمأنينة النفسية مع تيسر المعيشة والرزق لكل القادمين حجاجاً أو معتمرين أو متجرين أو زواراً وهـذا ما تشير إليه الآية الكريمة.

﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا ﴾ .

وإذا رجع المسلم بذهنه إلى الوراء تاريخياً، وتفهم سـر هـذا الأمـن، وقداسة حرمة البيت العتيق؛ أدرك مدى المنة على الناس في ذلك.

لقد استجاب الله لدعوة أبينا إبراهيم عليه السلام في دعوتـه الخـالدة ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ ، فاستجاب الله دعوة إبراهيـم عليه السلام، فجعل البيت الحرام مثابة للناس وأمناً، وجعل ما حـول البيـت حرمـاً آمنـاً ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ .

إن هذه الآيات الكريمات تشير إلى ما تمتعت به منطقة الحرم على مـدى التاريخ من قدسية وتكريم، وعدم استباحة لحرماتها في وقت كان من العسير أن ينتقل الإنسان من مكان إلى آخر في الجزيرة العربية، دون أن يكون فـي

صحبة حامية من جيش أو قافلة كبيرة أو أحلاف يعقدها مع القبائل النازلة في طريقه.

ولقد أصبح الحرم المكي منطقة أمان حقيقي، واستقرار نفسي، يدخله القاتل فلا يتعرض له إنسان، ويلجأ إليه الخائف المستنفر، فتستقر نفسه، ويهدا روعه، وينعم وجدانه بالطمأنينة التامة فينتقل بين جنباته تنقل الإنسان بين عشيرته وأهله وأحبائه.

بلغ الأمان مبلغاً عظيماً إلى درجة أن النبات قد أمن أن يقطع ويعضد.

وجاء الإسلام دين الأمن والطمأنينة والسلام ليؤكد مواريث إبراهيم عليه السلام توحيداً لله وإخلاصاً في العبودية، وإعادة للمكانة السامية إلى الكعبة، لتكون رمزاً لوحدة البشرية جمعاء، ولتشع على العالم كله من مفاهيم السلام الدائم، والطمأنينة الشاملة، والاستقرار النفسي، ما يجعلها النموذج الحي للبشرية السعيدة التي تتمتع بنعمة الإيمان والسلام ولتقول للناس جميعاً من شاء أن يحظى بذلك فسبيله الإسلام ومن أراد أن يدخل الحرم فهو منطقة الأمان والسلام، وليس مكاناً يقتتل الناس فيه على أي وجه كان هذا القتال عسكرياً كان أو سياسياً.

نعم لقد حارب رسول الله ﷺ في الحرم، ولكنه حارب في الوقت الذي أضاع أهله قدسيته، ومنعوا أبر الناس وأوفاهم لعهد إبراهيم من أوفى قصده وتعظيمه وتطهيره من أدران الشرك، ومظاهر التحريف التي أحاطت به، ولكن ما أن استجاب أهلها لنداء الله ورسوله حتى وقف محمد بن عبدالله عليه السلام

ليؤكد لحملة السلام للناس أن مكة حرمها الله، ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دماً، ولا يعضد فيها شجرة، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله فقولوا له إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلغ الشاهد الغائب. كلمات واضحة في أن منطقة الحرم منطقة أمان وسلام.

ولقد عاد رسول الله ﷺ ليؤكد هذا المعنى من جديد حينما وقف خطيباً في حجة الوداع سائلاً الحجاج عن اليوم والشهر والمكان، مخبراً أن دم المسلم وماله وعرضه حرام كحرمة اليوم والشهر والمكان، فأصبحت قدسية الدم من قدسية الحرم. "فازاد الإحسان الكامل بالأمن والطمأنينة".

على المسلمين اليوم أن يتعاونوا في استمرار الطمأنينة والهدوء في المشاعر المقدسة والتمكين لذلك:﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ فالبركات والخيرات المعنوية والمادية هي للمؤمنين أجمعين: مكيين وأفاقيين، عرباً وعجماً، رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً، وهكذا يعيش الناس مع اختلاف ألوانهم ولغاتهم وبلدانهم في جوار البيت الحرام، في أمن وطمأنينة، هادئة نفوسهم، راضية ضمائرهم، مقبلة على مولاها، تستشرف رحمة الله وترجو مغفرته.

إن الإسلام دين الحقوق والواجبات، يعطي النـــاس حقوقـــهم، ويجعـــل للآخرين حقوقاً قبلهم، من شأنها أن تجعل التجمع البشري اجتماع تعاون وإخاء ومودة وتساند. وإذا كان البيت الحرام مكان أمن يشعر الجميع فيه بنعمـــة الله فإن الواجب على كل مسلم يضع قدميه في أرض الســـلام أن يكـــون عنوانـــاً عليه داعياً إليه.

إن الأمن في الحرم حق للجميع، لا يجوز أن يختلف عليـــه، إن الحـــرم ليس ساحة للصراع السياسي والعقائدي، وإذا اختلفت الـــدول وتبـــاينت بينـــها الآراء فليس الحرم مكاناً لتأجيج الخلاف وإذكاء النار.

بناء البيت ومنافع الحج

للدكتور/ صالح بن عبدالله بن حميد

الحمد لله خص بيته بمزيد من التكريم والتفضيل. وافترض حجه على من استطاع إليه السبيل، فارتفع النداء إلى حج هذا البيت بأمر الله على لسان إبراهيم الخليل، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه واستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الموحى إليه من هذه البطاح بأشرف تنزيل صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، خير صحب وأكرم جيل، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم حجاج بيت الله، وأوصيكم عباد الله جميعاً ونفسي بتقوى الله فخير الزاد التقوى.

عباد الله، يقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (١)

المسجد الحرام هو أول بيت بني على ظهر الأرض لعبادة الله وحده بناه الخليل إبراهيم وشاركه ابنه إسماعيل عليهما السلام. أما إبراهيم: فهو رمز

---

(١) آل عمران : ٩٦-٩٧.

التوحيد الحنيفية، وخصم الشرك والوثنية: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١)

وأما إسماعيل: فهو المسلم المستسلم المنقاد لأمر ربه: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (٢).

ونبي الإسلام محمد ﷺ وأمة الإسلام هما ثمرة دعوة صدرت من هذين النبيين الكريمين البانيين لهذا البيت العتيق. لقد صدرت دعوتهما وهما ينشئان بنيانه ويعليان أركانه: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٣).

إنه البيت الذي أراده المولى تبارك وتعالى قبلة واحدة لهذه الأمة يكون

(١) سورة الأنعام: الآية ٧٩.

(٢) سورة الصافات: ١٠٢.

(٣) سورة البقرة : ١٢٧-١٢٩.

بـه قيامـها وإليـه مثابتـها: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ (١). ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ (٢).

وفي حديث قرآني آخر عن نشأة هذا البيت، حديث عن القاعدة التي قام عليها هذا البناء؛ ليبقى خالداً، عامراً بإذن الله إلى ما شـاء الله، إنـها قـاعدة التوحيد فعلى التوحيد أقيم هذا البيت من أول يـوم: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ (٣).

ولما أقيم هذا البيت على قواعد التوحيد ومبادئ الحنيفة، والخلوص من الشرك وأهله، صدر الأذان الإبراهيمي بأمر الله لحج هـذا اليـت، وتعظيـم حرمات الله وشعائره: ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (٤).

ومنذ ذلك النداء والوفود تتقاطر على هذا البيت، ممتدة في الأزمنة إلـى ما شاء الله، يتوافدون من كل فج، رجالاً على أقدامهم، وركباناً على ما سـخر الله لهم، ولا يزال وعد الله يتحقق منذ ذلك النداء المبارك، ولا تزال أفئدة مـن

---

(١) سورة المائدة: الآية ٩٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٥.

(٣) سورة الحج: الآية ٢٦.

(٤) سورة الحج: الآية ٢٧.

الناس تهوي إلى البيت الحرام، وما فتئت النفوس تتطلع إلى رؤية هذا البيت والطواف حوله، والتقلب في عرصات مشاعره.

يتوافدون من كل فجاج الأرض القاصي منها والداني، وحناجرهم تجأر بإجابة التوحيد ونداء الإخلاص: (لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك). يجيبون داعي التوحيد بإعلان التوحيد.

إن هذه الجموع الملبية المستجيبة تأتي منضوية تحت راية العقيدة، حيث تتوارى في ظلها فوارق الأجناس، وتمايز الألوان، وتباعد الأوطان.

إن هذه الأمة تشهد قوتها في تجمعها، وتدرك عزها في ترابطها بحبل الله المتين.

ومن هنا - إخوة الإسلام- فإن هذا البيت هو الملتقى الجامع لهذه الأمة. يتلاقى فيه المسلمون مجردين من كل آصرة سوى آصرة الإسلام، متخلين عن كل سمة إلا سمة الدين. ولقد بلغ مظهر التساوي في هذا الصعيد المعظم أن تساوت ملابسهم،وتوحدت ثيابهم فتجردوا من كل زينة إلا ثوباً يواري عوراتهم.

إن البيت ومشاهد الحج ليؤكد لهذه الأمة أن رابطة الإسلام هي الرابطة الوثقى، وأن نسبه هو النسب الثابت، وصبغة الدين هي الصبغة السائدة. لا تفاضل إلا بالتقوى، إنه نبذ صارخ لحمية الجاهلية وفخارها: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [١].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٩.

وهو من أجل هذا موسم تصفوا منه النفوس، وهي تستشعر قربها من ربها يوم أن قربت من بيته، تطوف حول البيت بأجسادها وأفئدتها.

موسم عبادة ولقاء تلتقي فيه الدنيا والآخرة، حتى أصحاب التجارات يجدون في موسم الحج من غير حرج سوقاً رائجة لتجاراتهم وبضائعهم ابتغاء فضل الله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (١).

وماذا في ذلك؟؟ إن هذا البيت يجبي إليه ثمرات كل شيء. ما تفرق في أرجاء الدنيا يجتمع في أرض الحرم، سوق عالمية قائمة في تسهيلات معاصرة، وفرها ولاة الأمور في الحرمين الشريفين فيما وفروا – حفظهم الله- من إنجازات عظام في الحج وطرقه ومشاعره ومبانيه.

وينضم إلى ذلك -أيها الحجاج- ما يجب التحلي به من آداب؛ يستكمل بها الحاج تعظيم حرمات الله وشعائره.

إن المسلم في أوقات العبادة والحضور في الرحاب الطاهرة، يلتزم بأكمل الآداب وأفضل الأحوال.. ناهيك بالحضور في هذا البيت المعظم والمشاعر المقدسة: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ (٢).

---

(١) سورة البقرة: الآية١٩٨.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٩٧.

إنها آداب في اللسان والجوارح تعظم بها الشعائر وتعـرف بـها آداب زوار بيت الله.

فللجماعة آداب قد تختلف عن آداب الاهل والأقربين، فحق على حجـاج بيت الله، وهم في رحابه أن يختاروا الطيب من القول، وتحل التقوى عندهـم محل الفسوق، والخلق الجميل محل الجدل والمراء.

ومن أجل هذا جاء في الحديث الصحيح: **(من حج هذا البيت فلم يرفـث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه)** متفق عليه. واللفظ للبخاري من حديث أبـي هريرة.

إن الإقبال على الله بتلك الهيئة المؤدبة، والتقلب في المشاعر والشـعائر مع حفظ حقوق الإخوان، والإلتزام بآداب الإسلام؛ يمحو من النفـوس آثـار الذنوب، وظلمة الآثام. فيتحرى الحاج كل بر، ويتباعد عن كل منكر عبـلدة الله وأخوة للمؤمنين.

أيها الإخوة، إن الحج في وفوده وحشوده تأكيد لهذا الإرتباطات، وتجسيد لتلك الإحساسات، حضور في الأبدان، وشهود في القلوب.

إنك ترى هذه الزرافات من الناس وهي تؤم هذا البيـت ولـها عجيـج بالتلبية، تشاركها بتلبيتها كل الكائنات من حولها مسبحة بحمد ربـها، وكـأن الوجود في الحرم والمشاعر وما حولهما، والطرق السالكة إليهما قد تحولت إلى وفود حاشدة تجأر لربها ذاكرة، شاكرة، حامدة، ممجدة، كما في الحديث: **(مـا من ملب يلبي إلا لبى ما عن يمينه وشماله، من حجر أو شجر أو مدر حتـى**

تنقطع الأرض من ههنا وههنا). رواه الترمذي، وأبن ماجه واللفظ لـه من حديث سهل بن سعد الساعدي، وصححه الألباني.

حجاج بيت الله، بهذا وأمثاله تتبين عظمة النسك وحكمة التشريع، ويبقى الحج رمز الوحدة والتوحيد، وعنوان البذل والتضحية، ويبقى ملتقى المسلمين الأكبر في يوم الحج الأكبر. ويظل زمانه ومكانه الموعد المضروب لاجتماع المؤمنين الموحدين الوافدين من مشارق الأرض ومغاربها، يفردون بالعبادة ربهم، ويرجمون الشيطان عدوهم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴿٢٧﴾ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴾ [1].

---

(١) سورة الحج: الآية ٢٧-٢٨.

الخطبة الثانية

الحمد لله جعل الحج كفارة للذنوب، أحمده سبحانه وأشكره واتوب إليه وأستغفره، وأسأله ذكراً تطمئن به القلوب، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، علام الغيوب. وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، بكل كمال منعوت، وإلى كل قلب محبوب، اللهم فصل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ما تعاقب الشروق والغروب، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله -عباد الله- وأعلموا رحمكم الله.. أن مما يؤكد سمو معاني الحج، وأهداف زيارة هذا البيت المعظم، والحفظ على لزوم الأدب مع الإخوان، التطلع على حجم مبرور، فالحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة.

ومن أعظم مجالات بر الحج.. ميادين التعامل مع الناس، وحسن العلاقات معهم، حتى إنه لما سئل رسول الله ﷺ: ما الحج المبرور؟ قال: **(إطعام الطعام وطيب الكلام)**. رواه أحمد والطبراني وابن خزيمة والبيهقي من حديث جابر، وكلها ألوان من العلاقات الحسنة يحافظ عليها المسلم مع إخوانه.

وقد سئل سعيد بن جبير: أي الحج أفضل؟ قال: من أطعم الطعام وكف اللسان.

أيها الإخوة، ماذا يصنع من يؤم هذا البيت إذا لم يكن فيه ورع يحجزه عما حرم الله، وحلم يضبط به جهله، وحسن لمن يصحب!!! فلا تحقرن أخي الحاج من المعروف شيئاً، ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي، ولو أن تنحي الأذى من طريق الناس، ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منطلق، فخير الناس أنفعهم للناس.. وأصبرهم على أذى الناس.

ولقد أعد الله جنات عدن.. للذين ينفقون في السراء والضراء، والكاظمين الغيظ، والعافين عن الناس، والله يحب المحسنين.

فاتقوا الله -رحمكم الله- وتوبوا إلى ربكم، وتوسلوا إليه بصالح أعمالكم، إنه هو الغفور الرحيم. [١]

---

(١) توجيهات وذكرى المجموعة الثانية، ص ٣٠٢، للدكتور/ صالح بن عبدالله بن حميد.

فتاوى العدد

اختيار هيئة التحرير

حكم ألبسة الإحرام

س: ما حكم لباس الحزام الكمر (الهميان) إذا كان من الجلد، لكن فيه مخيط أي: مدقوقاً بالماكينة، وكذلك الأحذية المخيطة؟

ج: يجوز لمن أحرم بالحج أو العمرة أن يلبس الحزام والحذاء، ولو كانا مخيطين بالماكينة.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

س: لماذا الحاج يرتدي تلك الملابس في الحج؟

ج: أمرنا الله على لسان رسوله محمد ﷺ بارتداء الإزار والرداء في الحج وفي العمرة لحكمة يعلمها، فوجب علينا الامتثال ؛ رجاء الثواب، سواء علمنا الحكمة أم لم نعلمها، ومما ذكره العلماء في ذلك: التذكير بحال الناس يوم الجمع والنشور يوم القيامة، وإشعار الحاج بالتواضع والتساوي بين الغني والفقير، نسأل الله لنا ولك التوفيق والسداد والثبات على الحق حتى نلقاه.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.[١]

الحج عن الغير

س: يوجد لدي أربعة أشخاص متوفين، ما بين أعمام وأجداد، ما بين رجال

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ج ١١، ص ١٧١.

ونساء، ولم أعرف أسماء البعض منهم، وأريد أسرح لهم حجج، كل واحد منهم أرغب أحج له على حسابي الخاص.

ج: إذا كان الأمر كما ذكر: فمن عرفت اسمه من الرجال والنساء فلا إشكال فيه، ومن لم تعرف اسمه فإنه يجوز لك أن تنوي عن الرجال والنساء من الأعمام والأجداد على حسب ترتيب أسنانهم، وأوصافهم، وتكفي النية في ذلك وإن لم تعرف الاسم، والله أعلم.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

إحرام الحائض

س: ما حكم حجة الحائض؟

ج: الحيض لا يمنع من الحج،وعلى من تحرم وهي حائض أن تأتي بأعمال الحج، غير أنها لا تطوف بالبيت إلا إذا انقطع حيضها واغتسلت، وهكذا النفساء، فإذا جاءت بأركان الحج فحجها صحيح.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[١].

حكم مجاوزة الميقات بدون إحرام لمن نوى العمرة أو الحج

س: إنني في عطلة الربيع الماضية أصطحبت أهلي وأولادي بنية زيارة أختي في الطائف ونأخذ عمرة والعلاج في جدة، هذه هي النية أساساً. الذي

---

(١) المرجع السابق.

حصل أننا أقمنا في الطائف يوماً ثم ذهبنا إلى جدة مارين بمكة ولم نحرم من السيل، حيث كنت أعتقد أن ما في ذلك شيء، فأخرنا العمرة حتى العودة من جدة، وفعلاً بعد انتهائنا من جدة أحرمنا بالعمرة ونسينا أيضاً لمن نصل ركعتين بعد الإحرام، وكان يدور في نفسي بأن فيه ميقاتاً فيما بين جدة ومكة، فلم نجد ميقاتاً، وواصلنا حتى الحرم وأخذنا عمرة. وعند العودة للعمل قصيت ذلك على بعض مدرسي المعهد العلمي، فقالوا: إن علينا دماً، وأنه كان يجب علينا ألا نمر مكة حتى نأخذ العمرة. فأرجو من سماحتكم توجيهنا للصواب، وماذا يترتب علينا؟ والله يحفظكم.

ج: الواجب على من نوى العمرة ثم مر بالميقات أن يحرم منه، ولا يجوز له مجاوزته بدون إحرام، وحيث لم تحرموا من الميقات فإنه يجب على كل منكم دم، وهو ذبح شاة تجزئ في الأضحية تذبح بمكة المكرمة، وتقسم على فقرائها، ولا تأكلوا منها شيئاً، أما ترك صلاة ركعتين بعد لبس الإحرام فلا حرج عليكم في ذلك.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[١].

س: نحن نعيش في استراليا، وفي هذا العام يريد وفد كبير من مسلمي استراليا القيام بفريضة الحج، ونحن نسافر من سدني مثلاً وأول محطة لنا

---

(١) المرجع السابق.

وهي أحد ثلاث موانئ جوية: جدة، أبو ظبي، البحرين، فأين ميقات إحرامنا؟ هل نحرم من سدني أو من أي مكان آخر؟ أرجو الإجابة ولكم الشكر.

ج: ليست سدني ولا أبو ظبي ولا البحرين ميقاتاً لحج ولاعمرة، وليست جدة ميقاتاً لمثلكم، وإنما هي ميقاتاً لأهلها. ويجب أن تحرموا إذا كنتم مررتم جواً فوق أول ميقات تمرون عليه قاصدين إلى مكة؛ لقول النبي ﷺ لما وقت المواقيت: (**هن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن ممن أراد الحج والعمرة**)، وبإمكانكم تسألون مضيف الطائرة قبل المرور عليه، وإن نويتم الدخول في الإحرام بالحج أو العمرة ولبيتم بذلك قبل الميقات الذي ستمرون عليه خشية أن تتجاوزوه غير محرمين فلا بأس، أما التهيؤ للإحرام بتنظيف أو غسل و ارتداء ملابس الإحرام فيجور في أي مكان.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم(١).

س: امراة من اليمن أوصت ورثتها قبل موتها أن يجعلوا من يحج عنها من مالها الخاص، ويوجد هنا في المملكة العربية السعودية وفي مدينة جدة من المغتربين اليمنيين ممن يثقون به لأداء هذه الفريضة، فهل يجوز الحج عن هذه المرأة ممن هم في مدينة جدة؟ وهل يحرم من بيته في جدة أو يذهب إلى ميقات أهل اليمن الساحلي ويحرم من هناك، أو أنه يجب على الذي سيحج

(١) المرجع السابق.

عن هذه المرأة أن يكون من اليمن؛ أي: خروجه للحج يكون من اليمن؟ وهل يجب أن يكون هذا الحاج من بلدة هذه المرأة صاحبة الوصية؟

ج: يحج عن المرأة المذكورة من محل النائب إذا كان دون الميقات، أما إذا كن أبعد من الميقات فإنه يحرم من ميقات بلده، إلا أن يأتي إلى مكة من طريق آخر فعليه أن يحرم من الميقات الذي يمر به؛ لقول النبي ﷺ لما وقت المواقيت: (**هن لهن ولمن أتي عليهن من غير أهلهن ممن أراد الحج والعمرة، ومن كان دون ذلك فمهله من حيث أنشأ حتى أهل مكة من مكة**) متفق على صحته.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

حكم التوكيل في الرمي

س: رجل أخذ وكالة من جماعة من الحجاج في رمي الجمار، وأخذ منهم الحصى ثم رماها في الشارع، ولم يرم الجمرات ولم يخبرهم، وهم عاجزون عن الرمي فما الحكم؟

ج: إذا كان الأمر كما ذكره السائل فإنه يعتبر مفرطاً وآثماً بفعله، تلزمه التوبة والاستغفار من ذلك، وإخبارهم جميعاً بالواقع وإذا بلغهم لزم كل واحد منهم دم عن ترك الرمي، ولهم مطالبة الوكيل بقيمة الدم؛ لكونه المتسبب، إذا ثبت عنه فعل ما ذكر في السؤال، وإذا كان لم يرم عن نفسه فعليه دم يجزئ

في الأضحية يذبح في مكة ويوزع على فقرائها مع التوبة مما فعل.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[١].

طواف الوداع

س: ما معنى قوله تعالى: (فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه)، مع إيضاح ما نصت عليه هذه الآية؟

ج: يقول الله سبحانه: ﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ ﴾[٢].

والمراد بالأيام المعدودات هنا: أيام التشريق الثلاثة: الحادي عشر والثاني عشر، والثالث عشر، فمن ينفر من الحجاج بعد رمي جمراته اليوم الثاني عشر بعد الزوال وقبل الغروب فقد تعجل، ومن بقي بمنى إلى أن يرمي جمرات اليوم الثالث عشر فقد تأخر، وذلك أفضل؛ لموافقته لفعله عليه الصلاة والسلام.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[٣].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٠٣).

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، ج ١١.

س: أفيدكم أني حجيت في العام الفائت وقد أكملت الحج، وعندما دخلت الحرم لطواف الوداع فوجدنا زحمة كبيرة وقد دخلنا مع الناس، وطفنا ستة أشواط، ولما أكملنا ستة أشواط أذن العصر ولم نتمكن من الوقوف لأداء الصلاة في محل الطواف، ولم نتمكن من مزاحمة الناس، وبكل جهد وعناء خرجنا من حول البيت وطلعنا إلى الطابق العلوي لإكمال الشوط السابع من طواف الوداع، وهناك -أي في الدور العلوي- أدينا صلاة العصر مع الناس وأكملنا طواف الوداع وشربنا من ماء زمزم أثناء إكمال الشوط. فهل يكون حجنا وطوافنا للوداع صحيحاً؟ علماً ان بعض الناس يقول: إنه لا حج لنا؛ لأن الطواف مثل الصلاة لا يجوز قطعه بكلام أو أكل أو شرب، ونحن شربنا من ماء زمزم وتكلمنا مع الناس، كما أنه قيل لنا: إن أداء بعض الطواف في الصحن الأسفل وبعضه في الطابق العلوي يفسد علينا الحج. أفيدونا جزاكم الله خيراً.

ج: إذا كان الواقع كما ذكر فحجكم وطوافكم كلاهما صحيح، ولا شيء عليكم في طوافكم الشوط السابع في الدور العلوي من المسجد، ولا في الفصل بينه وبين الأشواط الستة الأولى بالصلاة أو بشرب أو بكلام.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم. (١)

---

(١) المرجع السابق.

س: لقد اعتمرت مع والدي، وعند السعي بدأنا بالصفا، ولكننا كنا نعد ذهابنا من الصفا إلى المروة نصف شوط، بحيث كنا نعد ذهابنا من الصفا إلى المروة ثم رجوعنا إلى الصفا مرة أخرى شوطاً واحداً بدلاً من كونه شوطين بحيث كان مجموع سعيهما ما يقارب خمسة عشر شوطاً، فهل علينا في ذلك شيء؟ علماً بأننا كنا نجهل الصواب، علماً بأني أعتمرت بعد تلك العمرة عمرتين وكان سعيهما على الوجه الصحيح. أفتونا أثابكم الله.

وبعد انتهائي من مناسك العمرة قصرت من رأسي قدر أنملة أو انملتين من مقدمة رأسي فقط، وبعد ذلك لبست ثيابي وبعد رجوعي إلى بلدي علمت أن تقصير بعض الرأس لا يجزئ، علماً بأن فعلي ذلك كان عن جهل مني، فهل علي شيء في ذلك؟ وإن كانت على فدية فهل يجوز ذبحها في منى؟

ج: أولاً: زيادتك في أشواط السعي في العمرة عن جهل نرجو ألا حرج عليك؛ لأنك معذور، ويجزئك منها السبعة الأولى لعمرتك.

ثانياً: يجب تعميم شعر الرأس بالتقصير في الحج أو العمرة، وما وقع منك من التقصير من مقدم الرأس فقط عن جهل لا يجزئك، ونرجو أن يعفو الله جل وعلا عنا وعنك، وبعد إطلاعك على هذه الفتوى تتجرد من المخيط وتلبس الأزار مع كشف الرأس حتى تحلق أو تقصر من جميع الرأس بنية

التحلل. وإن كنت جامعت زوجتك في هذه الفترة فعليك ذبيحة تذبح بمكة تجزئ أضحية توزع على فقراء الحرم، فإن لم تستطع فإنك تصوم عشرة أيام.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[١].

الحج عن الميت من تركته

س: والدي توفي ولم يحج فريضة الإسلام، وخلف قطعة أرض، وأرغب تأدية الفريضة عن والدي إلا أنني أسأل: هل يكون من تركة والدي أم من مالي؟

ج: إذا كان والدك توفي وهو مستطيع الحج بنفسه وماله ولم يحج أخرج عنه مما خلفه أجرة حجة يحج عنه بها؛ لوجوبها عليه؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[٢]، ولما في الصحيحين واللفظ للبخاري، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان الفضل بن عباس رديف رسول الله ﷺ فجاءت امرأة من خثعم فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، وجعل النبي ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر فقال: يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً

---

(١) المرجع السابق.

(٢) سورة آل عمران: الآية (٩٧).

لا يثبت على الراحلة أفأحج عنه؟ قال"نعم"، وذلك في حجة الوداع. وفي صحيح البخاري أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمي نذرت أن تحج ولم تحج حتى ماتت أفأحج عنها؟ قال" (نعم حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ اقضوا الله، فالله أحق بالوفاء). ففي الحديثين دليل على أن ما وجب على العبد لا يسقط بموته، وأنه دين عليه لا تبرأ ذمته إلا بأدائه وإن حج عنه ابنه من ماله أجزأ ذلك إذا كان قد حج عن نفسه، أما إن كان غير مستطيع الحج حتى مات فهو غير واجب عليه، وإن حج عنه ابنه بشرط أن يكون حج عن نفسه فحسن وإلا فلا شيء عليه. وحيث ذكر السائل أن والده لا يملك غير قطعة أرض توفي فخلفها فإذا كان يرتفق بهذه الأرض سكنا أو زراعة فلا يعتبر بتملكه إياها مستطيعا للحج إذا لم يكن عنده غيرها، فلا يلزمه الحج، وإن كان معدها للتجارة وفي قيمتها كفاية لنفقته في الحج ونفقة من يعول حتى يرجع من الحج فيلزم أن يحج عنه من ثمنها، وكذلك الأمر بالنسبة للعمرة لوجوبها على من وجب عليه الحج؛ لقوله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [1]، وقوله ﷺ لأبي رزين العقيلي حينما ذكر له شأن أبيه من أنه شيخ كبير لا يستطيع الحج ولا العمرة ولا الظعن، فقال له ﷺ : **(حج**

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٦٩).

عن أبيك واعتمر) [١]، رواه الخمسة وصححه الترمذي.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[٢].

حكم طواف الوداع

س: أقيم في مدينة جد، وأذهب إلى مكة المكرمة دائماً فهل أودع البيت الحرام بعد الحج، أم أأخره لحين سفري إلى بلدي؟ وهل في تأخير الوداع كفارة؟

ج: إذا حججت فلا تسافر عقب حجك إلى جدة حتى تطوف طواف الوداع، وإذا سافرت قبل الوداع فعليك هدى تذبحه في الحرم، ولا تأكل منه، بل أطعمه الفقراء؛ لأن طواف الوداع واجب بعد الحج؛ لعموم حديث ابن عباس رضي الله عنهما: (أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت إلا أنه خفف عن المرأة الحائض) متفق على صحته، وعليك التوبة إلا الله من خروجك إلى جدة قبل طواف الوداع.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[٣].

---

(١) أخرجه احمد ٤/١٢١٠ وأبو داود ٢/٤٠٢ برقم (١٨١٠) والترمذي ٣/٢٦٩:٢٧ برقم (٩٣٠) والنسائي ٥/١١، ١١٧ برقم (٢٦٢١، ٢٦٣٧) وابن ماجه ٢/٩٧٠ برقم (٢٩٠٦) وابن خزيمة ٤/٣٤٦ برقم (٣٠٤٠) وابن حبان ٩/٣٠٤ برقم (٣٩٩١) والطبراني١٩ /٢٠٣ برقم (٤٥٧، ٤٥٨) والحاكم ١/٤٨١، والبيهقي ٤/٣٢٩، ٣٥٠.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ج ١١.

(٣) المرجع السابق.

الجدال في الحج

س: إذا حصل من الرجل بعض الجدال مع رفقائه في الحج هل تصح حجته وتجزئه ولو كانت حجة الفريضة؟

ج:حجته صحيحة، وتجزئه عن الفريضة، لكن ينقص أجره فيها بقدر ما حصل منه من جدال مذموم، وعليه التوبة من ذلك؛ لقول الله سبحانه: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١).

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم(٢).

صفة التكبير على الصفا والمروة

س: ما كيفية التكبير على الصفا والمروة؟ فنحن نكبر كما نكبر للصلاة قائلين: الله أكبر، ثلاث مرات.

يرقى على الصفا إن تسير له، أو يقف عنده ويقرأ قول الله سبحانه: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ (٣)، ويقول أبدأ بما بدأ الله به، ويستحب أن يستقبل القبلة، ويحمد الله، ويكبره، ويقول: (لا إله إلا الله والله أكبر، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم

---

(١) سورة النور: الآية (٣١)

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ج١١.

(٣) سورة البقرة : الآية (١٥٨)

الأحزاب وحده). ثم يدعو رافعاً يديه بما تيسر من الدعاء، ويكرر هذا الذكر والدعاء ثلاث مرات، ويفعل على المروة كذلك، ما عدا قراءة الآية فإنه لا يكررها، وإنما يقرؤها في مبدأ الشوط الأول.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم. (١)

حكم الشك في رمي الجمار

س: وفقني الله أن أديت فريضة الحج، ولكن بعد رجوعي شككت أن في رمي الجمرات جمرة لم تضرب العمود، بل سقطت داخل الحوض فقط، وهذا مجرد شك، وإن كانت كذلك ماذا يجب على الحاج؟

ج: الشك يلغى، ولا يجب عليك شيء، وعلى تقدير أنها لم تصب العمود لكنها سقطت في الحوض فهي مجزئة؛ لأن إصابة العمود ليست مطلوبة، إنما المطلوب وقوعها في الحوض.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

حكم الهرولة في السعي للمرأة

س: بخصوص الهرولة بين الأخضرين في السعي بالنسبة للنساء لم أجد في مطالعاتي المحدودة في كتب الفقه في باب الحج والعمرة ما يمنع النساء من الهرولة، وسمعت مرة من أحد العلماء في التلفزيون: أن المرأة لا تهرول في

---

(١) المرجع السابق.

السعي، وأنه على الرجال فقط، وأن ذلك أحفظ للمرأة وحتى لا تبرز مفاتنها أثناء الهرولة، ولم يسق أي دليل على قوله هذا، فقلت في نفسي: إن كان حقاً رأي من اجتهاده فالهرولة ايضاً سنة ابتدأت من هاجر رضي الله عنها، لكني بحمد الله أفهم الرأي والحمد لله على أن الدين ليس بالرأي كما قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه. أفيدونا بارك الله فيكم حيث أنني أذهب بأهل بيتي للعمرة من حين لآخر ونريد أن نقف على الشيء الصحيح في المسألة.

ج: قال ابن المنذر: أجمع أهل العلم على أنه لا رمل على النساء حول البيت، ولا بين الصفا والمروة، وليس عليهن اضطباع، وذلك لأن الأصل فيهما إظهار الجلد، ولا يقصد ذلك في النساء؛ ولأن النساء يقصد فيهن الستر، وفي الرمل والاضطباع تعرض للكشف.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[١].

وقت طواف الإفاضة

س: متى ينتهي طواف الإفاضة؟

ج: يبدأ طواف الإفاضة بعد منتصف الليل من ليلة النحر للضعفة ومن في حكمهم، وليس لنهايته وقت محدد، لكن الأولى أن يبادر الحاج بالطواف للإفاضة قدر استطاعته، مع مراعاة الرفق بنفسه، وتحين الأوقات التي يكون المطاف فيها خفيفاً من الزحام؛ حتى لا يؤذي ولا يؤذى.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[١].

---

(١) المرجع السابق.

حكم الإحرام من دون المواقيت

س: ما معنى قوله ﷺ: (حتى أهل مكة يحرمون من مكة) بعد أن قال ﷺ: (من أراد الحج والعمرة) في الرواية الصحيحة لابن عباس رضي الله عنهما؟

ج: معناه أن كل من أراد الحج والعمرة وكان منزله دون المواقيت يحرم من منزله، حتى إن أهل مكة يحرمون لنسكهم من مكة،وهو عام في الحج والعمرة، ولكنه خصصه حديث أمره ﷺ عائشة رضي الله عنها أن تعتمر من التنعيم، لكونه أدنى الحل من الحرم، فصار الحديث الذي سألت عن معناه محمولاً على من يحج أو يعتمر وهو دون المواقيت المسماة في الأحاديث، وخارج حدود الحرم، وعلى من يحرم بالحج مفرداً أو بالحج والعمرة قارناً أو يحج ممن تمتع بالعمرة إلى الحج لا على من يحرم بالعمرة فقط، استثنائها بحديث عائشة؛ عملاً بالأحاديث الواردة في النسك كلها دون نظر إلى قياس او خصوصية لعائشة أو غيرها.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[٢].

س: حضرت من الأردن بالطائرة إلى جدة قاصداً مدينة بيشة، وليس بنيتي أداء العمرة ولا حتى الذهاب إلى مكة، ولكن تأخرت الطائرة إلى بيشة فجلست في جدة مدة يومين، وعند ذلك قمت بالإحرام من جدة وتوجهت إلى مكة لأداء العمرة، فهل هذه العمرة صحيحة؟

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

ج: هذا الإحرام صحيح؛ لأنك أنشأته من جدة، ولم تنو العمرة قبل ذلك، ولا دم عليك فيه، والأصل في ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: وقت رسول الله ﷺ لأهل المدينة ذا الحليفة، ولأهل الشام الجحفة، ولأهل نجد قرن المنازل، ولأهل اليمن يلملم، قال: **(فهن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن لمن كان يريد الحج والعمرة، فمن كان دونهن فمهله من أهله وكذلك حتى أهل مكة يهلون منها)** متفق عليه. وما دل عليه عموم هذا الحديث من أن من أراد الإحرام بالعمرة فإنه يحرم من مكة ليس على ظاهره، فقد جاء ما يدل على أن من أراد الإحرام بالعمرة وهو بمكة فإنه يحرم من الحل، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: نزل رسول الله ﷺ المحصب فدعا عبدالرحمن بن أبي بكر فقال: **(أخرج بأختك من الحرم فتهل بعمرة ثم لتطف بالبيت، فإني أنتظركما هنا)** قالت: فخرجنا، فأهللت ثم طفت بالبيت وبالصفا والمروة، فجئنا رسول الله ﷺ وهو في منزله في جوف الليل فقال: **(هل فرغت؟)** قلت: نعم فإذن في أصحابه بالرحيل، فخرج فمر بالبيت فطاف به قبل صلاة الصبح ثم خرج إلى المدينة متفق عليه.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم. [١]

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ج ١١، ص ١٥١.

الجديد من الإصدارات
إعداد/ إدارة الطباعة والنشر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد.

فقد حرصت إدارة الطباعة والنشر على إصدار الكتب النافعة والجديدة على الساحة بجميع اللغات ومن الجديد من الإصدارات كتابين هما:

الأول: حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة باللغة الهوسا للدكتور/ سعيد بن علي القحطاني ويتضمن الكتاب مجموعة من الأدعية والأذكار الصباحية والمسائية وأدعية يستحب الإكثار من ذكرها.

فقدم المؤلف في كتابه بمقدمه ذكر فيها أهمية الذكر وفوائده ثم تحدث عن طريقته في جميع الأدعية وأنه اختصره اختصاراً يسهل على من أراد قراءته أن يحمله معه في كل الأوقات واقتصر فيه على متن الذكر واكتفى في تخريجه بذكر مصدر أو مصدرين مما وجد في الأصل ومن أراد التوسع يرجع إلى أصل الكتاب وهو "الذكر والدعاء والعلاج بالرقى من الكتاب والسنة" وقد طبع بعدة لغات أيضاً.

وقد حرصت وكالة الوزارة لشؤون المطبوعات والنشر ممثلة في إدارة الطباعة والنشر على إصدار هذا الكتاب بلغة الهوسا لما له أهمية في الدول الأفريقية الناطقة بهذه اللغة وخاصة في نيجيريا وغانا وهم بأمس الحاجة لمثل

هذا النوع من الكتب لما تشمل عليه الأذكار اليومية التي يحتاجها كل مسلم في ورده وصباحه ومسائه.

نسأل الله أن ينفع به ويجعله خالصاً لوجه الكريم.

الثاني: كتاب شرح أصول الإيمان لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين باللغة الروسية ذكر فضيلته في مقدمة الكتاب بأهمية علم التوحيد وأنه أشرف العلوم وأوجبها قدراً وأوجبها مطلباً، لأنه العلم بالله تعالى، وأسمائه، وصفاته، وحقوقه على عباده.

ولأنه مفتاح الطريق إلى الله تعالى وأساس شرائعه، لذا اجتمعت الرسل على الدعوة إليه، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ (سورة الأنبياء ٢٥)

ولما كان هذا شأن التوحيد، كان لزاماً على كل مسلم أن يعتني به تعلماً وتعليماً، وتدبراً واعتقاداً يبين دينه على أساس سليم واطمئنان، وتسليم يسعد بثمراته ونتائجه.

ثم استرسل فضيلته بالكلام عن الدين الإسلامي وقال: هو الدين الذي بعث الله به محمداً ﷺ ختم الله به الأديان وأكمله لعباده، وأتم به عليهم النعمة، ورضى لهم ديناً فلا يقبل من أحد ديناً سواه، قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ سورة الأحزاب (٤٠)

ثم تحدث عن أركان الإسلام فقال هي الأسس التي ينبني عليها وهي

خمسة ثم ذكرها بالتفصيل ثم تكلم عن أسس العقيدة الإسلامية وعن الإيمان بالله تعالى، وعن الإيمان بالملائكة وبالكتب وبالرسل وباليوم الآخر والقدر خـــيره وشره.

ثم ختم فضيلته هذا الكتاب بأهداف العقيدة الإسلامية فقـــال: وأهـــداف العقيدة الإسلامية: مقاصدها، وغاياتها النبيلة المترتبة على التمسك بها وهـــي كثيرة ذكرها بالتفصيل في قائمة الكتاب.

ولأهمية هذا الكتاب طبع باللغة الروسية لتخدم بلاد مـــا وراء النـــهر وكذلك الجمهوريات المستقلة المسلمة من الاتحاد السوفيتي.

نسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب ويجعله نبراس كل مسلم يتكلم بهذه اللغة وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

شرف الزمان - وشرف المكان

الشيخ/ محمد بن علي العرفج

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين- وبعد فما أكثر نعم الله على عباده، نعم كثيرة لا تعد ولا تحصى ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ وإن من أعظم المنن، وأجل النعم، ما منحه الله سبحانه لعباده من مواسم للخيرات، ليغفر لهم الذنوب والسيئات -ويجزل لهم الهبات والحسنات: ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ .

وإن من دلائل حكمة الله تعالى، وكمال ربوبيته ووحدانيته وصفات كماله وجلاله؛ تخصيص بعض مخلوقاته بمزايا وخصائص يفوق بعضها البعض الآخر -صفات زمانية- وصفات مكانية- فما أن تنقضي عباده إلا ويخلفها عبادة أخرى، لتكون فرصة للعبد لرفع رصيد درجاته وتكفير سيئاته -حيث هناك عبادات يومية كالصلاة المفروضه - وأسبوعية كالجعمة- وسنوية كالعيدين- ومرة في العمر كالحج- وكلها وضعت لذكر الله وحمده وشكره، يتخللها ذكر ودعاء وقراءة قرآن وزكاة وصدقات، كل ذلك مما يتنافس فيه المتنافسون، في تعظيم الأجور، وكثرة الفضائل، فقد فضل الله سبحانه بعض الشهور والليالي والأيام على بعض؛ ليكون ذلك عونا للمسلم على زيادة العمل،

والرغبة في الطاعة، وتجديد النشاط؛ ليعظم أجره، ويحظى بنصيب وافر من الثواب، فيتأهب للموت قبل قدومه، ويتزود للمعاد، فإن المواسم موضوعة لبلوغ الأمل بالإجتهاد في الطاعة، ورفع الخلل والنقص، بالإستدراك والتوبة- قال ابن رجب رحمه الله في كتابه لطائف المعارف: وما من هذه المواسم الفاضلة موسم إلا ولله تعالى فيه وظيفة من وظائف طاعته يتقرب بها إليه، ولله فيها لطيفة من لطائف نفحاته يصيب بها من يشاء بفضله ورحمته عليه. فالسعيد من اغتنم مواسم الشهور والأيام والساعات، وتقرب فيها إلى مولاه بما فيها من لطائف الطاعات، فعسى أن تصيبه نفحة من تلك النفحات، فيسعد بها سعادة يأمن بعدها من النار وما فيها من اللفحات. وقد فضل الله سبحانه عشر ذي الحجة على غيرها من الأيام، فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (**ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله، منه في هذه الأيام العشرة. قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله. قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله ولم يرجع من ذلك بشيء**) -وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ (**ما من أيام أعظم عند الله سبحانه ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر، فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد**) رواه أحمد.

وفضيلة هذه العشر جاءت من أمور كثيرة منها: أن الله تعالى أقسم بها، والإقسام بالشيء دليل على أهميته وعظم نفعه ونحو ذلك قال تعالى (**والفجر**

وليال عشر) قال ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف إنها عشر ذي الحجة ومن فضلها أن الرسول ﷺ شهد بأنها أفضل أيام الدنيا، وأنه حث فيها على العمل الصالح لشرف الزمان، بالنسبة لأهل الأمصار، وشرف المكان أيضاً وهذا خاص بحجاج بيت الله الحرام وأنه أمر فيها بكثرة التسبيح والتحميد والتكبير- وأن فيها ويوم عرفه، يوم النحر، وأن فيها الأضحية والحج، وتمتاز عشر ذي الحجة على غيرها من الأزمنة باجتماع أمهات العبادات فيها. وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج ولا يأتي ذلك في غيرها- قال ابن رجب رحمه الله في اللطائف "لما كان الله سبحانه وتعالى قد وضع في نفوس عباده المؤمنين حنيناً إلى مشاهدة بيته الحرام، وليس كل أحد قادراً على مشاهدته كل عام، فرض على المستطيع الحج مرة واحدة في عمره، وجعل موسم العشر مشتركاً بين السائرين والقاعدين".

وأما شرف المكان فبيت الله الحرام الذي جعله الله سبحانه مثابة للناس وأمناً- والمجاورة فيه من أفضل العبادات لمن رزق الاستقامة، لأن العمل عنده مضاعف إلى مائة ضعف، كما أن المعاصي عنده وفيه مغلظة العقوبة لحرمة المكان، عن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال **(صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام- وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه)** رواه أحمد بسند صحيح. يلي ذلك في الفضل المدينة النبوية فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله

ﷺ قال (**إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى حجرها**)- كما أن كثرة التعبد في الروضة المباركة مستحبة، فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال إن رسول الله ﷺ قال (**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة**).

فعليك أيها المسلم أن تستغل فرص الحياة، وسويعات العمر في طاعة الله تعالى، ولا سيما حين يجتمع لك شرف الزمان وشرف المكان، فإنها فرصة قد لا تدركها مرة أخرى في عمرك، فعليك بالاجتهاد، واغتنام الفرص وقديماً قالوا:

بادر الفرصة وأحذر فوتها فبلوغ العز في نيل الفرص

هداني الله وإياك صراطه المستقيم، وسلك بي وبك سبيله القويم، ووفقني الله وإياك إلى صالح الأقوال والأعمال إنه سميع مجيب وبالإجابة جدير وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أهداف مجلة التوعية الإسلامية

١- توعية الأمة، والدعوة إلى الإسلام من خلال وسيلة دعوية تتصف بقوة الحجة ووضوح المحجة، كما تتصف با لأسلوب المقنع والرسوخ العلمي.

٢- خدمة عقيدة السلف الصالح وتوجيه الناس إلى الكتاب والسنة.

٣- التوكيد على مبادىء الإسلام وأركانه العظام، وإشاعتها في الناس، والدعوة إليها، والتحذير من مغبة مخالفتها.

٤- الاهتمام بما استجد في حياة الأمة الإسلامية من قضايا ومشكلات، وتقديم الحل الحاسم والعلاج الناجع.

٥- كشف الشبهات وفضح الافتراءات التي يثيرها الأعداء ضد هذا المنهج الإسلامي القويم وبيان حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

٦- نشر البحوث العلمية المفيدة ومتابعة ما يستجد في الساحة العلمية من إصدارات رئيسة.

٧- المتابعة الجادة للأحداث العلمية المدعومة من مؤتمرات وندوات وملتقيات وكتب ووسائل دعوية أخرى.

٨- العرض الحسن للجهود الخيرة المباركة التي تبذلها المملكة العربية السعودية لخدمة الإسلام والمسلمين.